الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالـــي والبحث العلمـــي

جامعة محمد بوضياف –المسيلـــة-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

الرقم التسلسلي .....

الموضوع

دور القيم في البناء الحضاري في فلسفة مالك بن نبي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالب :

- بن الشيخ عبد العزيز

إشراف الدكتور :

حميدي لخضر

الرئيس	المقرر		جامعة المسيلة
المشرف والمقرر	حميدي لخضر	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة
الممتحن	الممتحن		جامعة المسيلة

السنة الجامعية (2020-2021)

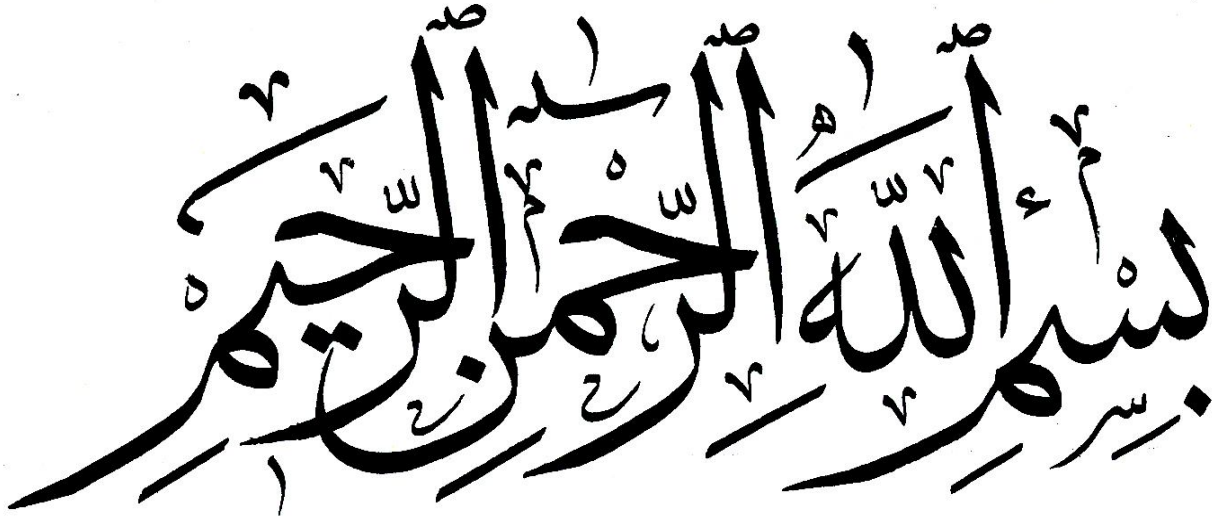
بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Mohammed Boudiaf - M'sila
Faculty of Humanities and Social Sciences
Department of Psychology

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم ~~علم النفس~~ الفلسفة

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله:

السيد (ة): بن الشيخ عبد العزيز الصفة: طالب، أستاذ، باحث .....

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 104532250 والصادرة بتاريخ: 2016/10/27

والمسجل بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الفلسفة .....

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة تخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)

عنوانها: دور التقييم في البناء الحضاري في فلسفة مالك بن نبي .....

.....

أصرح بشرفي أنني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2021.06.09

توقيع المعني (ة)

المرجع: القرار 1082 المؤرخ في 27 ديسمبر 2020

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

دور القيم في البناء الحضاري في فلسفة مالك بن نبي

إعداد الطلبة:

1- بن الشيخ عبد العزيز رقم التسجيل: 98333620

2- / رقم التسجيل: /

القسم: الفلسفة **الشعبة:** فلسفة عامة **التخصص**

إشراف: د. لخضر حميدي **الرتبة:**

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2020-2021 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة.

موافقة وإمضاء المشرف(ة):

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــــــداء

- إلى من بلغ الرسالة... وأدى الأمانة... ونصح الأمة...، إلى نبي الرحمة ونور العالمين .

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

- أهدي هذا البحث إلى الذي أعزه من كل قلبي : إلى الذي تعلمت منه الصبر والعطاء والدي العزيز حفظه الله.

- إلى أمي الحنونة بارك الله في عمرها .

-وا ٍلى أهل بيتي الأحباء : زوجتي التي كانت تضيء لي الطريق ، و ساندتي في عملي هذا،أطال الله في عمرها، وأبنائي ، عبد الجليل ، عبد المنعم ، و الكتكوتة الصغيرة لينة .

لمن تضع له الملائكة أجنحتها رضى لما صنع ويستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء:

أستاذي حميدي لخضر بارك الله في عمره.

حفظ الله كل هؤلاء وعلمهم وشملهم بألطافه.

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أعانني على إنجاز هذا البحث ، فلله الشكر أولا وأخيرا على حسن توفيقه، وصلى الله عليه وسلم على عبده المصطفى الذي بذكره تتم الصالحات وبعد :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" **لا يشكر الله من لا يشكر الناس** " فإنني أتوجه بالشكر لكل من كان عونا لي في إنجاز هذا البحث وا ٍتمامه على هذه الصورة التي أرجو أن تكون مرضية .

وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور " حميدي لخضر " المشرف على هذا البحث ، لما قام به من قراءة ومتابعة وتوجيه رغم ضيق وقته،وكثرة أشغاله ولما اتسم به من سعة الصدر والأفق ، فله منا جزيل الشكر والتقدير ، وله من الله الثواب الجزيل .

كما أتقدم بعظيم الشكر لكل الأخوة والأصدقاء الذين وقفوا بجانبي وقدموا يد المساعدة ، أثناء إعداد بحثي وأخص بالشكر الأخ والصديق الدكتور " رضا شريف " وكذا الأخ الأستاذ " سفيان عمران " وكذا الأخ الأستاذ "علاء بوعيسي و" الأستاذ "ربعي مراد "

ولكل من ساعدني ولو بكلمة نصح .

ختاما نسأل الله العلي القدير أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه، وأن يجعله علما نافعا، ويسهل لنا به طريقا إلى الجنة.

مـــقـــدمـــة

تعتبر مشكلة النهضة من المواضيع الهامة في تاريخ الفكر العربي والإسلامي لاعتبارات كثيرة ومتعددة ، منها دخول المجتمعات العربية والإسلامية في أزمات عصفت بكيانها ، على غرار التخلف و الاستعمار ، وقد جعلها ذلك تلج إلى نفق مظلم ، مكن لها من أن تنحدر في سلم البناء الحضاري ، مما تسبب في إخراجها من سياقالفعل داخل التاريخ ، وا ٍنها لأزمة جعلت المفكرين يصبون جهودهم في البحث عن آليات الخروج والسير نحو البناء الحضاري القائم على البعث والتغيير ، وتعددت الكتابات في هذا السياق وتنوعت الحلول ، ومع هذا التعدد برز اسم المفكر الجزائري " مالك بن نبي"* ، حيث شكلت مسألة النهضة حجر الزاوية في مشروعه الذي سماه بمشكلات الحضارة . مؤكدا على أن هذه المواضيع هي التي تستحق الاهتمام والدراسة ، ذلك أن مشكلة شعب ما هي مشكلة حضارته ، فسعى جاهدا للبحث عن آليات النهوض التي تمكن المجتمع العربي المسلم من مسايرة الركب الحضاري ، "ومالك بن نبي " لم يتمركز اهتمامه حول دراسة الأفكار والنماذج الحضارية السابقة فقط، للتعرف على الأزمات التي عصفت بكيان المجتمعات المسلمة عامة والمجتمع الجزائري خاصة ، بل هو المفكر الذي عايش مرحلة في تاريخ الجزائر مكنته من الاطلاع على حقيقة أزماته كالتخلف والاستعمار ، وهي المعايشة التي جعلته في النهاية يحلل المسألة بعمق وبنظرة أكثر شمولية ، تختلف عن التحليلات والحلول السابقة عنه ، سواء في العالم العربي الإسلامي أو في العالم الغربي ، إذ كتب مجموعة من المؤلفات التي تحتوي على الأسس والمعايير التي تمكن المجتمع

* هو مالك بن الحاج عمر بن لخضر بن مصطفى ، ولد في مدينة قسنطينة في 28 جانفي 1905.[أنظر:عبد الله بن حمد العويسي ، مالك بن نبي ،حياته وفكره ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ط1،بيروت،2012،ص51]،أهله تفوقه الدراسي للحصول على البكالوريا بامتياز ،ثم لتنقل إلى فرنسا وتابع دراسته بكلية الهندسة ، عاد إلى الجزائر ،لكنه رجع مرة أخرى إلى فرنسا حتى عام 1956،وبعدها سافر إلى القاهرة واستقر بها لمدة من الزمن ، ثم عاد إلى الجزائر سنة 1963، حيث تم تعينه مديرا للتعليم العالي ،لم يستمر في منصبه ، حيث قدم استقالته ليتفرغ بعدها إلى النشاط الفكري ، لاستكمال مشروعه الفكري " مشكلات الحضارة ".[أنظر مولاي الخليفة المشيشي : مالك بن نبي دراسة استقرائية مقارنة ،دار النايا ،سوريا ،ط1،2012،ص19.] ، توفي بتاريخ 1973/10/31بالجزائر ،أما بالنسبة إلى أهم مؤلفاته فيمكننا أن نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر :الظاهرة القرآنية ،وشروط النهضة ،ومشكلة الثقافة ،ووجهة العالم الإسلامي ، ومشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، وفكرة كومنولث إسلامي ....وغيرها ، [أنظر كذلك : عمار طالبي ،مالك بن نبي ومشكلات الحضارة ،مجلة الثقافة ،الصادرة بالجزائر عن وزارة الإعلام والثقافة ،العدد18،ص ص،12.13.

العربي الإسلامي من النهوض و البناء الحضاري ومن ثمة العودة لمسار التاريخ ، وكذا معوقات البناء الحضاري التي تقف في وجه كل محاولة للبناء الحضاري ، إذ نجده تبنى فلسفة للتغيير الاجتماعي ترتكز على الاهتمام بالإنسان ، والدور الذي تقدمه الفكرة في عملية التغيير والبناء الحضاري والإنسان متعدد الأبعاد والتي منها البعد القيمي ، الذي يشكل الروح المحركة والدافعة له إنها تشكيل للوعي المتمركز حول الدين والأخلاق والجمال والعمل ، وهي تمثل أحد جوانب الحضارة إضافة إلى الجانب المادي لها والذي يدفعه في النهاية لتحقيق التوازن المطلوب والهدف المنشود ، ومن هنا تتضح لنا الإشكالية الرئيسية المطروحة :

هل ساهمت القيم في البناء الحضاري عند مالك بن نبي ؟ وهل يمكن بناء حضارة بمعزل عن القيم في تصور مالك بن نبي ؟

وضمن هذه الإشكالية تتدرج تساؤلات فرعية :

-ما دلالة القيم لسانيا واصطلاحيا؟ وما المقصود بالبناء الحضاري في السياق البناني؟ وكيف ربط بن نبي بين القيم والحضارة ؟ ولماذا راهن مالك بن نبي على المنظومة القيمية كمنطلق لبناء الحضارة؟وهل المقاربة البنبية في هذا الاتجاه لها ما يبررها منهجيا ومعرفيا؟ إلى أي حد يمكن أن نتمثل هذه المقاربة راهنيا لتأسيس المشروع الحضاري المأمول ؟ وكيف قرأ الفكر العربي الطرح الذي تناوله بن نبي حول تجربته الحضارية؟

- استندنا في هذه الدراسة على المنهج التحليلي النقدي ، حيث من خلاله حللنا وبينا القراءة البنبية في هذا السياق، فضلا عن استعانتنا ببعض المناهج المرافقة كالمنهج المقارن ، والمنهج التاريخي وذلك وفق الحاجة المنهجية التي تطلبها عملنا هذا.

- ويعود اختيارنا لهذا الموضوع إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، أما بالنسبة **للأسباب الذاتية** فتتمثل في:

- إبراز مكانته المرموقة التي يمتلكها مالك بن نبي من بين المفكرين العرب وما أثاروه في الفكر الحضاري من أفكار جديدة.

- طرحه لمشروع حضاري من أهم المشاريع العربية التي لم تعالج في العالم العربي و الإسلامي.

- إعادة إحياء فكره الحضاري بعد التهميش الذي مس شخصه وفكره خاصة في بلده الجزائر .

- **الأسباب الموضوعية** :

- طغيان المواضيع المتعلقة بفكر مالك بن نبي مثل:الثقافة والتربية والتاريخ والسياسة والاقتصاد والحضارة أما البعد القيمي تكاد تكون منعدمة رغم اهتمامه بهذا الجانب.

- التيقن بأن فكر مالك بن نبي هو مشروع حضاري متميز ينطلق من الإنسان، إلى الثقافة والعلاقات الاجتماعية والتربية و الحضارة .

- الاهتمام العالمي بأفكار مالك بن نبي الحضارية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية وا ٍهمال هذا الفكر في بلده الجزائر.

- التعرف على مشروعه الحضاري المتميز عن بقية المشاريع الأخرى من أجل تفعيله واقعيا، للمساهمة في معالجة الأزمة الحضارية التي يعاني منها الوطن العربي والإسلامي عامة، والجزائر خاصة والتي دامت لعقود من الزمن .

- تتضح أهمية هذا الموضوع في كونه يعالج مسألة الانحطاط الحضاري والتي تعود في أساسها إلى عدم الاهتمام بدور القيم في عملية البناء الحضاري ، والتركيز على الجانب المادي فقط ، وهي مسألة راهنة تستوجب تفعيلها من أجل النهوض الحضاري .

- ولانجاز هذا البحث قمنا بمحاولة وضع خطة وفق المخطط الآتي :

- مقدمة تمهد للموضوع ، لنطلع القارئ على ما يحيط بالموضوع ولطرح الإشكالية الرئيسية ، وأهمية البحث وأهدافه ودوافعه وصعوباته .كما تم الاعتماد على ثلاثة فصول وهي كالآتي:

- **الفصل الأول** بعنوان : مقاربات مفاهمية و تأسيسية ويتكون من أربعة مباحث وهي:

المبحث الأول: المرجعية الفكرية والحضارية لمالك بن نبي .أما **المبحث الثاني : مفهوم القيم عامة ، وعند مالك بن نبي خاصة أما المبحث الثالث** فعنون بـ: مفهوم الحضارة بصفة عامة وعند مالك بن نبي خاصة .

- أما **الفصل الثاني** فكان بعنوان : دور القيم في البناء الحضاري عند مالك بن نبي والذي يتضمن أربع مباحث وهي كالآتي : **المبحث الأول** : تمحور حول الفكرة الدينية ودورها الحضاري ،و **المبحث الثاني** : دور القيم الأخلاقية في عملية البناء الحضاري ، أما **المبحث**

الثالث : فتمت عنونته بـ البعد الجمالي وأثره في صناعة الحضارة ، أما **المبحث الرابع فحمل عنوان** : أهمية المنطق العملي في تأسيس الحضارة .

- أما **الفصل الثالث** فأدرج تحت عنوان :الرؤية الحضارية لمالك بن نبي في ميزان النقد ، والذي يتكون من ثلاثة مباحث هم: **المبحث الأول** : راهنية المشروع الحضاري لمالك بن نبي ، أما **المبحث الثاني** : موقع الفكر القيمي البنابي لدى بعض المفكرين المعاصرين أما **المبحث الثالث** : المقاربة البنابية برؤية نقدية . ليتم إرفاق البحث بـ ملحق تضمن بعض الشهادات الحية حول مالك بن نبي وفكره ومشروعه الحضاري.

- وقد أردفنا كل فصل من الفصول بخلاصة لأهم النقاط والنتائج المستخلصة لنصل في الأخير إلى خاتمة البحث تضمنت أبرز النتائج المتوصل إليها.

-إنجاز نا لهذا البحث المتواضع كان مبنيا على أهداف ومقاصد ، حاولنا قدر المستطاع تحقيقها ومنها : تحفيز القارئ للاهتمام بفكر مالك بن نبي ، كونه يتميز بنظرة عالمية شاملة لبناء الحضارة ، ويتسم فكره بالبعد الإنساني والحضاري المتفتح عن غيره وفق قيم الحوار والتسامح والتعايش ، ونبذ ثقافة الصراع والسيطرة و الاستغلال .

- إبراز مدى مساهمة مالك بن نبي في مشروعه الحضاري في إيجاد الحلول لمسألة التخلف والانحطاط الذي نخر جسد الأمة العربية و الإسلامية ، وذلك بإعادتها لمسار التاريخ .

- أما بالنسبة لمرجعية الدراسة فقد اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع التي نراها تخدم دراستنا هذه بشكل مباشر.

- وفي فترة إنجازنا لهذا البحث واجهتنا جملة من الصعوبات والعوائق منها:

- عدم توفرنا على كتب ورقية حول مالك بن نبي وخاصة في ظل الأزمة الصحية .

- قلة الدراسات حول الجانب القيمي في الفكر الحضاري لمالك بن نبي،وا ٍن وجدت فهي إشارات فقط ، يغيب فيها التعمق وتداخل أفكار مالك بن نبي في مشروعه الحضاري.

- بالرغم من ذلك حاولنا قدر المستطاع مجابهة هذه العوائق والعمل على تجاوزها من أجل تحقيق أهداف هذا المشرع بالقدر الكافي .

في الأخير نأمل التوفيق والسداد في بحثنا هذا،""ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وا ٍليه مناب"".

الفصل الأول:

المرجعية الفكرية ومقاربات مفاهيمية تأسيسية

مدخل:

المبحث الأول: المرجعية الفكرية والحضارية لمالك بن نبي

تمهيد:

1-التيار العقلاني والمثالي

2- التيار البراغماتي

3- التيار الإصلاحي

4- التيار التاريخي والحضاري

5-البعد الجمالي أصوله وأثره في فكر مالك بن نبي

المبحث الثاني: .مفهوم القيم

تمهيد :

1-الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية

2 – مفهوم القيم عند مالك بن نبي : (الأخلاق ، الجمال ، المنطق العملي)

المبحث الثالث : مفهوم الحضارة

تمهيد:

1-الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية

2 -.مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي

3-مفهوم الثقافة .

نتائج الفصل

المبحث الأول: المرجعية الفكرية و الحضارية لمالك بن نبي

تمهيد:يقال عادة أن المفكر والعالم والفيلسوف هو ابن مجتمعه وبيئته ،إذ يحمل هموم مجتمعه ويحاول إيجاد لها الحلول ، لذا العديد من المفكرين والفلاسفة ، لم يكن إشعاعهم الفكري وليد عبقرية متفردة وا ٍنما يعود ذلك إلى تأثرهم بالأوضاع المختلفة لمجتمعاتهم سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية ، أو ثقافية وحتى سياسية ، استوعبوها بعمق ليبتكروا لها الحلول التي تؤدي إلى نهضتها وتطورها ، إن أي مفكر ، يرتبط بالعصر والوسط الاجتماعي ، عبر جدلية التفاعل بين الظروف والمؤثرات العامة المحيطة به. ومن بين هؤلاء المفكرين والفلاسفة الأفذاذ الذين نبغ فكرهم وشاع صيتهم ، المفكر الجزائري " مالك ابن نبي":

فما هي أهم التيارات الفكرية التي ساهمت في تكوين فكر و شخصية مالك بن نبي ؟

1- التيار العقلاني : من أهم المفكرين الذين تأثر بهم ووظفهم في كتاباته نجد :" **رونيه ديكارت** "1650/1556[1]، لذا نجد فلسفة ديكارت حاضرة وبارزة ، بوضوح في كتابات "مالك بن نبي" ، وذلك من خلال حديثه عن شروط النهضة، وعن ضرورة العقل ، حيث أن مبدأ الوضوح والبداهة ،يعتبرهما مالك بن نبي من بين العوامل التي تجعل الأفكار في العالم الإسلامي تتجه نحو إعادة بناء وتشكيل الإنسان الشاهد الحضاري، أضف إلى ذلك يعتبر رونيه ديكارت نقطة تحول جديدة في تاريخ الفكر الفلسفي ،إذ جاء بعده عدة تيارات فكرية عنيفة-متعصبة - قامت في أوروبا، فجاءت فلسفته وحولت تلك التيارات تحويلا جوهريا فهو أبو التجديد و التحديث[2] وا ٍننا نجد مالك بن نبي في سياق عرضه لأسلوب تحطيم الموروث القاتل لعملية النهوض الحضاري، من عادات وتقاليد لا فائدة منها- رواسب الماضي- التي أثرت على عملية النهضة في الحضارة الغربية، ومن أجل إعادة تكوين الأساس الفكري للحضارة الغربية، نجده يعترف بفضل العمل الفكري الذي قام به ديكارت، وثورته على الكثير من النظريات الفكرية القديمة وا ٍعادة رسم طريق جديد لها ، يقول مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة :"...وأتى بعده ديكارت بالتجديد الإيجابي الذي رسم للثقافة الغربية طريقها الموضوعي الذي يبنى على المنهج التجريبي ،ذلك الطريق الذي هو في الواقع السبب المباشر لتقدم المدينة الحديثة تقدمها المادي[3]،حيث بين فضل ديكارت في إرساء معالم الحضارة الغربية والتجديد فيها بأفكاره ومنهجه ، ويضيف قائلا :"فليس ثمة المقصود هنا من التجديد الإيجابي وضع منهاج جديد للتفكير ،فإن ديكارت قد وضعه بصورة لا نتوهم تغيرها إلا بانقلاب علمي هائل لا تحمله الظروف الآن"[4].

---

[1] - بوعرفة عبد القادر : **التيارات الفلسفية الغربية وأثرها على الفكر العربي** ، إشراف إسماعيل زروخي وأساتذة آخرون ،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ،د ط،2003،ص.ص80.81.

[2] - نجيب بلدي :**نوابغ الفكر الغربي** :ديكارت ، دار المعارف ، مصر ،ط2 ، 1968،ص14.

[3] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** :تر:عبد الصبور شاهين ،عمر كامل مسقاوي ،دار الفكر للطباعة والتوزيع ،دمشق،د ط،1976، ص86.

[4] - المصدر نفسه ، ص.ص 87.86.

2- **التيار المثالي**: يتمثل في مقولات الأخلاق والجمال والمنطق ، ويلاحظ حضور خفي لفلسفة"**بيندتو كروتشه** [1]. ويظهر هذا التأثير في مجال الثقافة وعناصرها: الأخلاقي والجمالي والمنطق العملي والفن والصناعة ولا يتحقق هذا المركب حسب مالك بن نبي إلا بالفكرة الدينية كإسمنت لهذا البناء يحفظه من الانهيار[2] . إذ يرى كروتشه أن للنشاط الروحي نظريا أو عمليا أربع مراتب وتلك هي : الجمال والحق والمنفعة والخير ، ويمثلها على التوالي :علم الجمال وعلم المنطق ، و الاقتصاد والأخلاق. وكروتشه يلحق الدين بالفلسفة لأنه في رأيه ينشد المطلق[3]. كما نشهد كذلك حضورا متميزا لفلسفة **هيجل جورج فيلهلم فريدريك*** وذلك في كتابات مالك بن نبي خاصة عند تطرقه لمفهومي اللحظة والإنسان وكذلك منهجه الجدلي ، إذ نجد هيجل يرى أن الإنسان لا يمكنه أن يعي ذاته وعيا تاما ،إلا من خلال لحظة وهي كل مرحلة من مراحل التحول المادي ، النفسيو الاجتماعي ،وهيجل اعتبرها علة الحركة وقوة الدفع وهي المنعطف الأخطر في التحول من السلب إلى الإيجاب باعتبارها لحظة وعي جدلي [4] . ويتحدث عن الإنسان من خلال حديثه عن عنصر الدين :"...وأخيرا جاءت المسيحية، هي اتحاد الواحد والكثير،...لقد بلغت المسيحية أسمى فكرة عن الله، لأنها تتصور الله قد خرج من نفسه ثم تجسد في الإنسان ثم عاد إلى نفسه ،ثم تجسد في الإنسان ، ثم عاد إلى نفسه مرة أخرى. إن في المسيحية ذلك السر العجيب الذي يلاءم بين النهائي واللانهائي، بين الإنسان وخالقه[5]. لذا فمفهوم الإنسان عند هيجل يغلب عليه طابع المثالية المتعالية والمحلق في المطلقية والنرجسية والذاتية ،بعيدا عن الواقع بخلاف مفهوم الإنسان عند مالك بن نبي الذي

---

[1] - بوعرفة عبد القادر :**التيارات الفلسفية الغربية وأثرها على الفكر العربي** ، مرجع سابق ،ص82.

[2] - البشير قلاتي :**هكذا تكلم مالك بن نبي** ،مكتبة إقرأ، الجزائر ،ط1،2000، ص 101.

[3] - أحمد أمين: زكي نجيب محمود : **قصة الفلسفة الحديثة**، مطبعة لجنة التأليف ،والنشر ، القاهرة ،ط5،1967،ص254.

* - **جورج فيلهلم فريدريك هيجل**:فيلسوف ألماني ولد سنة 1770 وتوفي سنة 1831 من أثاره : ظاهرية الروح وعلم المنطق [كميل الحاج :**الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي**،مكتبة لبنان ناشرون،لبنان ،ط1، 2000 ، ص647].

[4] - بوعرفة عبد القادر :**التيارات الفلسفية الغربية وأثرها على الفكر العربي** ، مرجع سابق ، ص83.

[5] - : أحمد أمين: زكي نجيب محمود :**قصة الفلسفة الحديثة** ،مرجع سابق، ص254.

كان قريبا من واقع المسلم الملتحم بالمبدأ القرآني والذي يسميه بالإنسان العقدي و الرسالي والحضاري ...كما أنه لا يمكن إغفال مدى إعجابه بالفكر النيتشوي" إذ تشعر أنه يدعوك إلى قراءته، من حيث توظيف "مالك بن نبي "لبعض آرائه المتعلقة بالإنسان الأعلى"[1] .هذه بعض آراء "**نيتشه فردريك**"* حول فكرة الإنسان الأعلى. الإنسان المتفوق يقترب من مفهوم الإنسان الأعلى في الإسلام، قال تعالى: "**...أنتم الأعلون...** "[2] إذ كان مالك بن نبي ينصح زملاءه في المهجر بقراءة كتاب، نيتشه "هكذا تكلم زرادشت "، والإنسان المتفوق عند نيتشه كنموذج لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان[3] ،حيث نجد مالك بن نبي قد وظف في بداية فصل عن الدورة الخالدة في كتابه شروط النهضة بمقولة لنيتشه يقول فيها :"إنه من السنن الأزلية أن يعيد التاريخ نفسه ،كما تعيد الشمس كرتها من نقطة الانقلاب "[4]. فمقولة عودة التاريخ هي التي جعلت مالك بن نبي يرى أن الحضارة تسير كما تسير الشمس ، كأنها تدور حول الأرض مشرقة في أفق هذا الشعب، ثم متحولة إلى أفق شعب آخر تتوفر فيه شروط الإقامة، يقول في "كتابه مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي" :"...إن الزمن يجري هنا في مراحل من ذلك الصعود ، بالفكر إلى لحظة شبيهة بلحظة زرادشت عند نيتشه حينما نزل من جبله حاملا رسالة "[5]. كما نجد اهتمام مالك بن نبي بفكر نيتشه من خلال بحثه في مسألة نشوء الحضارات وأفولها، فقد لاحظ أن نيتشه ومعه ديستوفسكي قد تنبؤوا بانهيارها، -أي انهيار الحضارات وخصوصا الحضارة الغربية ،وأيضا حضور البعد الديني في تكوين الحضارات- ميلاد ونضج وأفول وهنا يتفق معه مالك بن نبي الذي ربط ميلاد حضارة ما بالفكرة الدينية وفاعليتها ، وقد

---

[1] - بوعرفة عبد القادر :**التيارات الفلسفية الغربية وأثرها على الفكر العربي** ، مرجع سابق ،ص84.

* **فردريك نيتشه** :فيلسوف ألماني ولد سنة 1866 وتوفي سنة1962 ، من مؤلفاته : "ميلاد المأساة " و "هكذا تكلم زرادشت " [كميل الحاج :**الموسوعة الميسرة**، مرجع سابق ،ص616].

[2]- القرآن الكريم: سورة محمد ، الآية 35.

[3] -بوعرفة عبد القادر :مرجع سبق ذكره :ص84.

[4] -مالك بن نبي :**شروط النهضة** :مصدر سابق ،ص52

[5] -مالك بن نبي :**مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** :تر:بسام بركة،دار الفكر،دمشق،ط1، 2004، ص22.

اكتشف من خلال قراءته لفكر نيتشه عمق الشرق، وهذا لا يعني أن مالك بن نبي أخذ فكر نيتشه كما هو، بل حلله وأخذه كأمثلة تبريرية لأطروحته الحضارية سواء في البناء أو الدورة الحضارية.

3- **التيار البراغماتي:** تأثر مالك بن نبي أيما تأثر بهذا التيار وما يدعو إليه، هو ربط النظر بالعمل ، ربط الفكر بالواقع وبالنتائج العملية، والتأكيد على فكرة الفعالية والنجاح والواقعية، حيث قرأ مالك بن نبي كتاب لـ :"جون ديوي"*" كيف نفكر" مما وضع عقله وأفكاره باتجاه محدد [1] . ويتجلى هذا التأثير خاصة في مجال التربية بصفة عامة ، والتربية كأداة لحل المشاكل الحضارية (التربية الأخلاقية ، التربية الاجتماعية و التربية الجمالية ...) كأسلوب توجيه حضاري حيث نجد جون ديوي قد جعل من الفلسفة كلها نظرية في التربية ،وكان إيمانه كبيرا بالدور الذي تلعبه التربية في البناء الاجتماعي ،وهو الحافز الذي قاده إلى التأكيدعلى صحة آرائه التربوية عن طريق اختبارها عمليا ، وقد أنشأ لهذا الغرض " المدرسة المخبر" ليختبر فيها برامجه المدرسية ،ومناهجه التعليمية وقد عرفت المدرسة باسمه، كما نشر كتاب " عقيدتي التربوية"... أعرب فيه عن تصوره لدور التربية وهدفها ،كما أن التربية تتم عنده عن طريق مشاركة الفرد في الشعور الاجتماعي للجنس البشري ،وهذه المشاركة، تبدأ في الغالب بصورة لا شعورية منذ الولادة، وهي تشكل باستمرار قوى الفرد وتشبع شعوره وتكون عاداته، وتهذب آراءه ومبادئه وتستثير إحساساته و انفعالاته، وعن طريق هذه التربية اللاشعورية ، يشارك الفرد بالتدريج في الكنوز والذخائر العقلية و الخلقية التي ينجح المجتمع في جمعها ، ويصبح وريثا

* -**جون ديوي** :فيلسوف ومربي أمريكي ،ولد سنة....وتوفي سنة ....من مؤلفاته : " كيف نفكر "و" دراسات في النظرية المنطقية " ...[كميل الحاج :**الموسوعة الميسرة**،مرجع سابق ،ص245.]

[1] -البشير قلاتي :**هكذا تكلم مالك بن نبي** ، مرجع سابق ،ص34.

للمدينة كلها[1] ، كما يرى أن المدرسة ليست إعدادا للحياة ،بل هي الحياة ذاتها ولذلك فهي مؤسسة اجتماعية، والتربية هي عملية اجتماعية، لذلك المدرسة هي صورة الحياة الاجتماعية وهي الطريقة الأساسية للتقدم والإصلاح الاجتماعي[2].

وبهذا نجد مدى التقارب الكبير بين "جون ديوي" و"مالك بن نبي "في مجال التربية، حيث يرى مالك بن نبي :أن التربية لا تقتصر على تعليم التلميذ وتربيته بقدر ما تعبر عن تغيير ثقافي شامل ،أي تغيير الإطار العام الذي يعيش فيه الفرد ،وأن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة ويدرك الأهمية الكبيرة للعلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة ، فالتربية عند مالك بن نبي عملية اجتماعية تشمل جوانب الحياة بأسرها دون تحديد "[3].كما يتفقان في النظر إلى البعد الجمالي - القيمة الجمالية - فكلاهما ينظر له من ناحية تربوية ، ووظيفته الاجتماعية والحضارية كأداة لحل المشكلات العامة أو الجزئية ، التي تواجه الإنسان في حياته ، فأما "ديوي" فقد ربط الخبرة الجمالية بأبعاد تربوية كونها تساهم في تنمية القدرة على التذوق الفني وتنمية الابتكار. إذ نجده يقول : " إن أهمية التربية الجمالية تبدو واضحة ، ذلك أنها تعمل على اكتساب الخبرات اللازمة لذوي القدرات المختلفة كي يتمكنوا من القيام بالتعبير الجمالي ، كما أنه لا يحدث الابتكار من دون تحصيل وتفكير ومعاناة"[4] . أما مالك بن نبي فيرى :"...فالذوق الجميل الذي ينطبع في فكر الفرد، يجد الإنسان في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل وتوخيا للكريم من العادات ...ولاشك أن للجمال أهمية اجتماعية هامة ، إذا ما عددناه المنبع الذي تنبع منه الأفكار، وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال الفرد في المجتمع "[5].إذ يتفق كلاهما في

---

[1]-محمد جديدي :**فلسفة الخبرة عند جون ديوي** ، إشراف مختار بولخمايز ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،قسم الفلسفة ، جامعة قسنطينة ،1996-1997،ص227.

[2]- سعد مرسي أحمد **:تطور الفكر التربوي** :عالم الكتب ،القاهرة ،ط198611،،ص ص503.492..

[3]-البشير قلاتي :**هكذا تكلم مالك بن نبي** ، مرجع سابق ، ص ص193.192

[4]-جون ديوي :**الخبرة والتربية** ،تر ، محمد رفعت ، رمضان ونجيب اسكندر ،القاهرة ، مكتبة لأنجلو المصرية ند ط ،1954.ص22.

[5]-مالك بن نبي :**شروط النهضة** :مصدر سابق ،ص98.

النظر للجمال على أنه وسيلة لحل المشاكل الحضارية وله أبعاد تربوية عملية تغييرية حضارية أضف إلى ذلك، كلاهما ربط الذوق الجمالي بالأخلاق -تنمية السلوك الأخلاقي - نظرا لما للأخلاق من أهمية في حياة الإنسان ،حيث يقول جون ديوي :" إن الفن قد يكون أشد اتصافا بالصفة الأخلاقية من الكثير من مظاهر السلوك الأخلاقي ، و آية ذلك أن الأخلاقيات السائدة إنما هي تمثل بكل تأكيد ، إلى أن تصبح بمثابة إثبات للحالة الراهنة ، أو هي انعكاسات للعرف الاجتماعي أو تدعيم للنظام القائم ،وقد كان دعاة الأخلاق الذين عرفتهم البشرية شعراء...أصبح الفن وسيلة لاستبقاء الإحساس بالغايات التي تتجاوز الحقائق الواضحة"[1] .

إن براغماتية مالك بن نبي تظهر أثر الفلسفة البراغماتية ، (فلسفة العمل والمنفعة) في فكر مالك بن نبي في دراسة هذا الأخير للثقافة باعتبارها مقوم روحي ونفسي، يغذي الحضارة والمنهج في ذلك هو التوجيه والتربية كأسلوب للتغيير والبناء والتجديد الحضاري ،يقول مالك بن نبي : "فليست التربية مجموعة من القواعد والمفاهيم النظرية التي لا سلطان لها على الواقع و على عالم الأشخاص ،وعالم الأفكار وعالم الأشياء "[2]. فالتربية حسبه ليست مجرد مفاهيم نظرية، وا ٍنما هي أدوات للتغيير والتجديد والرقي ، يقول مالك بن نبي : "كل كلمة لا تحمل جنين نشاط معين ، هي كلمة فارغة ، كلمة ميتة مدفونة في نوع من المقابر، شبيهة بالقاموس"[3] .وهنا نلمس تأثير الفلسفة البراغماتية الأمريكية التي تعتبر الفكرة غير القابلة للتجسيد على أرض الواقع بأنها فكرة ميتة فارغة وجوفاء عديمة القيمة ، وهذا ما أشار إليه مالك بن نبي في فصول الثقافة وتحليلها حيث عبر عنه بالمنطق العملي، والعقل التطبيقي، وكذلك بمصطلح الفعالية ،وعدها فصلا ثالثا بعد الدستور الأخلاقي والذوق الجمالي ثم المنطق العملي هذا الأخير سوف نوضح أهميته الحضارية في الفصل الثاني ، هذا المنطق جذوره في الفلسفة البراغماتية بزعامة وليام جيمس الذي يؤكد على:"...أن الأفكار وسائل لتحقيق منفعة عملية

---

[1]-جون ديوي :**الفن خبرة** تر ،زكريا إبراهيم ،دار النهضة العربية ، القاهرة د ط ،1962.صص70.81.

[2]**- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع** :تر:عبد الصبور شاهين ،دار الفكر،دمشق،ط3،1986 ، ص99.

[3]- المصدر نفسه ، ص100.

وكل فكرة أو بحث لا يحمل بين طياته مشروعا قابلا لإنتاج آثار عملية نفعية يعتبر خرافة شأنه شأن الكلام الفارغ، وكل معتقد يكون مقبولا، مادام يترتب عنه آثار ونتائج عملية في حياتنا اليومية ..."[1] ،وعلى العموم يمكن أن قراءة مالك بن نبي لجون ديوي خاصة كتابه "كيف نفكر" و"توضح أفكارنا" تعرف من خلاله على الطابع العملي للمجتمع الغربي عموما والأمريكي خصوصا وأراد استثماره في المجتمع العربي والإسلامي من أجل العودة لمسار التاريخ وبناء الحضارة .

4- التيار الإصلاحي : إنه لا يمكن إغفال تأثير البيئة الاجتماعية والأسرية والمدرسية في فكر مالك بن نبي . فقد كان أول اتصال له مع حركة الوعي الوطني والديني عن طريق جدته لأمه (زوليخة) والتي يعتبرها مدرستة الأولى ، فقد غرست فيه الوطنية عن طريق قصصها ،الهادفة وكذلك القيم مثل:الإحسان والبر وا ٍذكاء الروح الوطنية والإسلامية فيه ، كما كان لحرص والديه على أن ينال تربية دينية ، الأثر البالغ في توجهه الفكري لاحقا، أما عن التأثير العربي والإسلامي الذي تركه فيه محيطه المدرسي ،فقد مارس عليه معلموه الجزائريون المثقفون بثقافة عربية وا ٍسلامية، سواء في مدرسة(سيدي الجيلي)،أو مدر سة (إعداد المعلمين). وسنحاول أن نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

4-1 **عبد الحميد بن باديس***: لقد كانت بداية جمعية العلماء المسلمين حسب رأي " مالك بن نبي " ، والتي اعتمدت على التربية والتعليم ويعد " ابن باديس " أبرز من اتبع هذا النهج في محاولته لإصلاح المجتمع الجزائري[2] .حيث يقول عنه مالك بن نبي :"...ولقد شذت حركة الإصلاح في الجزائر بفضل شخصية الإمام ابن باديس ،فهو الرجل الذي قدر بإشعاعه أن يبلغ أعماق الضمير الشعبي ..."[3] ، وهذا ما أقره مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة .حيث

---

[1]- وليام جيمس : **البراغماتية** : تر : محمد علي العريان ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د ط ، 1965 ، ص.ق 241.240.239.

* - **عبد الحميد ابن باديس**، مصلح جزائري،ولد سنة [1889،وتوفي سنة 1940].

[2] - أسعد السحمراني : **مالك بن نبي مفكر إصلاحي** :دار النفائس،بيروت،ط1، 1984، ص58.

[3] - عبد اللطيف عبادة : **صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي** :مؤسسة عالم الأفكار ،الجزائر،ط2، 2005 ، ص125.

يعترف بأثر جمعية العلماء المسلمين ،إذ يقول:" ولقد كانت حركة الإصلاح التي قام بها العلماء الجزائريين أقرب هذه الحركات إلى النفوس ، وأدخلها في القلوب ، إذ كان أساس منهاجهم الأكمل قوله تعالى : "**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** "[1]،فأصبحت هذه الآية شعار كل من ينخرط في سلك الإصلاح في مدرسة "ابن باديس "وكانت أساسا لكل تفكير ،فظهرت في كل خطوة وفي كل مقال ،حتى أشرب الشعب في قلبه نزعة التغير فأصبحت أحاديثه تتخذها شرعة ومنهاجا "[2] . ولقد أشار مالك بن نبي إلى التنوع والشمول في شخصية ابن باديس قائلا : "إن شخصية ابن باديس تجمع في طياتها ، جوانب بلغت من التنوع والغنى... فقد كان مربيا ، مؤمنا ومجتهدا ، يرجع إلى أصول الإيمان المذهبية ..."[3]. وتجدر الإشارة إلى أن اتصال مالك بن نبي بالحركة الإصلاحية ،كان طيلة وجوده بقسنطينة للدراسة ، وكان كثيرا ما يلتقي بتلامذة ابن باديس ،وقد شعر بوحدة الانتماء معهم ،حيث يقول :"...لقد شعرت بأنني وهؤلاء في اتجاه فكري واحد "[4] .كما طالع كذلك جريدة(الشهاب) لابن باديس وكان لها الأثر البالغ عليه ،كما طالع صحيفة (صدي الصحراء) للعقبي...[5] ، يمكن القول أن العامل الإصلاحي ترك أثرا في بناء شخصية مالك بن نبي حيث رسم له وجهته الفكرية، وحدد له الإطار الذي يتحرك فيه ،إذ عد نفسه واحدا من المصلحين ،غير أنه لا يعني أنه لم ينتقد الحركة الإصلاحية بصفة عامة والحركة الإصلاحية في الجزائر بصفة خاصة ومنها جمعية العلماء المسلمين بقيادة ابن باديس خاصة بعد انخراطها في القافلة التي ذهبت إلى باريس عام 1936 لمحاورة المستعمر، وهذا حسب مالك بن نبي أكبر خطأ ارتكبته

---

[1]- القرآن الكريم :سورة الرعد :آية 11,

[2]-مالك بن نبي :**شروط النهضة** : مصدر سابق ، ص27.

[3]-نقلا عن: عبد الحميد درويش : **ابن باديس و أراؤه الفلسفية**،ج1،مطبعة جامعة القاهرة،مصر،ط1، 1995 ، ص.ص23.24.

[4]- مالك بن نبي :**مذكرات شاهد القرن** ،الطفل والطالب ،دار الفكر المعاصر،دمشق،ط2، 2004 ،ص74.

[5]-المصدر نفسه ، ص105.

الجمعيـــة . جـــر الحركـــة الإصـــلاحية الجزائريـــة ، إلـــى أول انحرافهـــا عـــن المســـار" [1].

4-2 حمودة بن ساعي*: ذكر مالك بن نبي في كتابه مذكرات شاهد القرن-عن تأثره بـ حمودة بن ساعي- قائلا :"...فإن الساعي الذي كان يكبرني لم يكن مخلصا ذكيا ومثقفا بالعربية والفرنسية فحسب ،بل هو شخص مثالي وقدوة "[2] . فلقد ترك أثرا عميقا في البناء النفسي والفكري لمالك بن نبي منذ أن تعرف عليه في فرنسا ، وكان مدانا له باتجاهه ككاتب متخصص في شؤون العالم الإسلامي ، ومحولا اتجاه فكره من مدرسة اللاسلكي إلى فضاءات الفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ .كانت الكثير من النقاشات تدور في بيت مالك بن نبي ، مع صديقه حمودة وأخيه صالح حول مواضيع وهموم الوطن ، يقول مالك بن نبي :"كانت هذه المناقشات متنوعة، علمية أحيانا وسياسية أخرى ، ودينية واجتماعية غالبا ، أو مجرد نقد لتسيير الأمور في الجزائر من طرف المسؤولين عن المعركة الإصلاحية، أو الحركة الوطنية وكانت المناقشات كلها تدور حول محور الإسلام، الأمر الذي جعلني أستفيد من خبرة صديقي وسعة اطلاعه في الموضوع... لكني كنت أفيده من ناحية نسق ومنهجية الأفكار"[3].

4 -3 **محمد عبده*:** لقد كان لهذا المصلح المصري الأثر البين في الفكر الإصلاحي الجزائري خاصة على "مالك بن نبي " ، إذ تأثر به في مجال التربية ، التي جعل منها أساسا لتطور البلاد و ازدهارها . إن مالك بن نبي تأثر بمحمد عبده خاصة في اعتماده على منهج الإصلاح التربوي الاجتماعي ، باعتباره الطريق الرئيسي للنهوض ، لأن الخطوة الأولى لتحقيق الإصلاح يجب أن تبدأ من الفرد[4] . حيث يقر مالك بن نبي ،بالأثر الذي تركه محمد عبده

---

[1]- مالك بن نبي **: شروط النهضة** : مصدر سابق ،ص.ص28.29.

* -**حمودة بن ساعي** :ولد بباتنة سنة1902،رحل إلى باريس،وهو يحمل هما فكريا كبيرا،سجل في جامعة السوربون الشهيرة ،في قسم الفلسفة عاد إلى الوطن ، واستقر بباتنة ، توفي في 1998.

[2]- مالك بن نبي :**مذكرات شاهد القرن** ، مصدر سابق ، ص67.

[3]-المصدر نفسه ، ص252.

* -**محمد عبده** :مصلح مصري تتلمذ على يد جمال الدين الأفغاني ،ولد سنة[1905/1849].

[4]- أسعد السحمراني :**مالك بن نبي مفكر مصلح**، مرجع سابق ،ص.ص110.111.

خاصة من خلال قراءته لكتابه "رسالة التوحيد " ،يقول مالك بن نبي في هذا الصدد :"...هذان الكتابان أثرا على ما أعتقد في بناء جيلي من المدرسين .فأنا مدين لهما على كل حال بذلك التحول في فكري من تلك الفترة . لقد رسم لي كتاب أحمد رضا (الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق) مزودا بالشواهد الكثيرة بهاء المجتمع الإسلامي في ذروة حضارته ،وكان ذلك معيارا صحيحا نقيس به بؤسه الاجتماعي في العصر الحاضر، أما كتاب محمد عبده وهنا أتحدث عن المقدمة الهامة المترجمة حول الفكر الإسلامي عبر العصور، فقد أعطانا مستندا للحكم على فقره المحزن اليوم "[1].

5- التيار التاريخي والحضاري: تأثر"مالك بن نبي"بالكثير المفكرين المعاصرين الذين نبهوا إلى ضرورة العناية بمشكلات الحضارة ، حيث قرأ لهم وحلل أفكارهم و انتقد بعضها ووظف بعضها الأخر كشواهد (ذكرها في مؤلفاته ، في تفسيراته وتحليلاته التاريخية والحضارية و الاجتماعية وحتى السياسية و الاقتصادية)، ليبرز تفرده في تصوره الحضاري ، ويمكن أن نذكر على سبيل المثال:

5-1 عبد الرحمن بن خلدون*: إن قراءة كتب مالك بن نبي ، نشهد حضورا لفكر المؤرخ العربي " عبد الرحمن بن خلدون " في الفكر الحضاري البنابي، هذا المؤرخ عرف بعمله الموسوعي كتاب" ديوان العبر"، حيث تضمنت مقدمته على منهجية تاريخية ،و اجتماعية و أنثربولوجية ،لدراسة المجتمع الإسلامي خاصة ، والإنساني عامة ، و يظهر تأثر مالك بن نبي بابن خلدون ،من خلال اطلاعه في سن مبكرة على المقدمة ، وما كتبه عنه بعض المفكرين عنها حتى قيل عنه:" لقد كان مالك بن نبي أبرز مفكر عربي عني بالفكر الحضاري بعد ابن خلدون ،ومع أنه قد تمثل فلسفات الحضارة الحديثة تمثلا عميقا ،واستلهم في أحايين كثيرة

[1]-مالك بن نبي : **مذكرات شاهد القرن** : مصدر سابق ،ص56.

* -**عبد الرحمان ابن خلدون** مؤرخ عربي مسلم ولد بتونس ، سنة 1332:وتوفي في 1406من بين أثاره –المقدمة و ديوان العبر –[كميل الحاج الموسوعة الميسرة: مرجع سابق ،ص5].

أعمال بعض الفلاسفة الغربيين ،إلا أن ابن خلدون بالذات يظل أستاذه الأول ..."[1]. فقد سار مالك بن نبي على خطى ابن خلدون في دراسته للحضارة لاستعابها وتحليلها محاولا دراستها يقول مالك بن نبي:" لا على أنها سلسلة من الأحداث يعطيها التاريخ قصتها ، بل (ظاهرة) يرشدنا تحليلها إلى جوهرها ، وربما يهدينا إلى قانونها ، أي سنة الله فيها "[2] . فلقد كان تلميذا ذكيا للمؤرخ الكبير مستفيدا،فطنا من العلوم الاجتماعية المعاصرة ،وهو ما يعطي تأملاته ونظرته لواقع الأمة الإسلامية في كيفية النهوض بها، وتجاوز مرحلة التخلف والعودة لمسار التاريخ ، فرأى أن الحضارة ظاهرة إنسانية تمر بثلاث مراحل وهي: الميلاد والأوج والأفول (الروح والعقل والغريزة) معتمدا على نظرية الأجيال الثلاث التي شرحها ابن خلدون في مقدمته (الميلاد والا دهار والأفول)،وبالرغم من تأثره بالكثير من أفكار ابن خلدون التاريخية والتربوية والاجتماعية ، واتخاذها كمنطلق لفلسفته الحضارية ، إلا أنه يعارضه في بعض النقاط ووجه نقدا لأفكاره نذكر منها:الدورة الحضارية لا يشبهها بن نبي بحياة الكائن الحي ،بل يفسرها بقانون اجتماعي يعتبر شعار ا للتغيير الاجتماعي ،إذ أن كل مجتمع يملك إرادة تغيير أوضاعه وتعديل مساره "[3]. مصداقا لقوله تعالى:**"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "[4].** وبذلك فقد أعطى مالك بن نبي للقانون تفسيرا جديدا مبعدا إياه عن هذه الجبرية ،كما فتح بصيصا من التفاؤل والإرادة وتتجلى في إمكان المجتمع من تغيير أحواله ، وبذلك توجيه مساره التاريخي الحضاري[5] . كما انتقد مفهوم العصبية حيث يقول:"إذ تختفي عمق الفكرة خلف مصطلحات ضيقة ضحلةفقد رد نطاق الحضار ة إلى حدود العصبية الأسرية"[6] . ويضيف قائلا:"قد كان يمكن أن يكون أول من أتيح له أن يصوغ قانون الدورة التاريخية ، لولا أن

---

[1]-البشير قلاتي :**هكذا تكلم مالك بن نبي** : مرجع سابق ، ص.50.

[2]- مالك بن نبي :**شروط النهضة** :مصدر سابق ،ص71.

[3]-البشير قلاتي :**هكذا تكلم مالك بن نبي** ،مرجع سابق ،ص.ص 50.51.

[4]- القرآن الكريم :سورة الرعد :آية 11

[5]-البشير قلاتي : مرجع سابق ،ص71.

[6]-مالك بن نبي :**شروط النهضة** : مصدر سابق ، ص28.

مصطلح عصره قد وقف به عند ناتج من منتجات الحضارة ، ونعني به الدولة عند الحضارة نفسها "[1].فحسب مالكبن نبي ابن خلدون لم يدرس الحضارة وا ٍنما درس الدولة وهذا تفسير ضيق لا يستوعب الحضارة بمفهومها الشامل،فقد طورها، وصاغها في قالب تنظيري جديد أطلق عليها نظرية المراحل الثلاث للدورة الحضارية (مرحلة الروح ومرحلة العقل ومرحلة الغريزة).

2-5 أرلوند توينبي*: القارئ لمؤلفات مالك بن نبي ، يلاحظ حضور المؤرخ البريطاني أرلوند توينبي في الفكر الحضاري البنابي ،حيث اهتم هذا المؤرخ بالبحث في السنن والقوانين التي تساعد كيانات حضارية على الازدهار عبر التاريخ الإنساني الطويل ، وذلك في مجلده "دراسة التاريخ "، معتمدا في ذلك على منهج مقارن بين الحضارات ، حيث كان يرى أن الحضارة هي الوحدة التاريخية الحقيقية الجديرة بالدراسة .[2] لذا نظريته الحضارية ألهمت فكرة دورة الحضارة لدى مالك بن نبي ، يقول في ذلك مالك بن نبي مقارنا بينه وبين ماركس:" وضمن هذه العلاقة تبدو أفكار توينبي أدنى إلى الصواب من أفكار ماركس ،إذ الواقع أن نظرية التحدي تفسر السبب الذي يشترط التاريخ بغاية معينة...فالتحدي يستلزم عمليا تعاضدا أو ارتباطا تعاونيا معينا بين أفراد مجموعة بشرية معينة ، اقتضى منها وضعها الرد على هذا التحدي، بصورة جماعية متآزرة "[3] ، فقد اهتم مالك بن نبي بهذه النظرية (التحدي) وناقشها وحللها بطريقة نقدية ، وذلك من خلال كتابه شروط النهضة وكتابه ميلاد مجتمع ، فقد فسرها وصاغها على ضوء القرآن الكريم ،حيث بين أن العوامل النفسية تمثل عنصر التحدي بدلا للعوامل الجغرافية و الاقتصادية ، وتشكل القوة الروحية عنصر الاستجابة (رد الفعل) معبرا عن ذلك في كتابه " ميلاد مجتمع " قائلا : "يمكننا أن نصوغ إلى حد ما هذا الرأي (يقصد به

---

[1]- مالك بن نبي :**شروط النهضة** : مصدر سابق ،ص69.

* -**أرلوند توينبي** : مؤرخ إنجليزي ولد سنة 1879وتوفي سنة1975، من أثاره :دراسة التاريخ.

[2] - فوزية بريون :**مالك بن نبي عصره وحياته ،ونظريته في الحضارة**، دار الفكر ،دمشق ،ط1 ،2010،ص166.

[3]-مالك بن نبي :**شروط النهضة** : مصدر سابق ، ص ص.69.70.

رأي توينبي) صياغة جديدة في ضوء القرآن الكريم ، فقد نستطيع أن نصل بهذه الطريقة إلى تفسير واضح لمنشأ الحركة التي ولدت المجتمع الإسلامي ، وغايته في التاريخ ، وأن نفسر هذه الحركة بالعوامل النفسية ، التي حفزت القوة الروحية في هذا المجتمع ، أعني شروط حركته عبر قرون "[1] . فوجد أن القرآن وضع ضمير الإنسان المسلم بين حدين متوازيين هما الوعد والوعيد ،لا يمكن إغفالهما حتى يكون المسلم فعالا ،وبالتالي يقوم بوظيفته التاريخية والتي وجد من أجلها (صناعة التاريخ) وفي هذا الصدد يقول : "الوعد والوعيد أي أنه وضعه في أنسب الظروف التي من شأنها أن تحدث استجابة لتحد هو في أساسه روحي ،فالوعد هو الحد الأدنى الذي لا يوجد دونه جهد مؤثر، والوعد هو الحد الأعلى الذي يصبح الجهد من ورائه مستحيلا وذلك حين تطغى قساوة التحدي على القوة الروحية التي منحها الإنسان "[2].

إن الدين مصدر غيبي يستمد مالك بن نبي من ورائه تفسيراته الاجتماعية المختلفة وكل ما يتصل بالبناء الحضاري (الحضارة)، التي شكلت مركز اهتمامه الفكري ، لذا نجد كل من المفكرين لهم نزعة دينية روحية في تفسير التار يخ والحضارة وأطوارها ، وتشخيص أسباب قيامها ونهوضها أو أفولها وتلاشيها و اضمحلالها ، فالحضارة تشترط في قيامها فكرة دينية حتى تكون فعالة ،وهي التي تعالج الأمراض التي تصيب الحضارة ، غير أن توينبي قد أرجع التغيرات التي تحدث في التاريخ لأية أمة إلى عوامل طبيعية جغرافية بالدرجة الأولى .

6- البعد الجمالي أصوله وأثر ه في فكر مالك بن نبي :

إن ميل مالك بن نبي للجمال مستمد من أصول إسلامية نشأ عليها، وممتثلا لتعاليم الشريعة الإسلامية ، إذ نجده في كتابه شروط النهضة ،الباب الثاني المستقبل(التوجيه الجمالي) يفتتح هذا الباببحديث نبوي رو اه مسلم قوله صلى الله عليه وسلم:"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر،قال رجل :إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا ، قال : إن الله

[1]-مالك بن نبي :**ميلاد مجتمع** : مصدر سابق ، ص24.

[2]-المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .

جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق و غمط الناس"[1]. أراد مالك بن نبي أن يبين مدى اهتمام وعناية الشريعة الإسلامية بالبعد الجمالي وتنمية الذوق والحس الجمالي عند الإنسان المسلم وضرورة تمثله في سلوكه كفرد أو جماعة، وتوجد الكثير من النصوص الشرعية التي تحث على ذلك ، لذا فمالك بن نبي ينظر للجمال بنظرة ورؤية إسلامية حضارية (الجمال بوحي من العنصر الديني)، فنزعته للجمال تتغذى من الدين والعقيدة الإسلامية ،تضبطه وتوجهه شروط أخلاقية، بل هدفه نبيل وشريف إنساني وحضاري يجب أن يتجسد في سلوك الإنسان المتحضر و الرسالي . إلى جانب المؤثرات الدينية والإسلامية ، توجد مؤثرات فنية وجمالية اكتسبها مالك بن نبي من حلال قراءاته ومطالعاته للكثير من الكتب والدراسات الفكرية والفلسفية الغربية ، مثل قراءته لكتاب جون ديوي " الفن خبرة "،هذا على سبيل المثال فقط ،كما أنه عاش مدة في باريس -على وجه الخصوص- التي ساهمت في بلورة أفكاره التربوية (التربية الجمالية)"[2] ، فالحياة الباريسية كان لها أثر في تنمية وتطوير الذوق والحس الجمالي لمالك بن نبي ، بما فيها من نظام وتنسيق وقيم فنية وجمالية ، تسري في سلوك الناس اليومي مما دفعه إلى القول بتضمن الثقافة الغربية عنصر الجمال الذي يمكن أن نلاحظه في نفوسنا وأن يتمثل في شوارعنا وبيوتنا ومفاهيمنا[3]، ويقر مالك بن نبي في كتبه وخاصة "مذكرات شاهد القرن" ، بالفضل الكبير لزوجته الباريسية " خديجة "* في زرع بذور الذوق الجمالي، وذلك من خلال ملاحظة سلوكها ، فالنظافة والدقة في ترتيب الأشياء وتنسيقها وفنون الأشغال اليدوية وغير ذلك من الأعمال في الحياة اليومية، ذات بعد جمالي ، تحيي المناخ الاجتماعي وتزيده رونقا، وقد عبر عنه مالك بن نبي قائلا:"ما أن تنتهي من الأكل حتى تصبح المائدة وسط الغرفة ،

---

[1]- مالك بن نبي :**شروط النهضة** : مصدر سابق ،ص 97.

[2]- حامد عزيز :**التربية وبناء الحضارة في فكر مالك بن نبي** :مجمع الأطرش ،للكتاب المختص ،تونس ،د ط ،2014، ص47.

[3]-المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

* -**خديجة** :امرأة فرنسية تزوجها مالك بن نبي ، سنة 1931،أسلمت وسمت نفسها خديجة ، اسمها الحقيقي هو [سيليستين بول فيليبون] كان لها الأثر البالغ على فكر مالك بن نبي .

لتوضع عليها تحفة فيها باقة من الزهور تشتريها زوجتي كل مرة حين تذهب إلى سوق باب فرساي...فإني أقول:إن ابنتها (المقصود هنا أم زوجته) ولدت كذلك لكانت فنانا ماهرا في فن التجميل ، وربما تفوقه بما تصنع بيدها من آيات من الذوق ببعض من الخشب وببعض القماش المزركش من نوع الكريتون الرخيص جدا "[1]. ويلخص مالك بن نبي تأثير الجانب الاجتماعي الذي عاشه مع زوجته الفرنسية وخاصة الفكري منه في قوله:"والآن تمر أربعون سنة عندما تعود لفكري تلك الذكرياتأتصور أن الأقدار التي سخرتني وسيلة تعر فت خديجة بواسطتها على الإسلام،قد سخرتها لأتعرف على الوجه الأصيل للحضارة الفرنسية "[2]. لذا كان لخديجة الأثر البالغ لمعرفة مالك بن نبي للحضارة الغربية عامة،والفرنسية خاصة و بالخصوص الجانب الجمالي منها ، وفي هذا الصدد يقول مالك:" إنه دالة على التطور النفسي الذي سيجعلني من أشد الناس نفورا من كل ما يسيء لذوق الجمال ، ويعتبر ثورتي على بعض جوانب تخلفنا التي تصبح موضع السخرية...غير أن الاستعدادات التي تدفعنا إلى هذا الموقف كانت أصيلة في نفسي،وا ٍنما وجودي في فرنسا ومعايشتي لزوجتي،طورا هذه الاستعدادات إلى أفكار اجتماعية واضحة "[3]، لذا فالبذرة الجمالية لمالك بن نبي ساهمت في تكوينها مؤثرات بيئية ،أسرية ،مدرسية ودينية إسلامية أصيلة ، وطورها من خلال وجوده الشخصي في الحضارة الغربية، والتي ساهمت في تنميتها زوجته خديجة من خلال سلوكياتها وحسها الفني والجمالي ، وكذا قراءاته الفلسفية في مجال الفن والجمال ، هذا الأخير يعد فصلا من فصول الثقافة و التي تحدد نمط وأسلوب حضارة مجتمع ما في مسار التاريخ .

- نستنتج مما سبق :أنه قد ساهمت الكثير من المصادر والتيارات الفكرية في بناء وتكوين فكر وشخصية مالك بن نبي ،حيث تميز بتنوع مطالعاته وقراءاته للتراث الثقافي

[1] - مالك بن نبي :**مذكرات شاهد القرن** : مصدر سابق 273.

[2] - المصدر نفسه :ص 210.

[3] -مالك بن نبي :**شروط النهضة** : مصدر سابق ،ص106.

والحضاري للأمة العربية والإسلامية وكذا الغربية ،ليس ناقلا ومقلدا، بل ناقدا ومحللا،وظفها بذكاء وفق ما يتماشى ومشروعه الحضاري.

المبحث الثاني: مقاربة مفاهمية و تأسيسية:

أولا: مفهوم القيم:

تمهيد: لاشك أن الباحث في مجال معين، سواء تعلق بالأخلاق، أو الجمال أو المنطق العملي فإنه مطالب بتوضيح ماهية المفاهيم المراد معالجتها، والتي من بينها لفظ القيمة .وما المقصود بها سواء عند اللغويين أو عند فلاسفة الأخلاق ، فمن الصعب الإجماع على تعريف واحد للفظ القيمة نظرا لتعدد مجالاتها، و امتدادها وكذلك رؤية الفلاسفة والعلماء والمفكرين للقيم ،ولهذا سنحاول في هذا المطلب ضبط مفهوم القيم من زاوية لغوية ، ومن ناحية اصطلاحية ، فكيف تناولها علماء اللغة ؟ وكيف تناولها الفلاسفة؟ وكيف تناولها مالك بن نبي؟

1-المعنى اللغوي للقيمة: يطلق على لفظ القيمة في اللغة الفرنسية valeur وفي الإنجليزيةvalue وتنحدر هذه الألفاظ من الفعل اللاتيني الصرف valeo الذي يعني في معناه القديم (كما يذكر لالاند في موسوعته الفلسفية) الشجاعة[1]، هذا وقد تطور مفهوم القيمة في اللغة الأوروبية الحديثة والمعاصرة ، من معاني الشجاعة والصحة لتدل على :"ما يساويه الشيء أو الشخص، ثم على ثمن الشيء ثم على التقدير المعنوي الذي يستحقه ، ويحض به الشيء بناءا على قربه أو بعده من النموذج المثالي لذلك الشيء "[2].إن لفظ القيمة في الحقل الدلالي اللغوي الأوروبي تطور على غير المعنى الأول الذي ظهر فيه ، غير أن استعمالها ومعناها المعياري في المجال الأخلاقي ، لم يظهر ويتوسع إلا في النصف الثاني من القرن 19.

[1]- أندريه لالاند : **موسوعة لالاند الفلسفية** : تعريب خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ط2 ،2001 ،ص 1522.

[2]- رضوان رياد كيفن جيه أوتل ، **صراع القيم بين الإسلام والغرب** ، دار الفكر ، دمشق ، د ط ، 2010 ، ص24.

أما في اللغة العربية:فقد جاء في المعجم الوسيط:" أن قيمة الشيء هي قدره، وقيمة المتاع هي ثمنه، ويقال ما لفلان قيمة، أي ماله ثبات ودوام على الأمر"[1]. لذا فلفظ القيمة اسم هيئة يدل على المقدار والثمن، وذلك كما ورد في المعجم الفلسفي لجميل صليبا:" قيمة الشيء هي قدره وقيمة المتاع ثمنه ، وقيمة المرء ما يحسنه ، وما لفلان قيمة أي ماله ثابت ودوام عل الأمر"[2]. لذا فالقيمة في معناها اللغوي قد يحمل معنى الثمن والقدر، وقد جاء في لسان العرب، لابن منظور:" أن القيمة ثمن الشيء ، و استقامت طريقته فاستقام لوجهه ، ويقال كم قامت ناقلتك أي كم بلغت ، ويقال التقويم. يقول: هل استقمت المتاع ، أي قومته ، الجمع قوم وقيم ، قوم السلطة وا إسقامها ، ويقال أيضا:فلان(أقوم) كلاما من فلان،أي أعدل وأحسن وأصوب"[3] ونجد في القرآن الكريم قوله تعالى:**"فيها كتب قيمة "**[4]،بمعنى قيمة رفيعة مستقيمة و عادلة ، وكذلك في قوله تعالى:**"وذلك دين القيمة** "[5]بمعنى الدين الذي لا يحمل زيغ ولا باطل فهو الدين المستقيم ، لا عوج فيه معتدل .والقيم عند العرب : سيد القوم وقائدهم . والقيوم هو اسم من أسماء الله الحسنى ،وهو القائم على كل شيء .

إن ما يمكن قوله أن لفظ القيمة في الحقل الدلالي اللغوي يحمل عدة معان، ويتضح أنه يمكن أن يطلق على كل ماهو جدير بالاهتمام وبالطلب، مثل الأشياء المادية الثمينة ،وكل ماهو قابل للتقدير(قيمة الشيء) ،وتطلق كذلك على مجموعة الصفات الأخلاقية التي تجعل الفعل مرغوبا فيه مثل: الشجاعة و الاعتدال و الاستقامة، وبالتالي المستحسن بمقدار ما يزيد أو ينقص ،لذلك الدلالة اللغوية للفظ "القيمة"تتجاوز ما يدل على الثمن والمقدار في بعده الاقتصادي، ليشمل معنى ذات طابع روحي معنوي ، وأخلاقي وجمالي ومجالات أوسع .

---

[1]- إبراهيم أنيس و أخرون : **المعجم الوسيط** :مجمع اللغة العربية ،القاهرة ،ط2 ،1979 ، ص768.

[2]- جميل صليبا : **المعجم الفلسفي** :ج2 ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، لبنان ،د ط ، 1982 ،ص212.

[3]- ابن منظور :**لسان العرب** :ج3 ، دار إحياء التراث العربي،لبنان،ط3، 1999 ، ص .ص 500.506

[4]- القرآن الكريم :سورة البينة : آية 3.

[5]- سورة البينة : آية 5.

2- **المعنى الاصطلاحي للقيم**: يعتبر مفهوم القيم من بين أهم المواضيع التي عالجها الفلاسفة وعلماء النفس التربويين والاجتماعين وكذا رجال الاقتصاد وعلماء الدين...وذلك نظرا لدورها الفعال في بناء الأخلاق ، والنهوض بها لدى الفرد والمجتمع ، لذا تأخذ القيمة عدة معاني ودلالات اصطلاحية، وذلك تبعا لتعدد التخصصات والسياقات التي ينظر من خلالها الباحث لمعنى القيمة والهدف من ورائها، ومن بين التعاريف المقدمة للقيمة نذكر :

2-1 في المجال الاقتصادي : تعرف القيمة بأنها:" قيمة التبادل أي السعر المقدر للسلعة ويميزون بين القيمة والسلعة على أساس القيمة حقيقة،والسعر اعتباري وذلك راجع للتراضي بين المتبادلين للسلعة،ولهذا تكون القيمة أحيانا أكثر أو أقل من السعر"[1] ،وكما جاء في الموسوعة الفلسفية لـ: لالاند:" بأنها السمة الكامنة في الأشياء، والتي تجعل شيئا ممكن الاستبدال بشيء آخر"[2] .وتحمل معنى القيمة التبادلية - المبادلة - للأشياء كما تعني حسبه: " الثمن الذي نقدر به من الناحية المعيارية ما ينبغي دفعه مقابل غرض أو خدمة ما"[3]، والثمن قد يكون مساويا للقيمة أو زائدا أو ناقصا عنها ، لذا يمكن القول أن كلمة قيمة في لغة الاقتصاد تحمل معنيين:**الأول** : صلاحية الشيء لإشباع حاجة ويعني (قيمة المنفعة ،قيمة نفعية،استهلاكية)، **والثاني** : وهو ما يساويه متاع ما حين يستبدل به غيره في السوق ، وهذا يصطلح عليه (قيمة المبادلة ،وقيمة المنفعة لمتاع ما) .

2-2 في مجال علم النفس الاجتماعي التربوي: تعرف بأنها: " معيار اجتماعي ذو صفة انفعالية قوية تتصل بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة ويمتصها الفرد ، من بيئته الاجتماعية والخارجية ،ويقيم منها موازين يبرر بها أفعاله ويتخذها هاديا ومرشدا"[4].كما تعرف بأنها:محاكمات ومقياس نحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء ،والأعمال والموضوعات

---

[1]- عبد الرحمن بدوي :**الأخلاق النظرية**، الكويت ، د ط ، 1975 ، ص79

[2]- أندريه لالاند : **موسوعة لالاند الفلسفية**،مرجع سابق،ص1523.

[3]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[4]- فؤاد البيهي :**علم النفس الاجتماعي**، دار العربي ،القاهرة، د ط، د س، ص294

والمواقف الفردية والجماعية ، من حيث جنسها وقيمتها والرغبة بها ، أو من حيث سوؤ ها وعدم قيمتها وكراهيتها ، أو في منزلة معينة ما بين هذين الحدين"[1] ، إذ تصبح القيمة على حد تعبير محمد عابد الجابري:"تصبح حكما شخصيا يتطابق بدرجة ما مع مايراه المجتمع خيرا بالإطلاق ، وهي القيم المثالية التي تستعمل كمعايير لأحكام القيمة وتوجه النشاط الأخلاقي"[2] . لذا الموقف الاجتماعي يعتبر القيم مجموعة القوانين والمقاييس التي تسنها جماعة معينة وتتخذها كمعايير للحكم على الأفعال ، والأقوال والتصرفات داخل المجتمع .

2-3:**القيم في المجال الفلسفي** (ذاتية، موضوعية ، مطلقة، نسبية) ينقسم الفلاسفة بصفة عامة إلى قسمين حول هذا الموضوع :

الأول :يتمثل في اتجاه الفلسفات المثالية أو العقلية : حيث يرى **أفلاطون** أن الناس لا يعون مصادر الإلزام في حياتهم ، ومع ذلك فهم يدركون مثلا عليا ، ويتحدثون عن الحق والجمال والخير، ويرى أنه لابد أن يكون هناك مصدر استقى منه الناس هذه المعتقدات التي تؤدي بهم إلى هذا اللون من التفكير أو الحديث أو السلوك .ويخرج **أفلاطون** من هذه بالقول بأن مصدر هذه الإحساسات والأفكار السامية ، عالما آخر غير هذا العالم الذي نعيش فيه، - يقصد به عالم المثل العليا - عالم توجد فيه الأشياء كاملة ، كما يجب أن تكون ، وهو عالم الحق والخير والجمال (تتميز هذه القيم ، بالثبات ، والأزلية ،والأبدية ، والمطلقية، مثالية، مقدسة...) على حد تعبيره : القيم تسموا بنا فوق أنفسنا.

-أما إيمانويل كانط: فلم يلجأ إلى العالم الخارجي ، واهتدى إلى حل وأكد أن العلم والجمال والأخلاق والحق مصدرهم العقل والإرادة الحرة - إلزام داخلي - تفرضه الذات على ذاتها في شكل أوامر قطعية - واجبات أخلاقية تطلب لذاتها لا لشيء آخر -.

---

[1]- رمضان الصباغ ،**الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق** :دار وفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر ،ط1 ،1988 ، ص40.

[2]- محمد عابد الجابري : **نقد العقل الأخلاقي العربي ، دراسة تحليلية ، نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية** ،مركز الدراسات ، الوحدة العربية ، بيروت ،لبنان ، ط1 ، 2001، ص55.

أما الاتجاه الثاني: فيتمثل في الفلسفات الطبيعية والتجريبية والمادية ،وهي التي تعتبر القيم جزءا لا يتجزأ من الواقع الموضوعي - المادي - للحياة والخبرة والتجارب الإنسانية ،فالقيم حسبهم هي: من نسج التجارب الإنسانية أكانت خيرة أم شريرة ، صحيحة أم خاطئة ،قبيحة أم جميلة، و إنما هذه الأحكام نصدرها من واقع تأثيرها في هذه الأشياء وتأثرنا بها "[1].

ويندرج ضمن الاتجاه الثاني المدرسة الاجتماعية والاتجاه البراغماتي...الخ ،كما يمكن أن ننظر للقيمة من الناحية الذاتية : وهي طابع في الشيء يجعله مرغوبا فيه نسبيا لدى شخص أو لدى جماعة من الأشخاص"[2]،مثل اعتبار النسب عند الأشراف قيمة رفيعة ،وبالتالي القيمة تستمد من الصفات الذاتية الموجودة في الفعل، فتجعله مرغوبا فيه أو مرغوبا عنه . كما يمكن أن ينظر للقيمة من**الناحية الموضوعية** فهي: ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقا للتقدير كثيرا أو قليلا ، فإن كان مستحقا للتقدير بذاته كالحق والخير والجمال، كانت قيمته مطلقة ، وا ن كان مستحقا للتقدير من أجل غرض معين كالوثائق التاريخية، كانت قيمته إضافية"[3]. كما أن القيمة تأخذ معنى إيجابيا وتأخذ معنى سلبيا ، ويمكن القول على حد تعبير " رمضان الصباغ ":" إن القيمة بهذا المعنى البراق أو الإيجابي، تقابل أيضا المعنى الآخر وهو الجانب السلبي، حيث يرد ما هو ضار خاطئ وغير ملزم...ويسمى بعديم القيمة (valeur aucune) "[4].

يمكن القول أن القيم في الفلسفة تعددت دلالاتها بحسب تعدد المذاهب الفلسفية ونزعاتهم الفكرية،وتمحورت بين المطلقية والنسبية والذاتية والموضوعية، والواقعية والمثالية ، وارتبطت

[1]- معتز سيد عبد الله ، عبد اللطيف محمد خليفة : **علم النفس الاجتماعي** ،دار غريت للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،د ط ، د س ، ص353.

[2]- أندريه لالاند : **موسوعة لالاند الفلسفية** : مرجع سابق ،ص1523.

[3]- جميل صليبا :**المعجم الفلسفي** ج2،دار الكتاب اللبنانية،بيروت،لبنان،د ط،1982 ، ص213.

[4]- رمضان الصباغ :**الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق** : مرجع سابق ، ص40 .

بجميع مجالات الفلسفة :(منطق ،أخلاق، جمال،الدين ،الاقتصاد ،السياسة،العلم...الخ) و اهتم بها المفكرون والفلاسفة لأهميتها في حياة الإنسان وضرورتها الحضارية.

3- القيم في الفكر الإسلامي: وردت عدة تعاريف للقيم في المنظور الإسلامي نذكر منها: **ينظر للقيم على أنها:**"مكون نفسي، معرفي ،عقلي وجداني و أدائي ،مصدره إلهي ، يوجه السلوك ويهدف باستمرار إلى إرضاء الله"[1]. وهي أيضا:" المعتقدات والأحكام التي مصدرها القرآن والسنة التي يتمثلها المجتمع المسلم ، وبالتالي الفرد المسلم التي يتحدد على ضوئها علاقته بربه و اتجاهه نحو الآخرة ، كما يتحدد موقعه من بيئته الاجتماعية"[2]، فالقيم بذلك مصدرها الشريعة الإسلامية قرآن وسنة متمثلة في الأوامر والنواهي التي يلتزم بها المسلم وتحدد علاقته بربه من جهة ، وعلاقته بالغير من جهة أخرى ، هدفها تنظيم شؤون الحياة وضبط السلوك،كما ينظر للقيم أيضا على أنها:" مجموعة من المعايير تعبر عن الإيمان بمعتقدات راسخة مشتقة من مصدر ديني إسلامي، تملى على الفرد بشكل ثابت اختياره أو منهجه السلوكي، والقيم معنى جامع للشتات العلم والفن المرتبط بتقوى الله"[3]. والقيم الإسلامية تنحصر مصادرها في أربعة مصادر وهي:القرآن الكريمو السنة المطهرة ، الإجماعو القياس وتتوفر عناصر الثبات والمرونة والاستمرارية والشمولية والكونية – العالمية- في القيم الإسلامية .

- **يتضح من خلال ما سبق**:أن مفهوم القيمة(value) من المفاهيم التي يشوبها نوع من الغموض والخلط في استخدامها ، وذلك ضمن سياقات فكرية ومعرفية مختلفة،و اختصاصات عدة . لذا حظيت بالاهتمام من طرف الكثير من الباحثين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم الفكرية ،ولهذا من الصعب تحديد مفهوم واحد جامع ومانع للفظ القيمة،فمنهم علماء الدين وعلماء الاقتصاد وعلماء الاجتماع ، وعلماء النفس والرياضيات وعلماء الأخلاق والجمال و....إلخ،فلكل منهم مفهومه الخاص واستخدامه الخاص ضمن سياقه الخاص وتخصصه

[1]- إسحاق فرحات ، توفيق مرعي : **اتجاهات الشباب نحو القيم الإسلامية** ، الأردن ،د ط ، 1988،ص56

[2]- محمد شاكر كناني :**تصور جديد للقيم في المجتمع الإسلامي** ، جامعة أسيوط ، مصر ، د ط ، د س ، ص

[3]- نعمات أحمد فؤاد ، **علم النفس الاجتماعي** ، دار المعارف ، الأردن ،د ط ، د س ،ص41

لتحقيق أهداف خاصة ،ولهذا يرى" سميث ":" أن القيمة تطلق على كل ماهو جدير بالاهتمام الفرد لاعتبارات مادية أو معنوية ، اجتماعية أو أخلاقية ، دينية أو جمالية"[1]، لذا من الصعب التحكم في مفهوم القيم لغويا واصطلاحيا.

ثانيا:القيم عند مالك بن نبي :إن الملاحظ والدارس والمتتبع لكتب "مالك بن نبي " يجد أنه لم يتكلم بصفة خاصة حول مفهوم واضح للقيم، سواء من الناحية اللغوية أومن الناحيـــــــــــة الاصطلاحية، وا ٍنما جاء حديثه عن القيم ضمن سياقات فلسفته الخاصة ، وفي تأملاته وأفكاره الثقافية و الاجتماعية والتاريخية والتربوية والحضارية ، سواء في تشخيصه لعوامل انحطاط الحضارة ، أو لعوامل إعادة بنائها وتجديدها وبعثها من جديد في مسار التاريخ ، فقد جعلها تتماشى وتمارس على أرض الواقع ، بمعنى أن نظرة مالك بن نبي للفظ القيم ليست نظرية مجردة، بل نظر إليها نظرة عملية وتطبيقية ، وربطه بالوظيفة الاجتماعية والحضارية بعيدا عن كل قالب فلسفي ومذهبي و إيديولوجي، في هذا الصدد يقول:"إن الوقائع لا تلغى بفضل الألفاظ التي نختارها،فلكل مصطلحاته (...) أما نحن، فالذي يهمنا ليس المصطلحات وا ٍنما الواقع الاجتماعي الذي تعكسه هذه المصطلحات"[2]. فكيف نظر مالك بن نبي للقيم في مشروعه الحضاري ؟ وماذا يقصد بالأخلاق؟وماهو الجمال؟ وكيف نظر للمنطق العملي ؟وما هي أهمية القيمفي البناء الحضاري وفق التصور"البنانبى" ؟ وهل يمكن بناء الحضارة بعيدا عن القيم ؟

1- القيم الأخلاقية وفق تصور "مالك بن نبي" : يصرح مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة،وبالضبط في فصل التوجيه الأخلاقي قائلا :"لسنا نهتم هنا بالأخلاق من الز اوية الفلسفية بل من الناحية الاجتماعية ،وليس الأمر هنا أن نشرح مبادئ خلقية ، بل أن نحدد (قوة التماسك) الضرورية للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية ، هذه القوة مرتبطة في أصلها بغريزة(الحياة في الجماعة)عند الفرد،ارتباطا يتيح له تكوين القبيلة و العشيرة والمدينة

[1]- خليل عبد الرحمن معايطة :**علم النفس الاجتماعي** ،دار الفكر للطابعة والنشر والتوزيع ، عمان ،د ط ،2000،ص185

[2]- مالك بن نبي : **في الحضارة و الإديولوجيا** : تر محمد باي بغداد ،عالم الأفكار للنشر والتوزيع د ط ،2014،ص60

والأمة ..."[1]،فمالك بن نبي لم يهتم بوضع مفاهيم وتعريفات مجردة للأخلاق ، كما هو الشأن عند الفلاسفة بل ركز على الجانب العملي والواقعي فيها ، أي دورها في حياة الإنسان سواء كان فردا أو جماعة ، فالذي يهذب هذه الغريزة ويهديها هو الروح الخلقية السامية . ويقصد مالك بن نبي بالروح الخلقي، تلك الصلة التي توحد بين الإنسان ومثله الأعلى ، أما عن مصدر الروح الخلقي، فيربطها بالدين والعقيدة وفيها يقول:"هذا الروح الخلقي- المبدأ الأخلاقي- فمنحة من السماء إلى الأرض يأتينا مع نزول الأديان عندما تتولد الحضارات ،ومهمته في المجتمع ربط الأفراد بعضهم ببعض"[2]، ويستشهد مالك بن نبي بالقرآن الكريم مصداقا لقوله تعالى:" **وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم**"[3]، فالمبدأ الأخلاقي حسبه يستند إلى **الدين .** فما هو مفهوم الدين عند مالك بن نبي ؟ يعرف مالك بن نبي الفكرة الدينية بقوله:"هي توجيه الناس نحو معبود غيبي،ولو كان من نوع زمني ، أي في صورة مشروع يعيد الأمل،مثل بناء مجتمع جديد يضع حجره الأول جيل ، وتواصل بناءه الأجيال المتتابعة"[4]، فالفكرة الدينية هي كل فكرة تحفز الإنسان وتنقل اهتمامه إلى عالم القيم والمثل وتسمو بالذات نحو المستقبل ،فالفكرة الدينية هي:"... وحي يهبط من السماء يكون للناس شرعة ومنهاجا ، أو هي(على الأقل) تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي بالمعنى العام"[5]. يرى مالك بن نبي أننا لما نتأمل القرآن:"يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته كما تحكم الجاذبية المادة، وتتحكم في تطورها، والدين كما يبدو وكأنه مطبوع في النظام الكوني ، قانون خاص بالفكر ، الذي يطوف في مدارات مختلفة من الإسلام إلى أحط الوثنيات البدائية"[6]، فالدين قانون الفكر وقانون التاريخ فهو دافع من دوافع

---

[1]- مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة** :تر:عبد الصبور شاهين ،دار الفكر،دمشق،ط4، 2000 ، ص80.

[2]- المصدر نفسه ،ص نفسها.

[3]- **القرآن الكريم :سورة الأنفال :الآية:** 63.

[4]- مالك بن نبي :**شروط النهضة** : مصدر سابق ، ص.51.

[5]- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

[6]- مالك بن نبي :**الظاهرة القرآنية** : تر ،عبد الصبور شاهين ،دار الفكر ، دمشق ، سورية ،د ط ، 1984،ص30.

المنجزات البشرية عبر تاريخها ، كما يعرفه كذلك بقوله:"مركب القيم الاجتماعية ، وهو يقوم بهذا الدور في حالته الناشئة ، حالة انتشاره وحركته عندما يعبر عن فكرة جماعية "[1]، ويوضح الفكرة الدينية في كتابه القضايا الكبرى بقوله:"هي قانون عام يحكم فكر الإنسان ويوجه بصره نحو أفق أوسع ، ويروض الطاقة الحيوية للإنسان ، ويجعلها مخصصة للحضارة "[2]،غير أن مالك بن نبي لا يحصر الدين بالدين السماوي، بل حتى بالفكرة الوضعية تترك أثرا مثل : الشيوعية والرأسمالية و**...**الخ، لذا فالروح الأخلاقية تتكون لدى الجماعة انطلاقا من الدين السماوي الذي يستمد منه الدوافع والغايات التي تحدد للمجتمع التاريخي وجهته،فحسب مالك بن نبي هناك توافق بين لفظ الدين في اللغة اليونانية(religim)، والتي تعني الربط والجمع ومعنى الآية الكريمة ، لذلك الأخلاق حسبه مرتبطة بالدين والعقيدة الإسلامية وهي مقدسة،ولذا عرفت الأخلاق عند مالك ابن نبي بأنها:"محور النمو الاجتماعي والثقافي و الاقتصادي "[3]، فهدف الأخلاق الرئيسي هو تنظيم العلاقات الاجتماعية، فنجده يقول:"إن تنظيمه يجري طبقا لمقاييس وقواعد، وهي في حقيقتها قيم خلقية لم ينتجها،ولكنها تنظم نشاطه في سبيل غايته ، وكلما حدث إخلال بالقانون الخلقي في مجتمع معين ، حدث تمزق في شبكة العلاقات التي تتيح له أن يصنع تاريخه "[4]، لذا تنظيم أي مجتمع لا بد أن يقوم على القوانين الأخلاقية،وهنا نبه مالك بن نبي لدور الأخلاق في بناء إنسان الحضارة ،ويضيف قائلا في **كتابه تأملات**:" العلاقات الشخصية لا تقوم في أي مجتمع على غير أساس أخلاقي،ولما كانت شبكة الصلات الثقافية عبارة عن تعبير عن هذه العلاقات الشخصية في مستوى معين، فإن هذه الشبكة لا يمكنها أن تتكون دون مبدأ أخلاقي"[5]، ونظرا لأهمية الأخلاق في توجيه أي ثقافة وفي صلتها بالثقافة يقول مالك بن نبي:" المبدأ الأخلاقي يقوم بالضبط ببناء عالم الأشخاص الذي لا يتصور

---

[1]-مالك بن نبي :**وجهة العالم الإسلامي** :تر:عبد الصبور شاهين،دار الفكر،دمشق،ط1، 2002 ، ص193.

[2]- مالك بن نبي : **القضايا الكبرى** :دار الفكر المعاصر،بيروت،لبنان،ط1، 1979 ، ص11.

[3]-عبد اللطيف عبادة :**صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي** : مرجع سابق ،ص110.

[4]-مالك بن نبي :**ميلاد مجتمع** : مصدر سابق ، ص.ص52.53.

[5]-مالك بن نبي : **تأملات** : دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط1 ، 1979، ص148.

بدونه عالم الأشياء ولا عالم المفاهيم"[1]، فالأخلاق هي التي تنظم العوالم الثلاث التي تقوم عليها أية حضارة ، ويعبر مالك بن نبي عن مصطلح الأخلاق بعدة ألفاظ منها:(المبدأ الأخلاقي الروح الخلقي ،الفكرة الدينية ، العقيدةو الفلسفة الأخلاقية...الخ)، ففي كتابه مشكلة الثقافة يقول:"الأخلاق أو الفلسفة الأخلاقية هي أولى المقومات في الخطة التربوية لأية ثقافة"[2]، لقد ربط مالك بن نبي التغيير والتجديد الثقافي ومنه الحضاري ، بالقيم الأخلاقية سواء كانت دينية أو لا دينية وعدها جهازا دفاعيا تحمي شبكة العلاقات الاجتماعية ، والتي بدونها لا يمكن حدوث أي تحضر لمجتمع ما،ووضع الدستور الأخلاقي أول فصول الثقافة ،يقول مالك بن نبي في هذا الصدد:"جميع القوانين(الأخلاقية) التي أملتها السماء ، أو وضعتها محاولات البشر هي في حقيقة الأمر إجراءات دفاعية لحماية شبكة العلاقات الاجتماعية، وبدونها لا تستطيع الإنسانية أن تستمر لا أخلاقيا ولا ماديا"[3]، فالأخلاق حسبه سواء كانت دينية -سماوية - أو لا دينية - وضعية - هدفها واحد و هو تنظيم حياة الناس داخل المجتمع ، وهي كذلك معيار لفاعليته (الفرد أو المجتمع)، وهذا العنصر الحاكم لأسلوب المجتمع وسلوك أفراده،إنما يكمن في المبدأ الأخلاقي الذي يحدد سلوك الأفراد،كما أنه يحقق ارتباط الأفراد بأسلوب حياة المجتمع "[4].

ما يمكن أن نستنتجه : أن مالك بن نبي لم ينظر للأخلاق من زاوية الضبط الدلالي اللغوي أو الدلالي الاصطلاحي المجرد والضيق، كما فعل ألفلاسفة أصحاب الموسوعات والمعاجم الفلسفية ،بل تجاوز ذلك إلى عمق المشكلة ،وهي التركيز على بعدها العملي ووظيفتها ودورها في حياة الإنسان سواء كان فردا أو جماعة ،والدور الأساسي والمحوري الذي لا غنى عنه في ربط شبكة العلاقات الاجتماعية ، وتوجيهها وتنظيمها داخل منظومة ثقافية لمجتمع ما ،على اعتبار الثقافة هي من تغذي الحضارة ، فبناء الحضارة وا ٍعادة بعثها من جديد

[1]- مالك بن نبي : **تأملات، مصدر سابق**، ص148.

[2]-مالك بن نبي :**مشكلة الثقافة** : مصدر سابق ،63.

[3] - مالك بن نبي :**ميلاد مجتمع** :مصدر سابق ،ص94

[4]- مالك بن نبي :**أفاق جزائرية**،تر الطيب شريف،مكتبة النهضة الجزائرية،الجزائر ،د ط،1964،ص.ص 105.106.

لأي مجتمع ، وخاصة المجتمع المسلم والجزائري على وجه الخصوص ، الذي يتخبط في التخلف ، فالأخلاق لها وظيفة حضارية سامية ، وهذا ما سنعمل على توضيحه في الفصل الثاني .

2- الجمال في مفهوم مالك بن نبي (القيم الجمالية): إن مالك بن نبي لا يهتم بإعطاء تعريف دقيق للجمال من وجهة لغوية أو من وجهة اصطلاحية ، بقدر ما يهتم بالنزعة الجمالية من وجهة دخولها في تركيب الثقافة ، وتأثيرها على الإطار الاجتماعي،ومن هنا يمكن القول: أن تركيز بن نبي كان على التحديد الاجتماعي والحضاري للقيمة الجمالية، أكثر من عنايته بالمصطلح ذاته من ناحية النشوء اللغوي.

إن الجانب التربوي(التربية الاجتماعية والتربية الجمالية)،هو المهم في الجمال وهو الذي يوليه مالك بن نبي عناية كبيرة، وهذا اتساقا مع نظريته في فصول الثقافة ،التي يعد الذوق الجمالي أحد أبعادها الأربعة: لذا فالجمال له بعد حضاري، وقيمته حضارية، له تأثير عام يمس كل دقيقة من دقائق الحياة ، فإذا كانت الثقافة الفعالة تحتاج إلى نزعة أخلاقية تغذيها وتوجهها فهي كذلك تحتاج إلى ذوق جمالي ، وحس فني وقدرة على الابتكار والإبداع، وفي ذلك يقول مالك بن نبي:"عنصر الجمال يعد تركيبا لطائفة (...) من العناصر الثقافية ، فإذا حدد العنصر الأخلاقي شكل السلوك ، حدد العنصر الجمالي أسلوب الحياة في المجتمع"[1]،فالجمال عامل مهم في ثقافة مجتمع ما ، يساهم في بنائها وتكوينها ،لا يمكن الاستغناء عنه، ويضع مالك بن نبي الذوق الجمالي بعد المبدأ الأخلاقي مباشرة ، يقول مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة: "فالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد ،يجد الإنسان في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل ، وتوخيا للكريم من العادات"[2]، وأهمية الذوق الجمالي ، تكمن في كونه يطبع الصلات الاجتماعية بطابع خاص وهو كذلك الذي تنبع منه الأفكار التي بواسطتها تصدر أعمال الفرد في المجتمع ، والذي يضفي على الأشياء الصورة التي تتفق مع الذوق العام في المجتمع ،سواء

[1]- مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة** : مصدر سابق ، ص66.

[2]-مالك بن نبي :**شروط النهضة** : مصدر سابق ، ص98.

كان ذلك في اللباس أو الألوان أو الأشكال ، حيث يقول مالك بن نبي في هذا الصدد : "فالجمال الموجود في الإطار الذي يشتمل على ألوان وأصوات وروائح وحركات وأشكال، يوحي للإنسان بأفكاره ويطبعها بطابعه الخاص من الذوق الجميل، أو السماجة المستهجنة"[1]،إن مالك بن نبي في دراسته وتحليله للثقافة باعتبارها العنصر المغذي للحضارة ، والذي يطبع الحضارة بطابع خاص سواء في بنائها وتجديدها نحو رسم مسارها التاريخي،أو في عرقلة وا ٍعاقة كل محاولة لبناء الحضارة، وذلك من خلال أمراضها، حيث يربط الجمال بالمبدأ الأخلاقي،فهو يحرك الهمم إلى أبعد من المصلحة ، يقول مالك بن نبي:".وا ٍذا كان المبدأ الأخلاقي يقدر الاتجاه العام للمجتمع ، بتحديد الدوافع والغايات ، فإن ذوق الجمال هو الذي يصوغ صورته"[2] فأي حركة في طريق الحضارة لابد حسب مالك بن نبي أن تعمل على ترقية ذوقها الجمالي كما عملت على ترقية دستورها الأخلاقي ،ففعالية الثقافة مرتبطة بالتربية الجمالية ،يقول مالك بن نبي في هذا الصدد:"إن المقدرة الخلاقة مرتبطة دائما بالانفعال الجمالي، بل إن مقدرة الفرد على التأثير مرتبطة أيضا ببعض المقاييس الجمالية"[3]،فالتربية الاجتماعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتربيةللجمالية ، والتي تخلق في نفسية الفرد قابلية إلى الإحسان في العمل وا ٍتقانه وتقديسه وتقديمه في أحسن صورة وحلة ، وذلك يعبر عن ما يحمله الفرد في نفسه من نزعة فنية وذوقية جمالية ،غير أن مالك بن نبي يرى أن المسلمين اليوم تنقصهم هذه النزعة الجمالية ، ويكاد ينعدم في حياتنا ، بالرغم أنه كان موجودا عند أسلافنا ومرتبط بالدين الإسلامي(لا يعني عدم اهتمام الدين الإسلامي بالجمال ، بل اهتم به وحث عليه في الكثير من النصوص)، فلو كان موجودا لوظفناه في حل مشكلاتنا الجزئية والعامة[4]. ما يمكن قوله: أن مالك بن نبي عرف البعد الجمالي من خلال وظيفته الاجتماعية والحضارية ، فالجمال هو الإطار الذي تتشكل وتتكون

[1]- مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة** ، مصدر سابق ص82/**شروط النهضة** : مصدر سابق ، ص97.

[2]- مالك بن نبي :**تأملات** :مصدر سابق ، ص.ص 146.150.

[3]-مالك بن نبي :**مشكلة الثقافة** ، مصدر سابق ، 109.

[4]-مالك بن نبي :**شروط النهضة** : مصدر سابق ،ص98.

فيه الحضارة وهو العنصر الأساسي والنوعي والتقويمي الذي يشكل فيه الفعل ، ويحدد أسلوب الحياة في المجتمع ، فالجمال متصل بالأخلاق وبالثقافة وبالحضارة وهو الإطار الذي تتكون منه الحضارة عبر التاريخ .

3- مفهوم المنطق العملي(القيمة العملية) عند مالك بن نبي: المنطق العملي في تعريف مالك بن نبي ، لا يعني به ذلك الشيء الذي دونت أصوله ، ووضعت قواعده منذ أرسطو و إنما يعني به كيفية ارتباط العمل بوسائله ومعانيه ، أي استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة ، إذ نجده يعر فه في كتابه مشكلة الثقافة بقوله:" المنطق العملي(...) نعني به كيفية ارتباط العمل بوسائله ومقاصده ، وذلك حتى لا نستسهل أو نستصعب شيئا دون مقياس يستمد معاييره من الوسط الاجتماعي ،وما يشتمل من إمكانيات" [1]، هذا الارتباط في العمل يكون بوحي من الأفكار وذلك مع الوسائل والأهداف المنوطة بها في المكان والزمان ، وذلك بالاستناد على مقياس واقعي مرن، يخضع في حسبانه أقصى حد ممكن من المعطيات المستخلصة من الوسط الاجتماعي، واستغلالها استغلالا" **براغماتيا** "، لذلك فالمنطق العملي أو العقل التطبيقي أو الفعالية حسب مالك بن نبي ينطلق في إطار التبادل الخلاق بين الإنسان وبيئته ، من تلك الإرادة والانضباط العملي المشروط بالفعالية ،والذي ينعكس على مستوى الخاص والعام ،هذا المنطق يفتقده العالم الإسلامي(غيابه في مجتمعاتنا الإسلامية)، فنحن نفتقد لمثل هذا الضابط ، الذي يربط بين العمل وهدفه ، وبين السياسة ووسائلها ، وبين الثقافة ومثلها،وبين فكرة وتحقيقها ،يقول مالك بن نبي في هذا الصدد:" نحن أحوج ما نكون إلى هذا المنطق ، لأن العقل المجرد متوفر في بلادنا ، غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة و الانتباه ، شيء يكاد يكون منعدما"[2]، ويضيف قائلا:" إن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة ولكن منطق العمل والحركة ،فهو لا يفكر ليعمل بل ليقول كلاما مجردا، بل أكثر من ذلك ، فهو أحيانا يبغض أولئك الذين يفكرون تفكيرا مؤثرا ، ويقولون كلاما منطقيا من شأنه

[1]-مالك بن نبي :**مشكلة الثقافة** : مصدر سابق ، ص85.

[2]- المصدر نفسه ،ص86.

أن يتحول في الحال إلى عمل ونشاط "[1]،إن مالكبن نبي من خلال دراسته للثقافة و الحضارة الغربية وجد أن سر تطورها ورقيها، قيامها على المنطق العملي،(فلسفة براغماتية، وسبق لنا أن أشر نا لتأثيرها في فكر مالك بن نبي...) ،أما غياب المنطق العملي والتطبيقي في الحضارة والمجتمع الإسلامي ولد غياب الفعالية (اللافعالية) ومن ثمة السكون والركود في حياتنا اليومية وأعمالنا ،وهو مرض أصاب ثقافتنا وحضارتنا ،فأصبحت أعمالنا هزلية وعبثية ، تفتقد للجدية و إلى ضابط وتنظيم ، جعل ثقافتنا لا تعرف مثلها الأعلى ، وفكرنا عبارة عن أحلام وأوهام فارغ لا يعرف التحقيق ، فأصابنا العقم الاجتماعي، فخرجنا من مسار التاريخ ، يقول مالك بن نبي: "إن سياستنا تجهل وسائلها ، وثقافتنا لا تعرف مثلها ، وا ن ذلك كله ليتكرر في كل عمل نعمله وفي كل خطوة نخطوها، ولقد يقالإنّ المجتمع الإسلامي يعيش طبقا للقر آن ، ومع ذلك فمن الأصوب أن نقول:إنه يتكلم تبعا لمبادئ القرآن ،لعدم وجود المنطق العملي في سلوكه الإسلامي"[2]،فمالك بن نبي يربط قضية الفاعلية ، ربطا وثيقا بالمنطق العملي ، وجعله محكا للتمييز بين الصحة والصلاحية ، وأكبر عائق حسبه يواجه العالم الإسلامي، هو غياب منطق عملي ، حيث صارت محل سخرية من طرف المجتمعات الأخرى خاصة الغربية منها وصارت عاجزة ومشلولة ، لم تستطيع توليد ديناميكية اجتماعية ،والصعوبة لا تكمن حسب مالك بن نبي في صياغة المناهج النظرية والفلسفات الإدارية ، بقدر ما تكمن في معرفة المنطق العملي،أي " استخراج ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة "[3]، فالمنطق العملي له وظيفة حضارية وفيه تتجسد فعالية الفرد والمجتمع والإنسان المتحضر في التاريخ ، فمالك بن نبي لم يهتم بوضع تعريف لغوي أو اصطلاحي للمنطق العملي بقدر تركيزه على أهميته ودوره في بناء الحضارة وهذا ما سنعمل على توضيحه وتحليله في الفصل الثاني .

---

[1]-مالك بن نبي **: شروط النهضة** : مصدر سابق ، ص103

[2]- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه ، ص.ص103.102.

المبحث الثالث: مفهوم الحضارة :

تمهيد : سنتناول في هذا المبحث مفهوم الحضارة ، على اعتبار أن البحث في جوهره مرتبط بالحضارة، هذه الأخيرة نالت اهتمام الكثير من المفكرين ، سواء في العالم الغربي أو عند المسلمين ، ومن بين المفكرين العرب المسلمين ، نجد مفكرنا مالك بن نبي ، الذي أخذت كل جهده ووقته ، وجعلها مشكلة الإنسان ، ولكن لا يمكن الحديث عن مفهوم الحضارة ، عنده دون أن نعرج على بعض المفاهيم التي قدمت لها من طرف فلاسفة الحضارة ، والغاية من ذلك هو إبراز تفرد تصور مفكرنا في تعريفه للحضارة ، والملاحظ أن تعار يف المفكرين العرب والأعاجم تعددت ، في تحديد مفهوم الحضارة ، وذلك راجع إلى اختلاف مصادرهم الفكرية ، وكذلك تركيزهم على جوانب معينة في وضعهم لتعريف الحضارة ، انطلاقا من هذا نطرح الأسئلة التالية : ما مفهوم الحضارة في اللغة العربية واللغة الأجنبية ؟ وكيف عرفها الفلاسفة والمفكرين بصفة عامة ؟ وكيف عرفها مالك بن نبي بصفة خاصة ؟

أولا : الدلالة اللغوية والاصطلاحية للحضارة ":

1- **الدلالة اللغوية** :في اللغة العربية : جاء في لسان العرب ، لابن منظور الجزء الثالث :" أن الحضر خلاف البدو ، والحاضر خلاف البادي أيضا : المقيم في المدن والقرى ، والبادي المقيم في البادية ، والحضارة معناها : الإقامة في الحضر "[1]،من خلال هذا المفهوم يبدو أن ابن منظور يميز بين الإنسان الذي يعيش في البادية – البدوي – و الإنسان الذي يعيش في المدينة – المتحضر – أما عن زمن ظهور المصطلح الحضارة ، فيذكر " عبد المنعم الحفني " في معجمه الشامل ، أن مصطلح حضارة قد استخدم لأول مرة سنة 1704 م ، بمعنى التمدن أي التخلق بأخلاق أهل المدن واللبس مثلهم ، والسلوك كدأبهم والتحدث بلغتهم[2]، أما عن مفهومها : فإنه : " يأتي بعد هذا التاريخ باعتبار ، المدن حواضر ، جمع حضارة ، وهي المدينة الكبيرة ، الحضارة الغربية ، والحضارة الهندية ، والحضارة الأسيوية ، هي هذه

[1]- ابن منظور: **لسان العرب** :مرجع سابق،ص215.

[2] - عبد المنعم الحفني :**المعجم الشامل ،- المصطلحات الفلسفية** – مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر ،ط3 ،2000،ص301

الحضارات في مجموعها أو مجملها "[1] وذلك بما يسودها من أخلاق وأعراف وعادات وتقاليد ، وثقافات وطرق عيش مختلفة.

أما في اللغة الأجنبية :فإن لفظ civilisatiom مشتقة من civies التي تعني : متمدن ، وهو ما يفيد الرفعة في الذوق والتفكير والسلوك [2] ، يلاحظ هناك تباين حول تحديد مفهوم لها ، بين اللغة العربية واللغة الأجنبية .

2- **الدلالة الاصطلاحية** :الحضارة كمصطلح شأنها شأن مصطلحات العلوم الاجتماعية قدمت لها تعاريف عدة ، ولم تستقر على مفهوم واحد ، نظرا لكثرة الباحثين عن كنهها ، وعبر حقب تاريخية مختلفة ، مما جعل كل حقبة لها فلاسفتها ، ومفكروها وتوجهاتها ،ومذاهبها تبعا لما يسودها .

نجد " **أندريه لالاند** " يعرف الحضارة في موسوعته الفلسفية بأنها :" مجموعة ظواهر اجتماعية مركبة ذات طبيعة قابلة للتناقل ،تتسم بسمة دينية ، أخلاقية ، جمالية ، فنية ، نفسية أو علمية مشتركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض،أو في عدة مجتمعات مترابطة "[3] لقد أكد"**لالاند**" على ما تتضمنه كلمة حضارة ،من تطور علمي وتكنولوجي ، وكل منجزات وابتكارات هذا التقدم في جميع ميادين الحياة الإنسانية .

– كما نجد **ول ديورانت** يعرف الحضارة بقوله : " إن الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي ، وهي تتألف من عناصر أربعة : الموارد الاقتصادية ، والنظم السياسية ، والتقاليد الخلقية ،ومتابعة العلوم والفنون ،وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق لأنه إذا ما آمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع،وعوامل الإبداع والإنشاء"[4].

عرفها عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته الشهيرة بقوله : " والحضارة إنما هي تفنن في الترف

---

[1]- عبد المنعم الحفني :**المعجم الشامل ،- المصطلحات الفلسفية** ،مرجع سابق، ص301. -

[2]- سعيد محمد السقا : **فلسفة الحضارات ، وحوار الحضارات** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ،ط1،2013،ص.11

[3]- أندريه لالاند ، **موسوعة لالاند الفلسفية** ،مرجع سابق ط2،ص.172

[4]-ول وايريلد يورانت: **نشأة الحضارة**،ج1،تر،زكي نجيب محمود ، دار الجيل للطبع والنشر ، بيروت ،د ط، د س ،ص3.

و إحكام الصنائع المستعملة في وجودها ومذاهبها من المطابخ ، والملابس و... وسائر عوائد المنزل و أحواله ، فلكل واحد منها صنائع في إستجادته والتأنق فيه ، تختص به ويتلون بعضها بعض ، و تكثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم ، بأحوال الترف وما تتلون به من عوائد "[1]،فالحضارة عند عبد الرحمن بن خلدون تعني عيش حياة الرفاهية ، في شتى مجالات الحياة ، كما أن الحضارة عنده تتصل بالدولة كظاهرة سياسية عمرانية ،فالحضارة هي حضور الدولة ورسوخها ، وهذا ما يؤكده ابن خلدون في مقدمته فيقول : "إن الحضارة في الأمصار من قبل الدول وأنها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها "[2]، ويوضح أن السبب في ذلك هو أن:" الحضارة أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران،...، ويقع فيها عند الكثرة التفنن في أنواعها وأصنافها ، فتكون بمنزلة الصنائع ...وبقدر ما يتزايد من أصنافها تتزايد أهل صناعتها ،ويتكون ذلك الجيل لها "[3].

– يعرفها **أوزفالد إشبنغلر** بقوله:" إن الحضارة تولد في اللحظة التي تستيقظ فيها روح كبيرة وتنفصل هذهالروح عن الروح الأولية للطفولة... وا نها تولد وتنمو في تربة بيئة وأن الحضارة ككل كائن لها طفولتها وشبابها وشيخوختها، وأنها تموت عندما تحقق روحها"[4] ،فشبنغلر يشبه الحضارة بحياة الإنسان ويعطي لها أطوار ومراحل (الميلاد ، النضج والموت) كما يربطها بالروح .

يعرفها **صامؤيل هنتغتون** بقوله:"هي الكيان الثقافي الذي يضم الجماعات الثقافية ، مثل القبائل والجماعات العرقية والدينية والأمم وفيها يعرف الناس أنفسهم بالنسب ، والدين واللغة والتاريخ

---

[1]-ابن خلدون : **المقدمة** ،ج1، تحقيق عبد الله محمد الدرويش ،دار يعرب ،دمشق ،2004،ص338

[2]-عبد الرحمن ابن خلدون :**ديوان العبر المبتدأ والخبر ، في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن** الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ، لبنان ،ط1،2004،ص386

[3]- المرجع نفسه، ص 386 .

[4]- أوزفالد إشبنغلر :**تدهور الحضارة الغربية** ،ج1، تر،أحمد الشيباني ،منشورات دار مكتبة الحياة لبنان ،دط،د س،ص12

والقيم ، والعادات "[1]، فالحضارة عنده إذن هي الكيان الثقافي الذي يضم الجماعات الثقافية والعرقية والدينية والاجتماعية ،بدرجاتها المتفاوتة، والعناصر التي ذكرها هي عناصر الحضارة .

تجدر الإشارة :ولفت الانتباه أنكلمة حضارة تقترن بعدة ألفاظ أخر ى ومنها كلمة –الثقافة – هذه الأخيرة يكثر تداولها ، بصورة كبير ة على ألسنة العامة والخاصة ، وفي كتاباتهم ، لدرجة أنهم يستخدمون الواحدة منها بديلا للآخر في صورة توحي بأنهما مترادفان ، لذا وجب أخذ الحيطة والحذر، فقد حذر المفكر عبد المنعم الحفني" من الخلط بينهما لتقاربهما في المعنى فبين أن كلمة حضارة :" أخذت تطلق على مظاهر الحياة المتقدمة والمتطورة في المجتمعات الغنية -الآلات والخبرة في ميدان الإنتاج ،الثروة المادية – أما الثقافة فأصبحت تطلق على مظاهر الحياة الروحية ،والفكرية في كل مجتمع ، متقدما كان أم متخلفا" [2]،كأن نقول مثلا: الحضارة الغربية ، ونقصد بذلك التطور التكنولوجي ، والثقافة الهندية ، ونقصد بذلك كل ما يضعه المجتمع الهندي في المجال الروحي ، فالفرق بين الثقافة والحضارة يكمن في أن الثقافة من أهم خصائصها : أنها متراكمة ومكتسبة ، وتشكل عناصرها من جيل إلى جيل ، غير أن الحضارة وجه من أوجه الثقافة فهي: ثقافة متميزة ، باعتبارها نتاجا مستقلا يتميز به مجتمع معين ، دون غيره في فترة من تاريخه .كما تجو الإشارة كذلك أنه لم نورد تعار يف للكثير من الفلاسفة لمفهوم الحضارة ، وا إنما أوردنا البعض منهم على سبيل المثال، نظرا لطبيعة البحث والغاية منه وضع مقاربة مفاهمية لنصل لمفهوم الحضارة لدى مالك بن نبي، وهو جوهر بحثنا والكشف عن الرؤية البنابية لمفهوم الحضارة، ونحدد طابعها المتفرد والمتميز .

فكيف عرف مالك بن نبي الحضارة ؟ وما علاقتها بالثقافة ؟

ثانيا :مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي:توزعت بحوث ابن نبي عن الحضارة في العديد من كتبه ،ومقالاته التي أطرها بسلسلة وسماها ب " **مشكلات الحضارة** " ، والتي شغلت حيزا كبيرا

[1]-صامويل هنتغتون : **صدام الحضارات ،إعادة صياغة النظام العالمي** ، تر ، طلعت الشايب ، ط1999،2،ص.98

[2]-كمبل الحاج :**الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي** ، مرجع سابق،ص206

من مشروعه الفكري ، وذلك كما في:" شروط النهضة " و " أفاق جزائرية " و" مشكلة الثقافة " ، و" وجهة العالم الإسلامي " و " ميلاد مجتمع " ، و " قضايا كبرى " وغيرها من الكتب ، معتمدا العمق في التحليل ، و الاستفاضة في البحث للوصول إلى إبداع نظرية متكاملة ، في فهم الحضارة وأسباب نشوئها ومشكلاتها التي تعترضها فتؤدي إلى أفولها ومن ثمة خروجها من التاريخ .

لقد قدم " مالك بن نبي " للحضارة تعريفين : **أحدهما** تحليلي علمي ، ركز فيه على بنية الحضارة ، وكيفية تركيبها وعناصرها الأولية ،أما **الآخر** ، فهو تعريف وظيفي وذلك بالإشارة إلى دورها في التاريخ ، ليحدد حقيقتها الرسالية :

أما التعريف التحليلي: فإننا نجده يعرف الحضارة من الوجهة التحليلية ، (تحليل بنيتها) بالمعادلة الرياضية التالية : إن الحضارة = إنسان + تراب + وقت ، وفي ذلك يقول مالك بن نبي : "حضارة = إنسان + تراب + وقت ، وتحت هذا الشكل تسير الصيغة إلى أن مشكلة الحضارة ، تنحل إلى ثلاث مشكلات أولية : مشكلة الإنسان ، مشكلة التراب ، ومشكلة الوقت فلن نقيم حضارة بتكديسالمنتجات ، وا ٍنما بأن نحل المشكلات الثلاثة من أساسها"[1].فمالك بن نبي يجعل أي جهد أو منتج حضاري في صورة هذا التفاعل الأولي بين عنصر الإنسان صاحب الجهد المنجز ، وعنصر التراب بصنوفه الذي هو مصدر الإنجاز المادي ، وعنصر الزمن الذي هو شرط أساسي لأي عملية إنجازيه، يقوم بها الإنسان[2]، و باعتبار أن الحضارة إنجاز موجه في التاريخ ،فإنها إنتاج لفكرة تطبع صيغتها على جهد الإنسان فتميزها في التاريخ ولهذا لا يكتفي مالك بن نبي ، بهذه العناصر التركيبية الأولية للحضارة فقط ، بل يضيف إليها الفكرة المركبة ، التي هي الفكرة الدينية (الدين)، مركب القيم الاجتماعية ، ويقوم الدين بهذا الدور في حالته الناشئة ، حالة انتشاره وحركته عندما يعبر عن فكرة جماعية [3].

---

[1] -مالك بن نبي :**شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص45

[2] - بدران مسعود بن لحسن :**في مفهوم الحضارة** httb:htm.3205.40.showartic/nawafeth/ftb.islamtoday.com//

[3] -مالك بن نبي :**وجهة العالم الإسلامي** :مصدر سابق ،32

هذه العناصر الثلاثة – كما يرى مالك بن نبي – تتفاعل فيما بينها بفعل الشرارة التي تحدثها الفكرة الدينية ، وتتحقق في واقع تاريخي يقتضي وجود مجموعة من العلائق، تحقق وحدة العمل التاريخي ، وهي ما يسميه "مالك بن نبي"(شبكة العلاقات الاجتماعية) [1]، وشبكة العلاقات الاجتماعية ،هي العنصر التركيبي الآخر ،الذي يتحقق بوجوده الجهد في صورة إنجاز حضاري في التار يخ[2]. إن ما يمكن قوله أن الحضارة من وجهة تحليلية تتكون وتقوم على عناصر : الإنسان والتراب والزمن ، (يسميها مالك بن نبي بالعدة الدائمة)، في وجود شبكة العلاقات الاجتماعية التي تشكل الميلاد الحقيقي للمجتمع في التاريخ ، و بدايته تبدأ بالفكرة الدينية –الروح -.

أما التعريف الوظيفي : فيعرف مالك بن نبي الحضارة في كتابه" القضايا الكبرى" وكذلك كتابه " أفاق جزائرية " ، من الناحية الوظيفية بقوله:" ...هي مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده ، منذ الطفولة إلى الشيخوخة ، المساعدة الضرورية له في هذا الطور ، أو ذلك من أطوار نموه فالمدرسة والعمل والمستشفى ، ونظام شبكة المواصلات ، والأمن في جميع صوره عبر سائر تراب القطر ، و احترام شخصية الفرد ، تمثل جميعا أشكالا مختلفة للمساعدة التي يريد ويقدر المجتمع المتحضر على تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه [3]، لذا فالحضارة هي ذلك العمل الاجتماعي الذي يقوم به المجتمع في سبيل توفير الضمانات التي تؤهل الفرد لممارسة دوره في التاريخ .هذه الضمانات شروط ذات وجهين مادية ومعنوية ، وبعبارة أخرى ، إنها في الواقع جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما ، أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره ، فالفرد يحقق ذاته بفضل قدرة وا ٍرادة تنبعان من المجتمع

[1]-مالك بن نبي :**ميلاد مجتمع** : مصدر سابق ، ص.27

[2]-مالك بن نبي :**فكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ** ، دار الفكر ، دمشق ،د ط، 1981 ، ص143

[3]-مالك بن نبي : **القضايا الكبرى** :مصدر سابق،ص43" ،

الذي هو جزء منه [1] ، فالحضارة بذلك هي أداء اجتماعي لمجتمع ما في التاريخ ، كما أنها عبارة عن أطوار اجتماعية ، يمر بها المجتمع عبر تاريخه الطويل ، وهذا إشارة إلى الظاهرة الدورية للحضارة ،فبجهود فلاسفة التاريخ و استقراء تاريخ الحضارات ، تبين لنا أنها في تحول و انتقال مستمرين ، وكل تحول يحدث ميلاد صورة جديدة يقول مالك بن نبي في هذا الصدد : " فلقد جاءت حضارات وذهبت حضارات ، ولكن الحضارة بمعناها العام ، قد استطاعت في كل مرة أن تعود ، فتتجسد في صورة مجتمعات متحضرة "[2] .

إن هذا التعريف الوظيفي للحضارة عند مالك بن نبي ، يمتاز بطابعه الشمولي ، حيث يجمع فيه بين القيم الأخلاقيةوالمادية ، وا ٍذا فقدت الحضارة إحدى القيم تنهار ، وتدخل في مرحلة ما بعد التحضر ، وتخرج من التاريخ ،ويتكون مفهوم الحضارة عند بن نبي ، من عدة محاور ترتكز على انسجام الجهود الإنسانية وتكاملها مع قوانين النهوض المادي والمعنوي ، وجملة الشروط الخاصة بالنمو و الازدهار في شتى المجالات ، الفكرية والروحية و الاقتصادية ، في الواقع المعيش[3].

يمكن القول:أن مالك بن نبي في تعريفه للحضارة ، نظر إليها من زوايا متعددة لتحقيق أكبر قدر ممكن من الشمول في فهم وا ٍدراك حقيقتها وماهيتها، ومن ثمة وظيفتها لإدراك حقيقتها الرسالية ، غير أننا من خلال تتبعنا لبناء مفهوم الحضارة عنده ، نجده يربطها بلفظة الثقافة ربطا وثيقا .فماهو مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي؟وما علاقتها بالحضارة؟

ثالثا: **مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي** : في الحقيقة لم يضع علماء المسلمين والعرب – في الز من الماضي – مفهوما اصطلاحيا للثقافة ، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن هذه الكلمة لم تكن شائعة في الاستعمال في تراثهم الأدبي وعلى هذا الحال جاء تعريف الثقافة بالمعنى الاصطلاحي كتعريف حديث ، وعلى الرغم من تعدد تعاريفها إلا أنها جميعها اتفقت في

[1]-مالك بن نبي **: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** : مصدر سابق ، 42

[2]- مالك بن نبي :**ميلاد مجتمع** : مصدر سابق ، ص32

[3]- جيلالي بوبكر **: البناء الحضاري عند مالك بن نبي**، دار المعرفة ، الجزائر ، د ط ، د س ، ص38

المضمون وا ٍن تنوعت الصياغات [1]، يقول مالك بن نبي في كتابه مشكلة الثقافة:"إنه لا أثر لكلمة(ثقافة) في لغة ابن خلدون الذي يعتبر المرجع الأول لعلم الاجتماع العربي في العصر الوسيط"[2]، وبعدد وتنوع تعاريف الثقافة ، نجد أن أقدم تعريف لها هو تعريف مالك بن نبي الذي قدمه في كتابه " مشكلة الثقافة " والذي يقول فيه:" إن كل ثقافة تركيب عام لتراكيب جزئية أربعة: القيم الأخلاقية ،الذوق الجمالي ،المنطق العملي والصناعة ...." [3]، فالثقافة في ظل هذه الأبعاد الحيوية ، يمكن تعريفها عمليا حسب مالك بن نبي على النحو التالي:" إنها مجموعة من الصفات الخلقية ، والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته ، وتصبح لاشعوريا، العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"[4]، يعلق مالك بن نبي على تعريفه المركب قائلا:" وهذا التعريف الشامل للثقافة هو الذي يحدد مفهومها ، فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة ، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر، وهكذا نرى أن هذا التعريف يضم بين دفتيه فلسفة الإنسان و فلسفة الجماعة ، أي (معطيات) الإنسان ، و(معطيات) المجتمع ، مع أخذنا في الاعتبار ضرورة انسجام هذه المعطيات في كيان واحد ، تحدثه عملية التركيب التي تجريها الشرارة الروحية عندما يؤذن فجر إحدى الحضارات "[5]. إن مالك بن نبي ربط ربطا وثيقا بين الثقافة والحضارة ، الثقافة عنده " نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة ،فهي ليست علما يتعلمه الإنسان بل هي محيط يحيط به ، وا ٍطار يتحرك داخله ، فهو يغذي جنين الحضارة ، في أحشائه إنها الوسط الذي يتكون فيه ، جميع خصائص المجتمع المتحضر...، وبعبارة جامعة : هي كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة، ويحدد قطبها من عقلية ابن خلدون وروحانية الغزالي ، أو عقلية (ديكارت) وروحانية(جان دارك)

[1]- جميلة بن عيادة الشمري : **مفهوم الثقافة في الفكر العربي والفكر الغربي** ،مرجع سبق ذكره .ص7.

[2]- مالك بن نبي :**مشكلة الثقافة** ، مصدر سابق ،ص20.

[3]- المصدر نفسه ،ص74.

[4]- مالك بن نبي :**شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص89.

[5]- المصر نفسه ،ص.ص،89.90/ أنظر كذلك :**مشكلة الثقافة** :مصدر سابق ،ص74

هذا هو معنى الثقافة في التاريخ "[1]، وهكذا يتجلى لنا من خلال تعريف مالك بن نبي " للثقافة " أنه يتعدى حدودها النظرية العلمية التي حددت بها في المعسكرين : الماركسي والرأسمالي (الأول نظر إليها على أنها فلسفة مجتمع، أما الثاني فنظر لها أنها تمثل فلسفة إنسان) ، أما مالك بن نبي فنظر لها أنها تمثل فلسفة الإنسان وفلسفة المجتمع معا ، ونظر إلى وظيفتها السلوكية الاجتماعية ، أما عن علاقة الثقافة بالحضارة حسب مالك بن نبي فتكمن أساسا في مهمتين أساسيتين للثقافة تخصان الناحية الحيوية والناحية التربوية في عملية نمو المجتمع وتحضره ، لذا فالثقافة هي دستور تتطلبه الحياة العامة ، وهي الجسر الذي يعبره الناس إلى الرقي و التمدن والتحضر ، وهي كذلك الحاجز الذي يحمي ويحفظ بعضهم الآخر من السقوط من أعلى الجسر إلى الهاوية، وهي التي تغذي الحضارة ، وتضفي عليها الطابع الخاص ضمن الحضارات الأخرى .

نتائج الفصل الأول :

تنوع وثراء المصادر الفكرية لمالك بن نبي ،يرجع إلى تعدد قراءاته ومطالعاته للتراث الثقافي والحضاري للأمة العربية والإسلامية من جهة، والتراث الثقافي والفكري للحضارة الغربية من جهة أخرى، مما بين أنه لا يفصل بين الجانب النظري والجانب التطبيقي ،وذلك في فكره الاجتماعي والاقتصادي ، والسياسي والتربوي من أجل النهوض بالأمة العربية الإسلامية والعودة بها إلى مسار التاريخ ضمن الحضارات الأخرى .

ازدواجية اللغة عند مالك بن نبي – اللغة العربية واللغة الفرنسية - سهل عليه قراءة ومطالعة الكثير من الكتب لمفكرين عرب ومسلمين، ومنهم الغربيين،على تنوعها وثرائها ، إذ أحسن استثمار أفكارهم وتوظيفها بذكاء و حذاقة ، مع طبيعة فكره وخصوصية مجتمعه ،فهو ليس مقلدا أو ناسخا بل ينتقي ويختار ما يناسبه من أفكار ونظريات تارة يستخدمها كشواهد

[1]-مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة** ، مصدر سابق ، ص.ص 76.77.

وتارة أخرى ينتقدها ويعدلها ويحورها حتى تتماشى وطبيعة فكره ومنهجه ومشروعه الفكري الحضاري .

إن تعريفات القيم سواء من زاوية لغوية أو اصطلاحية، تبقى متعددة وتخضع لتوجهات المفكرين والفلاسفة ، ذلك أن رجل الاقتصاد مثلا : ينظر للقيم بمنظور اقتصادي بحت ، ونفس الأمر بالنسبة لفلاسفة الأخلاق وفلاسفة الجمال ، ورجال الدين ، وعلماء النفس والاجتماع ورجال التربية و... سواء كان هذا المفهوم في حقل الفلسفة الغربية، أو حقل الفلسفة الإسلامية لذا من الصعب جدا التحكم في المفهوم المرتبط بالقيمة.

صعوبة تحديد مفهوم – تعريف – واحد لمصطلح الحضارة ، يعود بالأساس لكونه ينتمي إلى حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية ، لذلك اختلف التعريفات لها حسب كل مفكر عبر الزمان والمكان ،سواء كانوا عربا مسلمين أو غربيين ، ولقد تباينت النظريات والمذاهب الفكرية والأسس التي تكون سببا في قيامها ، وما يلاحظ أن هذه النظريات لم تقدم تفسيرا وتعريفا شاملا لها ، لذا نجد مالك بن نبي من خلال قراءاته ومطالعاته للتراث الفكري السابق عليه - فلاسفة التاريخ والحضارة – وتحليلها ونقدها، حاول أن يقدم للحضارة مفهوم أكثر شمولية لإدراك حقيقتها وماهيتها ووظيفتها الرسالية ، ففي تعريفه لها نظر لها من عدة زوايا، وذلك لتحقيق أكبر قدر من الشمول في فهما ، فقد عرفها تعريفا تحليليا ، كما عرفها من حيث وظيفتها باعتبارها مجموعة من الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع ما الضمانات اللازمة لتطوره ، فالحضارة حسبه أداء اجتماعي لمجتمع ما في التاريخ ،لذا ينفرد مالك بن نبي بالجمع بين القيم الأخلاقية والمادية ، وخلق التوازن بينهما لتحقيق التحضر، وا إذا اختل التوازن بينهما أصابت الحضارة أمراض ، بفعلها تنهار وتخرج من التاريخ ،وللعودة من جديد لمسار التاريخ يجب إعادة بناء وتوجيه الثقافة وتربية الإنسان كونه منتج الحضارة .

أما عن دور ومكانة القيم في البناء الحضاري وفق التصور البنابي ، فسوف نعمل على تحليله وتوضيحه في الفصل الموالي .

الفصل الثاني:

دور القيم في البناء الحضاري عند مالك بن نبي

مدخل:

المبحث الأول: الدين ودوره الحضاري

تمهيد:

أولا :الوظيفة التاريخية للدين

ثانيا :الدين وأبعاده الاجتماعية

ثالثا: الفكرة الدينية وأثرها في تفعيل عناصر المعادلة الحضارية

رابعا : الدين وبناء شبكة العلاقات الاجتماعية في الحضارة

المبحث الثاني: دور القيم الأخلاقية في البناء الحضاري

تمهيد:

أولا: دور وأهمية الأخلاق في بناء الحضارة في فكر مالك بن نبي

ثانيا :علاقة الأخلاق بالبناء الحضاري عند مالك بن نبي

1-علاقة الأخلاق بالدين **2-علاقة الأخلاق بالمجتمع**

3-علاقة الأخلاق بالثقافة وبالعلم **4-علاقة الأخلاق بالإقتصاد**

5-علاقة الأخلاق بالسياسة

المبحث الثالث :الجمال وأثره في صناعة الحضارة

تمهيد:

1- الجمال وأهميته الاجتماعية

2-الجمال في علاقته بالأخلاق واتجاه الحضارة.

المبحث الرابع :أهمية المنطق العملي في تأسيس الحضارة (القيم الحضارية للعمل)

نتائج الفصل

مدخل:

إن مالك بن نبي كان يركز دائما في فكره وكتبه المعنونة بـ- سلسلة مشكلات الحضارة – على أن الحضارة هي مشكلة المشكلات ومشكلة الإنسان ذاته، هذا الأخير لا يمكن حل هذه المشكلات إلا من خلال فهم الإنسان لنفسه في عمقها وا ٍعادة بنائها ، كونه أهم مكون يعول عليه كثيرا في كل عملية تغيير التي تدخل في صلب البناء الحضاري.

وبناء الإنسان الحضاري هذا لا يتم إلا من خلال بناء القيم فيه ، وذلك من أجل خلق التوازن في بناء شخصيته توازن بين (القيم المعنوية والروحية والقيم المادية) في مشروعه الحضاري، لذا ركز مالك بن نبي على الدور الذي تلعبه القيم في بناء الحضارة ، وفي عمليات إحداث كل تغيير اجتماعي والنهوض الحضاري ، كالقيم الدينية والقيم الأخلاقية والقيم الجمالية ، ناهيك عن تركيزه على الجانب العملي ، إذ لا معنى للقيم في جانبها النظري الصوري .هذا التركيز جاء نتيجة تحليله للمسار التاريخي للحضارات ،والقوانين التي تتحكم في بنائها،فأدرك أن المعطيات الروحية (المتمثلة في البذرة الدينية)، هي المحرك الذي يحرك عالم الأشياء المادية ،وذلك لأن الحضارة ليست مجرد منتجات مادية ،بل كذلك قيم معنوية كما ذكرنا آنفا،والحضارة عصبها الإنسان إذ لا قيمة له دون روح ، تلك الروح هي من تجمع الشتات وتمنع التفرق وتحفز الهمم نحو تحقيق الأهداف في مسار التاريخ البشري .

لذا سنحاول في هذا الفصل تقديم وتحليل دور القيم في البناء الحضاري وفق المقاربة البنابية فكيف تساهم القيم في عملية البناء الحضاري عند مالك بن نبي ؟ وهل يمكن بناء حضارة بمعزل عن القيم في التصور البنابي؟ ولماذا راهن مالك بن نبي على دور القيم في تأسيس الحضارة ؟

المبحث الأول : الدين – الفكرة الدينية – ودوره الحضاري

لم يغفل مالك بن نبي في نقاشاته وأبحاثه أهمية الدين في بناء الحضارة ،فعده أساس تحريك عجلة التاريخ ،ونقطة البداية في بناء صرحها ، لأثره في حركية التاريخ ودوره في حياة الأفراد والمجتمعات ، ويستند مالك بن نبي في رؤيته هذه على وجود عناصر الحضارة المادية عند عامة الأمم ،وحاجتها لاستثمار هذه الشروط والتأليف بينها إلى محرك ومركب – مفاعل – الذي ينتج عملية البناء والتركيب بين العناصر الأولية للحضارة ،لذا اختار مالك بن نبي الدين كمحلك لبناء الحضارة وا إحداث كل تغيير اجتماعي مأمول لمجتمع ما عبر مساره التاريخي ،والدين كما سبق لنا أن أشرنا له –في الفصل الأول – حسبه سنة كونية وتاريخية وقانون عام يحكم فكر الإنسان ،هذه السنة فطر الله الإنسان عليها لذا نجده ،يتتبع عمله في التاريخ ،ويتحدث عن غايته وذلك من خلال ،تحليله للتجربة الحضارية الإسلامية وأخرى الحضارة الغربية المسيحية ،وكذا النظر في الدور الاجتماعي للدين ، لذا سنحاول في هذا المبحث إبراز الدور الحضاري للدين ، من خلال علاقة الدين بالحضارة مفهوما وتحليلا وتركيبا

أولا- الوظيفة التاريخية للدين :

يرى مالك بن نبي أن مفهوم الدين لا يقتصر في نسق منالأفكار الغيبية ، كما لا يقتصر ها على الدين السماوي ، بل هو عنده قانون عام يحكم فكر الإنسان ، ويو جه بصره نحو أفق أوسع ، ويروض الطاقة الحيوية للإنسان ويجعلها مخصصة للحضارة[1]،ويرجع مالك بن نبي إلى التاريخ ليبحث عن مدى مصداقية هذه الفكرة ،ليجد أن الدين كان وراء كل المنجزات البشرية ، وهذا القانون هو الدافع للحضارة عنده، فقد حلل وتتبع المسار التاريخي للعديد من الحضارات ،هذا القانون لا نجده في الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية فقط بل تعداه ليشمل بقية الحضارات التي سجلها تاريخ الإنسانية ، كالديانة البوذية في الحضارة البوذية ، والبرهمية في الحضارة البرهمية ..الخ ، أي أن كل حضارة في أساسها ذات مبعث ومنبت ديني ،حيث نجده

[1]- نورة خالد السعد : **التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي ،دراسة في البناء الاجتماعي** ، الدار السعودية ، الرياض ،ط1 ،1997،ص110.

يقول في ذلك:" فسواء كنا بصدد المجتمع الإسلامي أو المجتمع المسيحي ،أم كنا بصدد المجتمعات التي تحجرت اليوم ، و اختفت تماما في الوجود نستطيع أن نقرر أن الفكرة التي غرست بذرتها ، في حقل التاريخ هي الفكرة الدينية "[1]وعليه فالدين بذلك ظاهرة كونية وسنة تاريخية ،إذ يرى مالك بن نبي أننا حينما نتأمل القرآن الكريم مثلا:" يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته ، كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطورها ، والدين على هذا يبدو وكأنه مطبوع في النظام الكوني قانونا خاصا بالفكر الذي يطوف في مدارات مختلفة من الإسلام الموحد إلى أحط الوثنيات البدائية" [2]. وهذا يعني أن الدين هو قانون من قوانين الله عزوجل ، فطر عليها النفس البشرية ، فلا يمكن لإنسان أن يتنصل من التدين ،وذلك منذ بداية التاريخ إلى يومنا هذا ،فالتاريخ هو السجل الأمين لكل التحولات والإبداعات والأحداث التي شهدتها البشرية إذ يقول في ذلك: " كلما أوغل المرء في الماضي التاريخي ، وفي الأحقاب الزاهرة لحضارته ، أو المراحل البدائية ، وجد سطورا من الفكرة الدينية . ولقد أظهر علم الآثار دائما من بين الأطلال التي كشف عنها ، بقايا خصصها الإنسان القديم لشعائره الدينية ، أيا كانت تلك الشعائر..."[3] فهو يختبر ويستشهد تاريخ البشرية ،عن طريق علم الآثار فيثبت بذلك أن الدين موجود مع الإنسان بالفطرة ،و الآثار التي تعبر عن المعابد والشعائر التي يقوم بها الإنسان تعبدا وتقربا لمعبود غيبي – فكرة – لذا فالدين حسبه:"هو ذلك التعبير التاريخي و الاجتماعي عن هذه التجارب المتكررة خلال القرون ، وذلك –ما جعل مالك بن نبي- يرى أنه لا يمكن أن نتناول الواقع الإنساني من زاوية المادة فحسب" [4]، وقد خصص في كتابه شروط النهضة للدين فصلين وذلك من أجل توضيح علاقة التاريخ بالحضارةودورها الحضار ي ،حيث حلل كما سبق ذكره دورتين حضارتين ، الدورة الحضارية الإسلامية والدورة الحضارية الغربية

[1]- مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ،ص52.

[2]- مالك بن نبي : **الظاهرة القرآنية** ،مصدر سابق، ص30.

[3]- المصدر نفسه ، ص69.

[4]- مالك بن نبي :**وجهة العالم الإسلامي** : مصدر سابق ، ص154.

– المسيحية – ووصل للسر الذي يركب عناصر الحضارة ويولد فيها الحركية ،إذ يقول:" من الفكرة الدينية التي تطبع الفرد بطابعها الخاص ، وتوجهه نحو غايات سامية "[1] فالحضارة حسبه إنتاج إنساني في التاريخ ،وهو بدافع الفكرة الدينية ،أو المبدأ الروحي حيث يقول:"لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء ، يكون للناس شرعة ومنهاجا ، أو هي على الأقل ، تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي بالمعنى العام فكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة ، إلا حين ينظر إلى ما وراء حياته الأرضية ..."[2]، فالحضارة تبدأ بتسجيل الفكرة الدينية في التاريخ ، وكذا دخولها في النفوس ويضرب لنا مالك بن نبي مثالا ، الدافع الديني في بناء الحضارة الغربية ، فيقول:" إن الفكرة المسيحية شكلت الأنا الأوروبي أو ذاته ، كما صاغت منظر أوروبا الذي نشهده في منتصف هذا القرن – و يقصد بذلك القرن 20- "[3]، والدليل على ذلك دار حضانة أطفال في فرنسا ، إذ نجده يقول:" لو تناولنا بالدراسة مشروعا اجتماعي ، كجمعية حضانة أطفال في فرنسا ، على سبيل المثال ليبدو لنا من أول نظرة في صورة جمعية تقوم على شؤونها دولة مدنية ، فنحكم عليها أنها نشأت في بادئ أمرها على أسس مدنية – لا دينية – و لو درسنا تاريخها ورجعنا إلى أصول فكرتها الأولى لوجدناها ذات أصل مسيحي ، فهي تدين بالفضل إلى القديس – فان سان دي بول – الذي أنشأ مشروع الأطفال المشردين ، خلال النصف الأول من القرن 17 "[4]،فإن هذا المشروع اجتماعي أخلاقي يقوم على أصول دينية وهذا دليل أيضا على تدخل الدين في بناء الحضارة، سواء في المجتمع الإسلامي أو المجتمع المسيحي أو غيرهما .

إن الدين سنة كونية مرتبطة بالوجود الإنساني، عبر مراحل وجوده التاريخي وهو السجل لكل

[1]- مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ،ص50.

[2]- المصدر نفسه : ص51.

[3]- مالك بن نبي :**ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ،ص56.

[4] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص95.

منجزاته وابتكاراته عبر التاريخ، وهو مبعث كل الحضارات فهو قانون يحكم فكر الإنسان وتاريخه وحضارته .

ثانيا- الدين وأبعاده الاجتماعية (الوظيفة الاجتماعية للدين)

إن الدين بحسب مالك بن نبي يجب النظر إليه من عدة أوجه ، باعتبار الدور الذي يقوم به كعامل اجتماعي يؤثر في توجيه التاريخ ، وذلك من خلال تدخل الدين في بناء إنسان الحضارة ، وتوجيه القيم الثقافية والنفسية والاجتماعية ، فهو حسبه يشكل القوة الروحية المؤثرة في الحياة الإنسانية ، فهو يدخل في تكوين وتنظيم الجانب النفسي للإنسان كفرد أو جماعة ، وهذا ما جعله يقول:"فالقوة الروحية التي تتطابق مع العمل المثمر الفعال تقع بين حالتين من أحوال النفس ، لا يوجد وراءها إلا الخمول والرخاوة في جانب اليأس ، والعجز في جانب آخر"[1] ،وعليه فالحركة التاريخية – حسبه – إنما ترجع في حقيقتها إلى القوة الروحية - العوامل النفسية – وهذه القوى الروحية هي من تجعل من النفس المحرك الجوهري للتاريخ الإنساني[2] ،فالعنصر الديني بصفة عامة ، فضلا عن أنه يغذي الجذور النفسية العامة ، يتدخل مباشرة في العناصر الشخصية التي تكون الأنا الواعية في الفرد ، وفي تنظيم الطاقة الحيوية التي تضعها الغرائز في خدمة هذه الأنا "[3] ، وفي تحليله لدور الفكرة الدينية ، يستخدم مالك بن نبي مصطلحات علم النفس الاجتماعي للتأكيد على العلاقة الحيوية بين انعكاس التكوين الداخلي للفرد ومحيطه الاجتماعي ، ذلك أن الدين له دور في تنظيم الجانب النفسي للإنسان ، باعتباره منتج الحضارة ، والعامل الرئيسي في تكوينها وتأثير الدين على الأنا هو تأثير عام سواء كان ذلك، لتحديد عناصر الشخصية الأساسية أم كان في بعض الحالات الشاذة يؤدي إلى جوانب مرضية ، كما في حالة الكبت . هذا من جهة ،ومن جهة أخرى إن الإنسان يولد مزودا بغريزة التجمع لتكوين حضارة ، وهي مرتبطة إلى حد كبير بالأساس الأخلاقي الذي يقوم بتهذيبها

[1] - مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ، ص25.

[2] - المصدر نفسه ،ص26.

[3] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** : مصدر سابق ، ص66.

بهدي مستمد من المبادئ الدينية ، وهذا يعني أن الدين ينتج القيم الأخلاقية التي تنظم قواعد السلوك الفردي أو الجماعي ،يقول مالك في هذا الصدد:" فدور العنصر الديني بوصفه عامل تنظيم نفسي دور ه رئيسي ، لا من حيث أنه يعمل في صورة مبادئ موجهة تتطبع في ذاتية الأنا ، لتصبح دوافع وقواعد للسلوك فحسب ، ولكن لأنها تتجلى في صورة تحريم مانع في بعض الظروف المر ضية "[1]، وعليه فالدين يدخل في بناء القيم الأخلاقية على مستوى المجتمع ، حيث يقول أيضا:" ورأينا الدور الذي يقوم به الدين في هذا المستوى ، حيث يتدخل في التركيب الاجتماعي في شكل قيم أخلاقية مجسدة في العرف والعادات والتقاليد، والقواعد الإدارية والمبادئ التشريعية ،وأحيانا تتجسد في أكثر تشكيلات المجتمع ظهورا "[2]، ويضيف قائلا:" فنفسية الفرد في المجتمعات التاريخية ،على الأقل مفعمة بالنزعة الدينية ، تلك التي تعد جزء من طبيعته وهو ما جعل علم الاجتماع يقول في تعريف الإنسان ، بأنه حيوان ديني ، وهو بذلك يحدد جانبا من الأساس النفسي العام في أفراد النوع ، وكل فرد يبني شخصيته على هذا الأساس"[3]،إذن فالفكرة الدينية لا تؤدي وظيفتها الاجتماعية والنفسية حسبه إلا إذا كانت متمسكة بقيمها الغيبية ، وهذا ما يجعلها تشرط سلوك الإنسان ، وتجعله قابلا لإنجاز رسالته الحضارية ،كما أن لها أهمية أخرى تتعلق في حل مشكلة نفسية اجتماعية ، وهي مسألة استمرار الحضارة فالدين هو من يبعث في قلوب المجتمع بحكم غائية ما " أخروية " ،وذلك بمنحها الوعي بهدف معين ،فتصبح الحياة ذات دلالة ومعنى ،وهي تمكين لهذا الهدف من جيل إلى جيل...وذلك بتثبيتها وضمانها لاستمرار الحضارة "[4] ،فالدين بحكم غايته يبث الوعي لدى الفرد والمجتمع بقيمة الدنيا وربطها بالآخرة -البعد الغيبي – لذا فالدين هو من يحفز الإنسان للبناء والتشييد ، واستخلاف الله في الأرض على أحسن صورة ،ويربط مالك بن نبي فاعلية الإنسان

[1] - مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ، ص71.

[2] -المصدر نفسه : ص.ص72،65.

[3] - المصدر نفسه ، ص65.

[4] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص.ص75.72.بتصرف.

بفاعلية الدين ، فيقول:" الفكرة الدينية تحفز الإنسان للبناء حين تستنهض هممه وتحرك فاعليته وتحدث تغييرا في الحالة النفسية للذات ، وتحول حياة الفرد والمجتمع إلى حياة ذات معنى ودلالة [1].

ثالثا- الفكرة الدينية وأثرها في تفعيل عناصر المعادلة الحضارية :

إذا كانت كل حضارة في أساسها ذات مبعث ديني ، فإن مالك بن نبي في تعريفه للحضارة طبق عليها منهجين متكاملين هما:- المنهج التحليلي والمنهج التركيبي- والحضارة عنده كما سبق وأن أشرنا إليه في الفصل الأول ، معادلة رياضية حضارية : (الحضارة = إنسان +تراب +وقت) ، إن هذه العناصر الأولية – العدة الدائمة –حسبه تبقى ساكنة لا يمكن أن تنتج حضارة ما لم تتدخل الفكرة الدينية ، محدثة الشرارة الروحية التي تجعل من العناصر الأولية ، ديناميكية متحركة وفعالة في إطار التاريخ ،فإذا كان كل ناتج حضاري عند مالك بن نبي تركيب وتأليف بين عناصر ثلاث هي : الإنسان والتراب والوقت فإن الفكرة الدينية لها دورها في ظهور نواتج الحضارة ،وفي تكوين الحضارات ، فإن مالك بن نبي في دراسته وتحليله لتكوين الحضارات ،في بدايتها الأولى ركز على دورتين حضاريتين هما: الدورة الحضارية الإسلامية ، و الدورة الحضارية المسيحية ، وبين:" السر الكوني الذي يركب العناصر الثلاثة:الإنسان والتراب والوقت،ليبعثها قوة فعالة في التاريخ "[2].

فالدين هو الذي يكسب الإنسان القوة و الفعالية ، داخل الحضارة والإنسان يمثل العامل الأساسي القادر على تشكيل الظواهر والعلاقات والقيم الاجتماعية ، و في ذلك يقول:"...من المعلوم أنه حينما يبتدئ السير إلى الحضارة ،لا يكون الزاد بطبيعة الحال من العلماء والعلوم ،ولا من الإنتاج الصناعي أو الفنون ، بل إن الزاد هو – المبدأ – الذي يكون أساسا لهذه المنتجات جميعا ، ففي نقطة انطلاق الحضارة ليس أمامنا سوى العوامل المادية الثلاث : إنسان +تراب +وقت ، وفي هذه العوامل ينحصر رأس مال الأمة الاجتماعي والعامل

[1] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** مصدر سابق ،ص 72.

[2] - المصدر نفسه :ص74.

الذي يمزج هذه العوامل هو الدين" [1]، وهذا التشكيل للإنسان (الفرد)، بفضل الدين يمثل وحدة اجتماعية ،ويجعل من الوقت ذلك التقدير الذي يجب أن يحترم من خلال ساعات العمل ، ويتم من خلال الدين استغلال التراب في توفير الحاجيات الاجتماعية الاستهلاكية من خلال عمليات الإنتاج ، هنا يكون الدين هو ذلك الكل الذي يجمع القيم الاجتماعية ومتى ابتعد عن دوره هذا ضاعت رسالته ، وبموجب هذا الضياع يصبح عاجزا عن دفع عجلة الحضارة ، و إحداث التغيير وهذا ما عبر عنه مالك في قوله:" هذا التشكيل يجعل من الإنسان العضوي وحدة اجتماعية ، ويجعل من الوقت وقتا اجتماعيا مقدرا بساعات عمل ومن التراب مجالا مجهزا مكيفا تكييفا يسد حاجات الحياة الاجتماعية الكثيرة تبعا لظروف عملية الإنتاج ، أما إذا صار الإيمان إيمانا جذبا دون إشعاع أعني نزعة فردية ،فإن رسالته التاريخية تنتهي على الأرض ، إذ يصبح عاجزا عن دفع الحضارة وتحريكها "[2]، ففعالية الدين وأثرها في نفوس الأفراد والمجتمع ، بما تتركه من قوة روحية تحفزهم نحو بناء الحضارة ورسم مسار تاريخي جديد ، والعكس إذا غابت فعالية الدين في حياة الناس ، تحول إلى عامل سلبي ، فتسيطر الأمراض الحضارية ، مما يجعل المجتمع يقف عاجزا أمام حل مشكلاته ، فتغيب الحركية والفعالية لدى الإنسان فيخرج من المسار الحضاري ،ويضرب لنا مالك بن نبي مثالا بالعرب والمسلمين:" فمن المعلوم أن جزيرة العرب مثلا لم يكن بها قبل نزول القرآن إلا شعب بدوي يعيش في صحراء جذبة ،يذهب وقته هباء لا ينتفع به ، لذلك فقد كانت العوامل الثلاث:الإنسان والتراب والوقت ، راكدة وخامة ، وبعبارة أصح مكدسة لا تؤدي دورا في التاريخ ، حتى إذا ما تجلت الروح بـ .: (غار حراء) كما تجلت من قبل بـ:(الواد المقدس) ،ومنذ تلك اللحظة وثبت القبائل العربية على مسرح التاريخ ، حيث ظلت قرونا طوالا تحمل معالم الحضارة الجديدة وتقوده إلى التمدن والرقي "[3] ،بمعنى عندما نزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم ، اهتدى العرب إلى

[1] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص50.

[2] - مالك بن نبي : **وجهة العالم الإسلامي** ، مصدر سابق ،ص32.

[3] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** : مصدر سابق ، ص51.

الإسلام ، وخرجوا من عصر الظلمات ، وتقدموا نحو التمدن والتحضر ، ووضعوا لأنفسهم مكانة ضمن سلم التاريخ الحضاري للأمم، وذلك بفضل الدين الإسلامي الذي أحدث التأليف والتركيب بين العناصر الأولية للحضارة ، وعلى هذا الأساس يرى مالك بن نبي أن كل حضارة تقع بين حدين اثنين هما الميلاد والأفول وتتوسطهما مرحلة الأوج ، المنحنى البياني يبدأ بالضرورة من الأولى (مرحلة الميلاد تسيطر فيها الروح) ، في خط صاعد ليصل إلى الثانية في خط نازل (مرحلة الأفول تسيطر فيها الغريزة) ، أما مرحلة الطور الانتقالي فتتوسط هذين الطورين وهي طور وسط (مرحلة الأوج يسيطر فيها العقل)، ولو حاولنا ترجمة هذه الاعتبارات في صورة تخطيطية، لحصلنا على التخطيط التالي[1]:

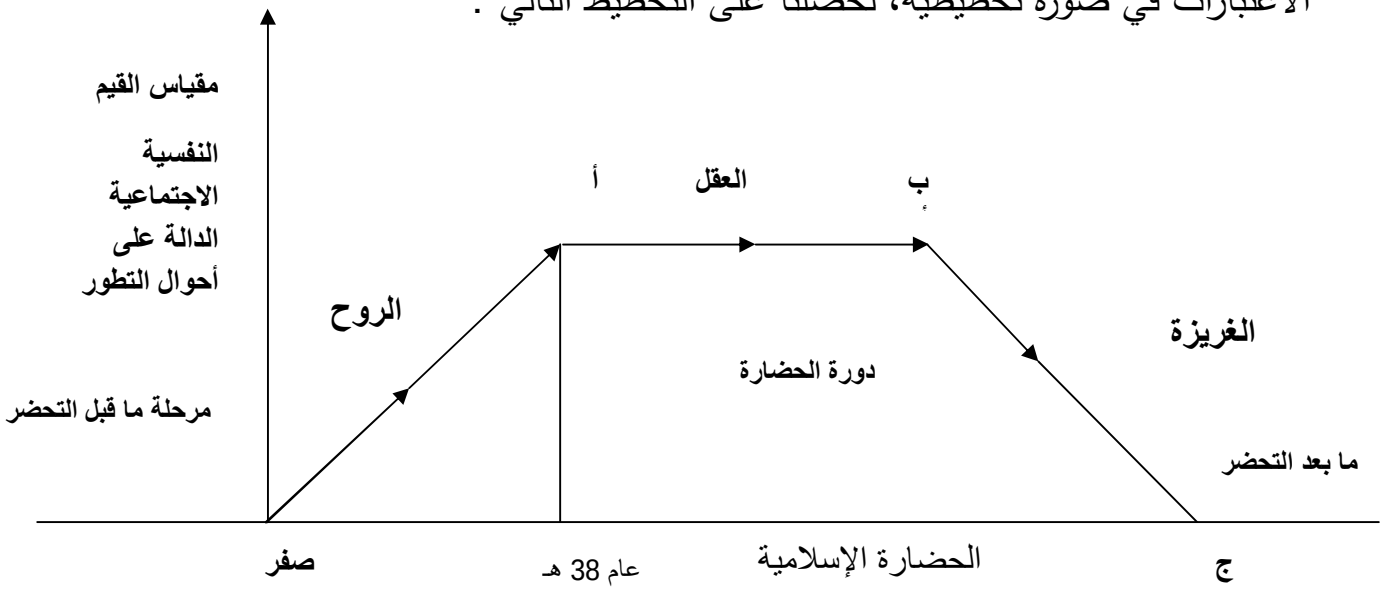

النموذج : يوضح القيم النفسية الزمنية لإحدى الحضارات.

1- **مرحلة الروح** إن سيادة الروح هي بداية الصعود ، وا ٍن الفرد في هذه المرحلة يكون عند نقطة الصفر في الصورة التخطيطية ، أي في حالة الفطرة ، وحين تجيء الفكرة الدينية تتولى إخضاع غرائزه بـ" عملية شرطية "؛ ليس من شأنها القضاء على غرائزه ، وا ٍنما تتولى تنظيمها في علاقة وظيفية ، مع مقتضيات الفكرة الدينية ، بحيث يمارس حياته في هذه الحالة الجديدة حسب قانون الروح ، وتصل شبكة العلاقات الاجتماعية قمة كثافتها

[1] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** : مصدر سابق ، ص74.

فيصبح المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا ، وهي في الحضارة الإسلامية تكافئ المرحلة النبوية [1]، ويؤرخ مالك بن نبي نهاية هذه المرحلة الإسلامية بمعركة صفين ، باعتبارها المؤشر لبداية المرحلة الثانية .

2- **مرحلة سيادة العقل (الانتشار والتوسع):** بعد المرحلة الروحية ، يواصل المجتمع تطوره ...وتكتمل شبكة الروابط الداخلية ...فتنشأ المشاكل المحسوسة لهذا المجتمع الوليد نتيجة توسعه ، كما تتولد ضرورات جديدة نتيجة اكتماله وفي كلا الحالتين ، فإن المنعطف هو منعطف العقل...حيث تشرع الغرائز في التحرر من قيودها بالطريقة التي شاهدناها في عهد بني أمية ، إذ أخذت الروح تفقد نفوذها على الغرائز بالتدرج والغرائز لا تتحرر دفعة واحدة ، وا ٍنما هي تنطلق بقدر ما تضعف الروح [2] ، هذه المرحلة تنقص فيها الفعالية الاجتماعية للفكرة الدينية ، إن كانت الحضارة نفسها تبلغ أوجها ، فتزدهر العلوم والفنون فيها ، ولكن مرضا اجتماعيا يكون قد بدأ ، وا ٍن أثاره المحسوسة لم تظهر بعد ، إن الطبيعة تستعيد سيطرتها على المجتمع ، والفرد شيئا فشيئا [3].

3- **مرحلة سيادة الغريزة**: وهي مرحلة الأفول و الانهيار، عندما يبلغ التحرر من الروح تمامه...يبدأ طور الغريزة تكشف عن وجهها تماما ، وهنا تنتهي الوظيفة الاجتماعية للفكرة الدينية التي تصبح عاجزة عن القيام بمهمتها تماما في مجتمع منحل يكون قد دخل نهائيا في ليل التاريخ ، وبذلك تتم دورة الحضارة "[4]،ويضيف قائلا:"فالدو افع السلبية التي خلقتها " صفين " في المجتمع الإسلامي ، تنمو فيه يوما بعد يوم ، إلى أن أتى القرن 8هـ فأخذت الحضارة في الأفول وبدأت الظلمات تغمرنا في الأندلس"[5] ، ويؤرخ مالك بن نبي لتلك

---

[1] - مالك بن نبي : **بين الرشاد والتيه** ، دار الفكر ، دمشق ، د ط ، 1978، ص50.

[2] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص66.

[3] - المصدر نفسه، ص103.

[4] - مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع**، مصدر سابق ، ص.ص70.69.

[5] - مالك بن نبي : **تأملات** ، مصدر سابق ، ص40.

الظاهرة بسقوط دولة الموحدين ، التي كانت في حقيقتها سقوط حضارة ، لفظت أخر أنفاسها [1]، فالحضارة تاريخيا تمر بثلاثة مراحل هي : مرحلة ما قبل التحضر ومرحلة التحضر ، ومرحلة ما بعد التحضر .

رابعا - الدين وبناء شبكة العلاقات الاجتماعية في الحضارة :

يؤكد مالك بن نبي على دور العلاقات الروحية في إقامة شبكة العلاقات الاجتماعية وذلك انطلاقا من العلاقة الوثيقة بين الجانب الروحي، والجانب السلوكي للإنسان ، وذلك من أجل بناء وحدة تاريخية -حضارة – فإن ذلك مرتبط بتأثير العوالم الثلاثة التي تعمل بالاشتراك طبقا لنماذج إيديولوجية من عالم الأفكار، وبوسائل تنفيذية من عالم الأشياء لأجل غاية محددة من طرف عالم الأشخاص ، يقول في ذلك:"فإن تو افق هذه الوحدة مع الغاية منها، يعد ضرورة أيضا ،وهذا الشرط يستلزم كنتيجة منطقية وجود عالم رابع هو مجموع العلاقات الاجتماعية ، أو ما نطلق عليه شبكة العلاقات الاجتماعية "[2]، فهذا العالم الرابع الذي يسميه مالك بن نبي بتسمية " شبكة العلاقات الاجتماعية "، هو مجموع تلك الصلات التي تقوم داخل عالم الأشخاص ، ولها تأثير على العوالم الأخرى التي تنتقل بأعضاء المجتمع من مجرد (كومة) إلى (كل) ، ينسجم مع أهداف المجتمع الإنساني الذي " يقرر فكرته في مستوى آخر، ليس مستوى البقاء، ولكن مستوى تطور النوع ورقيه "[3]. إن شبكة العلاقات الاجتماعية كلحمة قوية تشد العوالم الثلاثة خاصة عالم الأشخاص وتحقق فيه ، مغزى قوله صلى الله عليه وسلم ،" مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم وتعاطفهم ،كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" [4].ومن هنا فشبكة العلاقات الاجتماعية مشروطة بالدين ،إذ نجده

---

[1] - مالك بن نبي : **وجهة العالم الإسلامي** ، مصدر سابق ، ص31.

[2] - مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ، ص27.

[3] - مالك بن نبي : **تأملات** ، مصدر سابق ، ص156.

[4] - أحمد بن علي بن حجز العسقلاني : **فتح الباري ، شرح صحيح البخاري** ، المجلد10،كتاب الأدب ، باب رحمة الناس ،والبهائم تحت رقم ، 6011، مكتبة دار السلام دمشق ، 1997،ص538.

يقول في ذلك:" العلاقة بين الله والإنسان هي التي تلد العلاقة الاجتماعية ، وهذا بدوره يربط مابين الإنسان وأخيه الإنسان ... فعلى هذا يمكننا أن ننظر إلى العلاقة الاجتماعية والعلاقة الدينية معا من الوجهة التاريخية على أنها حدث ، ومن الوجهة الكونية ، على أنها عنوان على حركة تطور اجتماعي واحد"[1] ، فالفكرة الدينية هي من تعطي لنا التناسق والتماسك والنظام داخل المجتمع بأبعاده الروحية ومن ثمة قوته سواء بين الإنسان وأخيه الإنسان ، أو بين الإنسان وخالقهو هي جهاز دفاعي لأي حضارة تحميها من السقوط ، وتحفظ لها الاستمرارية ، وهي مرهونة بفاعلية الدين وحضوره في الأنفس لدي الأفراد والمجتمع معا ،وفي ذلك يقول:" فالدين إذ هو مركب القيم الاجتماعية ، وهو يقوم بهذا الدور في حالته الناشئة ، حالة انتشاره وحركته عندما يعبر عن فكرة جماعية ، أما حين يصبح الإيمان إيمانا جذبا ،دون إشعاع ، أعني نزعة فردية ، لأن رسالته التاريخية تنتهي على الأرض ، إذ يصبح عاجزا عن دفع الحضارة وتحريكها ، إنه يصبح إيمان رهبان ، يقطعون صلاتهم بالحياة ، ويتخلون عن واجباتهم ومسؤولياتهم"[2]، لذا فالدينهو الذي يخلق الشبكة الاجتماعية باعتبارها جهاز ا دفاعيا تحمي تماسك المجتمع ، من خلال المبادئ والقوانين الأخلاقية ،التي تولد في المجتمع نظاما وترابطا روحيا قويا،سواء كان المجتمع إسلاميا أو مجتمعا آخر ، لكن عندما يفقد الدين دوره ووظيفته الاجتماعية لدي الفرد والمجتمع ، فإن هذه الشبكة تنحل وتتفكك ، وتظهر الأمراض الاجتماعية التي تصيب المجتمع بالشلل التام ، فيعجز عن إحداث التغيير والنهوض الحضاري ،يقول مالك بن نبي في هذا الصدد:" إن أول عمل يقوم به مجتمع معين ، في طريق تغيير نفسه مشروط بإكمال شبكة علاقاته الاجتماعية ،وعلى هذا نستطيع أن نقرر أن شبكة العلاقات الاجتماعية هي العامل التاريخي الذي يقوم به مجتمع ساعة ميلاده (يضرب لنا مثال بالدورة الإسلامية) ،من أجل ذلك كان أول عمل قام به المجتمع الإسلامي هو الميثاق الذي يربط بين الأنصار والمهاجرين ،وكانت الهجرة نقطة البداية في التاريخ الإسلامي ، لا لأنها تتفق مع

[1] - مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ، ص27.

[2] - مالك بن نبي : **وجهة العالم الإسلامي** : مصدر سابق ،ص27. ،

عمل شخصي قام به النبي – صلى الله عليه وسلم – ولكن لأنها تتفق مع أول عمل قام به المجتمع الإسلامي ، أي مع تكوين شبكة العلاقات الاجتماعية حتى قبل أن تتكون تكونا واضحا عوالمه الاجتماعية الثلاث"[1].

إن المعطيات الروحية – الدينية – هي المحرك الذي يحرك الأشياء المادية ،فلا معنى للإنسان دون روح ، هذه الأخيرة هي التي تجمع الشتات وتمنع التفرق، بل وعرفت المجتمعات الجديدة صور ا كبيرة من التضامن والتماسك بفضل الدين، على غرار المجتمع الإسلامي ،يقول مالك بن نبي معبرا عن ذلك:"إن روح الإسلام هي التي خلقت ، من عناصر متفرقة كالأنصار والمهاجرين ، أول مجتمع إسلامي ، حتى كان الرجل في المجتمع الجديد يعرض على أخيه أن ينكحه من يختار من أزواجه ، بعد أن يطلقها له لكي يبني بذلك أسرة "[2]،و في كلامه هذا إشارة كبيرة إلى صورة من صور التضامن بين أفراد المجتمع الإسلامي لبناء المجتمع الجديد ، و لقد أطلق مالك بن نبي على هذا المجتمع الذي ولدته الروح الدينية للدين الإسلامي بالمجتمع الجديد ، وفي ذلك كلام صريح على التغيير والتقدم نحو البناء الحضاري ، وهذا ما سجله التاريخ ،وكذا كل المجتمعات التي اندثرت أو مازالت موجودة والتي بنيت على أساس الفكرة الدينية .

لقد أعطى مالك بن نبي للفكرة الدينية دور أساسي في عملية التغيير والنهوض الحضاري ، فلا يمكن لأي حضارة أن تبرز في التاريخ إلا عبر بوابة الفكرة الدينية، والدين عنده سنة كونية وتاريخية وقانون عام يحكم الفكر والتاريخ ،وقد انطلق من دراسة معمقة لنشوء الحضارات ، من بينها الدورة الحضارية الإسلامية، والدورة الحضارية الغربية – المسيحية –إذ أكد الوظيفة الأساسية للدين بمفهومه العام ، وذلك بقدرته على إحداث التغيرات الاجتماعية كونه يدخل في بناء الشخصية ، سواء تعلق الأمر بالفرد أو المجتمع - الإنسان – فهذا الأخير هو العامل الأساسي في بناء الحضارة ،والتغيير يبدأ بالإنسان ومن الجانب الروحي والنفسي ،لذا الدين هو

[1] - مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ، ص28.

[2] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص96.

من يفعل الإنسان وكذا عناصر الحضارة والروح هي من تغير المادة وتضع لها هدفا في التاريخ ، فالدين له دور حضاري إذا فعل أما إذا أهمل فستصبح عملية التغيير والنهوض الحضارية مستحيلة، لوجود أمراض حضارية لذا يجب تفعيله لبناء حضارة جديدة ضمن الحضارات الأخرى.

المبحث الثاني: دور القيم الأخلاقية في البناء الحضاري:

إن الحديث عن هذا يقتضي منا بيان العلاقة بين الأخلاق والحضارة، فقد اعتنى "مالك بن نبي" بالأخلاق وعدها أساسا لكل عملية تغيير وبناء حضاري ،حيث جعل منها ركيزة أساسية في مجمل كتاباته ومشروعه الحضاري ،فهو ينظر إلى الأخلاق – كما سبق وأن بيناه في الفصل الأول – لا من الناحية النظرية الفلسفية ، بل ينظر لها من حيث وظيفتها الحضارية بصورة عملية، بمعنى كيف تقوم الأخلاق بدورها الحضاري في مجال بناء مجتمع وميلاده من جديد ؟ منتقدا في ذلك كل النظريات التي تتجاهل دور الأخلاق في البناء الحضاري خاصة النزعة المادية (...) ، وقد ارتبطت الأخلاق بجميع مجالات الحياة الإنسانية ،بداية بالفرد وصولا للمجتمع ، فهي مرتبطة بالدين وبالجانب الروحي للإنسان فلا قيمة لإنسان بلا روح ، ولا قيمة لحضارة بلا إنسان. فما أثر القيم الأخلاقية في عملية البناء الحضاري عند مالك بن نبي ؟ وما علاقتها بالتغيير الاجتماعي ؟ وما أهميتها ؟وما الغاية منها عنده ؟

أولا- دور وأهمية الأخلاق في بناء الحضارة في فكر مالك بن نبي:

إن الروح الخلقية عنده هي:" منحة من السماء تأتينا مع نزول الأديان عندما تولد الحضارات ، ومهمتها في المجتمع ربط الأفراد مع بعضهم البعض"[1]، لذا لم يهتم بها من الناحية الفلسفية الميتافيزيقية ، بل نظر لها من جانب عملي ، ومن جهة دخولها في البناء الحضاري -وظيفتها الحضارية – إذ نجده يقول:" لسنا نهتم هنا بالأخلاق من الناحية الفلسفية بل من الناحية الاجتماعية ، وليس الأمر هنا أن نشرح مبادئ خلقية ، بل أن نحدد قوة التماسك الضرورية

[1] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص73.

للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية ،هذه القوة مرتبطة في أصلها بغريزة الحياة في جماعة وعند الفرد ارتباطا يتيح له تكوين القبيلة والعشيرة والمدينة والأمة ، وتعني الروح الخلقية –عند مالك بن نبي - تلك الصلة التي يجب أن توجد بين الإنسان ومثله الأعلى"[1] ،فالأخلاق تعمل على تماسك أفراد المجتمع ، وتمتين عرى التواصل بينهم ، وتقوية وتوثيق شبكة العلاقات الاجتماعية التي من شأنها أن تصنع مجتمعا صالحا وهي التي تتيح للفرد تكوين علاقات متينة ، ترتقي تدريجيا بالإنسان من الحالة الطبيعية ومن القبيلة إلى الأمة ،وقوة التماسك هذه تمكن المجتمع من تكوين وحدة تاريخية ،والتي تسمى فيما بعد بالحضارة ، وفي هذا السياق يستدل مالك بن نبي بآيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى:" وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ،ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم"[2]، هذا التأليف بين القلوب من محاسن الأخلاق التي من شأنها أن تزيد قوة المجتمع ، وكلما زادت ارتقى الإنسان في التغيير والبناء نحو الحضارة المنشودة في سلم الحضارات البشرية.

إن هدف الأخلاق الرئيسي عند مالك بن نبي: هو تنظيم المجتمع وخلق الانسجام والتناسق بين أفراد المجتمع وفق قواعد ومقاييس أخلاقية ، لذا نجده يقول:" فإن تنظيمه يجري طبقا لمقاييس وقواعد ، وهي في حقيقتها قيم خلقية لم ينتجها ولكنها تنظم نشاطه ، في سبيل غايته وكلما حدث إخلال بالقانون الخلقي في مجتمع معين ، حدث تمزق في شبكة العلاقات التي تتيح له أن يصنع تاريخه"[3]هذا من جهة ومن جهة أخرى ، إن معيار فعالية المجتمع والأفراد ، مرتبط بمدى تأثير المبدأ الأخلاقي، أو بقدر تجسيد الأخلاق أو عدمها ، والمبدأ الأخلاقي يستند إلى الدين ، لذا فمالك بن نبي يسلم بالعلاقة الارتباطية بين الأخلاق والحضارة ، فما دامت هناك قيم وأخلاق ومثل مرتبطة بالإنسان و إرادته، فإنه ما من شك في أن المجال الحيوي لتنفيذ

[1] - مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة** ، مصدر سابق ، ص73.

[2] - القرآن الكريم : سورة الأنفال : الآية 63.

[3] - مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ، ص .ص 53.52.

الإرادة الأخلاقية .فصلة الأخلاق بالحضارة من خلال صلتها بالإنسان وا ٍرادته القائمة على الفعل أو الترك، هذا الإنسان عده – مالك بن نبي – العنصر الفاعل في الحضارة[1]، حيث تدخل الأخلاق في مفهوم الحضارة ، فمالك بن نبي حين درس الحضارة من حيث تركيبها والعناصر الأساسية المكونة لها ، عبر عنها بتدخل المبدأ الأخلاقي من خلال قدرته على الجمع و التركيب بينها ، والتي يقصد بها:الإنسان والتراب والوقت = الحضارة ، فالأخلاق كقيم تدخل مباشرة في بناء الإنسان باعتباره العامل والعنصر الرئيسي في بناء الحضارة ، فالتغيير والبناء يبدأ بالإنسان ، الذي يحدد القيمة الاجتماعية لكل الوسائل الموجودة تحت يديه، والشخص هو المحرك الأساسي لكل نهضة ولصناعة التاريخ والتي تتم تبعا لتأثير طوائف اجتماعية ثلاث: تأثير(عالم الأشخاص) وتأثير(عالم الأفكار) وتأثير(عالم الأشياء) [2] ، وهي عوالم تعمل بطريقة نسقية ، حيث يولد عالم الأفكار النابع أصلا من عالم الأشخاص مستعينا بعالم الأشياء في تجسيدها على أرض الواقع ، لذا ركز مالك بن نبي على عملية التغيير والتي لابد أن تبدأ وتمس الإنسان وأعطاه المرتبة الأولى في أسس بناء الحضارة قبل التراب والوقت، هذا الإنسان يجب أن يتعلم" كيف يعيش في جماعة ، وفي الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة الإنسانية من أجل وظيفتها التاريخية" [3].

فالإنسان يتميز عن النوع بمميزاته الحضارية والثقافية التي تجعله يعمل بصورة تؤثر في التاريخ ، ويتم ذلك حسب مالك بن نبي انطلاقا من توجيهه وفق برنامج تربوي اختصره في لفظ " الثقافة " ، هذه الأخيرة غذاء الحضارة ، وربطها ربطا وثيقا بالحضارة ،ويشكل الدستور الأخلاقي الفصل الأول من فصولها الأربعة "...فأساس كل ثقافة هو بالضرورة تركيب وتأليف لعالم الأشخاص ،فالنظر إلى المبدأ الأخلاقي من زاوية تحقيقه للتماسك الاجتماعي وتكوين الوحدة التاريخية لمجتمع ما ، وتركيب عالم الأشخاص يتم بواسطة أمرين:

---

[1] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ,ص45.

[2] - مالك بن نبي : **وجهة العالم الإسلامي** : مصدر سابق ، ص 60.

[3] - مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ، ص94.

الأول: الغريزة الاجتماعية عند الفرد ، إذ كل فرد يحمل في داخله ميلا للجماعة ، ويرى مفكرنا أن تلك الغريزة هي الأصل في تكوين القبيلة والعشيرة والأمة ، فالمجتمعات البدائية تستخدم هذا الجانب في إقامة كيانها .

أما الثاني : الروح الأخلاقية أو المبدأ الأخلاقي ، وهنا يلاحظ في المجتمعات التاريخية ، إذ الروح الأخلاقية تتكون لدى الجماعة انطلاقا من الدين السماوي" [1] ، إن الغريزة تدفع للتجمع ،لكن المبدأ الأخلاقي يعمل على تهذيبها بما يتفق ومبادئ وتعاليم الدين ، التي يستمد منها الدوافع والغايات التي تحدد للمجتمع وجهته ومساره التاريخي ، لذا الثقافة لا يمكن أن توجد أسلوب الحياة في المجتمع ، إلا إذا كانت متضمنة لعنصر يربط الأفراد بأسلوب حياتها – المجتمع - بحيث لا يشذ عنه الأفراد ، وهذا العنصر الحاكم لأسلوب المجتمع وسلوك أفراده إنما يكمن في المبدأ الأخلاقي ، الذي يحدد سلوك الأفراد كما أنه يحقق ارتباط الأفراد بأسلوب حياة المجتمع" [2].

- كما تدخل الأخلاق في تركيب الحضارة وتكوينها ،يظهر ذلك في قوله :" وقوة التماسك والتأليف، هذه جديرة بأن تؤلف لنا حضارتنا المنشودة ،وفي يدها كضمان لتلك التجربة عمرها ألف عام،حضارة ولدت على أرض قاحلة وسط البدو. رجال الفطرة والصحراء" [3] وهي إشارة منه إلى تجربة الحضارة الإسلامية التي ولدت تماسكا بين أفرادها ووثقت روابط الإخاء – شبكة العلاقات الاجتماعية – بين المهاجرين والأنصار ، بفعل الأخلاق المستمدة من الدين الإسلامي، والذي ولد مجتمعا جديدا وحضارة عمرت لقرون ، كما أن مالك بن نبي يفترض أنه لو ألغت الحضارة من حسابها القيم الأخلاقية لسرى الإلغاء على جميع ما نشاهده من علوم وفنون ، ولا يمكن أن نتصور حضارة على أساس القيم المادية فقط فهي عرجاء بذلك

[1] - مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة** : مصدر سابق ، ص76.

[2] - مالك بن نبي : **آفاق جزائرية** : مصدر سابق ، ص ص 106.105.

[3] - مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة** : المصدر السابق ، ص81.

، وغير متوازنة، مآلها الأفول حتما ، فالأخلاق لها وظيفة اجتماعية ،فهي تدخل في جعل الحضارة تقوم بوظيفتها بصورة كاملة،ويظهر ذلك في خلق التوازن بين العوامل المعنوية في مقابل القيم المادية ، لذا غياب العنصر الأخلاقي يختل معنى الحضارة كونها تصبح مقتصرة على العوامل المادية ،لذا الأخلاق هي من تضفي السمة التكاملية على الحضارة ،فالجانب المعنوي في صورة إرادة تحرك إرادة المجتمع نحو تحديد مهامه الاجتماعية و الاضطلاع بها ، والجانب الذي يتضمن شروطها المادية ،في صورة إمكان أي أنه يضع تحت تصرف المجتمع الوسائل الضرورية للقيام بمهماته أي بالوظيفة الحضارية"[1].

كما تدخل الأخلاق في مراحل وأطوار الحضارة عبر تاريخها - الدورة الحضارية –لذا نجد أن مالك بن نبي عند دراسته لعوامل بناء الحضارة ومعوقاتها، حاول أن يصل إلى قانون يحكمها ويفسرها ، فلاحظ أن الحضارة تاريخيا تقع بين حدين:الأول النشأة وهي لحظة الميلاد والثانية الأفول، وهي لحظة الفناء والتلاشي ، ويتوسطهما مرحلة النمو و الارتقاء والانتشار ،(ما قبل الحضارة ، ومرحلة الحضارة ، وما بعد الحضارة)، فالحضارة عنده تتطور وتتغير في مسارها التاريخي ، إذ لاحظ بعد دراسته واختباره لدورتين حضاريتين هما:الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية المسيحية ، لاحظ تدخل الأخلاق في ميلاد ونشأة الحضارة في بداية ظهورها بدافع من الروح الخلقية المستمدة من الدين – الفكرة الدينية – ويذكر هذا في قوله:" فإن البذور الأخلاقية والجمالية تكون أقرب إلى الكمال حين تصبح القوانين المحددة التي يخضع لها نشاط المجتمع والدستور الذي تقوم عليه حضارته"[2]، هذه المرحلة يسميها بن نبي **بمرحلة الروح** ، تسيطر فيها الفكرة والعقيدة والأخلاق بالتبع على الغريزة ، وتهذبها وفق تعاليم الدين الذي يشرط السلوك ويوجهه نحو هدف سام ونبيل ويمثل لها في الحضارة الإسلامية بمرحلة النبوة ،أما **المرحلة الثانية**: وهي مرحلة النمو والارتقاء والانتشار ، والتي يسميها بمرحلة العقل ،فإن

[1] - مالك بن نبي : **المسلم في عالم الاقتصاد** ،دار الفكر،دمشق،ط3، 2000 ، ص71.

[2] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** : مصدر سابق ،ص100.

الأخلاق تتدخل في كونها تعتبر سببا في دخول الحضارة طور العقل ، وخروجها من طور الروح ، فيقول:" وأثناء مواصلة التاريخ سيره نرى هذا التطور يستمر في نفسية الفرد ، وفي البيئة الأخلاقية للمجتمع ،يكفي التحرر الأخلاقي الذي يمارسه الفرد في أفعاله الخاصة شيئا فشيئا" [1]،في هذه المرحلة تبدأ تظهر أمراض في البناء الاجتماعي -شبكة العلاقات الاجتماعية – ويرد ذلك لعدم قدرة العقل في التحكم في الغريزة ، مثل الروح مما يجعل الغريزة تبدأ في طريقها للتحرر ،أما **المرحلة الثالثة**: وهي مرحلة الغريزة ، وفيها فقدان السيطرة على الغريزة والدوافع الطبيعية في الإنسان،فيظهر التفسخ و الانحلال الأخلاقي ، مما يعطل عملية البناء والتغيير الحضاري ، فتخرج الحضارة وتغيب شمسها لتشرق على مجتمع آخر ، يقول مالك بن نبي:" ولكن أوضاع القيم تتطلب في عصور الانحطاط ، بحيث تبدو صغائر الأمور ذات خطر كبير ، فإذا ما حدث حادث انهار البناء الاجتماعي ، إذ هو لا يقوى على البقاء بمقومات الفن والعلم والعقل فحسب لأن الروح والروح وحدها هي التي تتيح للإنسانية أن تنهض وتتقدم ، فحينما فقدت الروح سقطت الحضارة و انحطت ، لأن من يفقد القدرة على الصعود ، لا يملك أن يهوى بتأثير جاذبية الأرض"[2]،وهنا تأكيد من مالك بن نبي على دور الروح الأخلاقية في عملية البناء الحضاري ، وكذا استمرارية الحضارة ، فالأخلاق جهاز دفاعي ومناعي يحمي الحضارة من السقوط ،لذا فهو ينتقد بشدة الأشخاص الذين يدعون إلى تجاوز موضوع الأخلاق في عملية البناء الحضاري- النزعة المادية – وأنصار التفسخ الأخلاقي بدعوى الحرية- النزعة الفردية - إنهم حسبه يحدثون خللا شديدا في شبكة العلاقات الاجتماعية، وهو الخلل الذي ينتج خطرا شديدا ، من شأنه أن يعصف بكيان المجتمعات ، في محاولتها تشييد حضارة ما حيث يقول:"...وكلما حدث إخلال بالقانون الخلقي في مجتمع ما ،حدث تمزق في شبكة العلاقات التي تتيح له أن يصنع تاريخه ، بل إن محدثي هذا الإخلال أولئك الذين يدعون مثلا إلى حرية الأخلاق من أجل التقدم ،ليسوا في أعماق نفوسهم سوى

[1] - مالك بن نبي : **حديث في البناء الجديد** :تر:عمر كامل مسقاوي المكتبة العصرية للطباعة والنشر،د ط،د س.ص69.

[2] - مالك بن نبي : **وجهة العالم الإسلامي** : مصدر سابق ، ص26.

أطفال استنارتهم حواسهم ... فهم يلعبون بحواسهم كما يلعب الأطفال بأعواد الكبريت دون أن يشكوا في أنهم يتركون حين يلعبون بوادر حريق يلتهم المدينة بأسرها"[1] ، إن هذا الوصف الذي قدمه مالك بن نبي للذين يهملون دور الأخلاق في بناء المجتمعات والحضارة بالأطفال لغياب الوعي والنضج العقلي ، و عدم إدراك خطورة غياب الأخلاق داخل المجتمع ، فغيابها معناه انهيار المجتمع بأسره ، ولذا فالتفسخ الأخلاقي مرض خطير يصيب جسد المجتمع وينخر وظائفه ويقود لا محالة للانهيار والموت المحتوم ، ولقد صدق الشاعر أحمد شوقي حين قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت .....فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

وقال أيضا: وا إذا أصيب القوم في أخلاقهم.... فأقم عليهم مأتما وعويـــلا[2].

وصفوة القول: إن مالك بن نبي في حديثه عن الحضارة مفهوما وتركيبا ووظيفة ومسارها التاريخي ،دوراتها ومراحلها نشأة ونمو ا و أفولا ، يربطها بالأخلاق والتي تستمد وجودها ومرجعيتها من الدين بصفة عامة، والدين السماوي بصفة خاصة ،ودور الروح في بناء عالم الأفكار وعالم الأشخاص ، والمجسد بعالم الأشياء ، وذلك ببناء شبكة العلاقات الاجتماعية التي تخلق الانسجام في سلوك الفرد والمجتمع بغية تحقيق هدف سام ونبيل وهو بناء حضارة جديدة في مسرح التاريخ .

ثانيا- علاقة الأخلاق بالبناء الحضاري عند مالك بن نبي: المعروف أن مالك بن نبي يقول بضرورة الأخلاق في البناء الحضاري ، ويعطي لها أهمية ويجعل منها مسألة مركزية في مشروعه الحضاري ، فهو يربطها بجميع مجالات الحياة الإنسانية ،ويظهر قيمتها من خلال أهدافها وغاياتها ووظيفتها ،وعلى هذا الأساس فهي ضرورية لكل عمل ونشاط إنساني حتى

[1] - مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** : مصدر سابق ، ص53.

[2] -أحمد شوقي: الشوقيات، ج 1 ، دار العودة ، بيروت ، د ط ، 1988، ص ص 183، 217 .

يكون فعالا في مسار حضارة عبر التاريخ ، ويعول عليها لعلاج مشكلات الحضارة وتجاوز التخلف وتحقيق الرقي والتقدم ، ولتسد حاجة إنسانية اليوم والمتمثلة ، في نشر قيم الخير ومناشدة السلام ، ومحاربة الاضطهاد والمآسي التي شاهدتها البشرية بسبب تغول القيم المادية على حساب القيم المعنوية والروحية للإنسان ،لذا سنحاول في هذا المبحث أن نرصد علاقة الأخلاق ببعض جوانب الحضارة ومجالاتها ، من دين وثقافة ومجتمع وعلم وفكر وسياسة واقتصاد ...لنصل في النهاية لإثبات صدق أطروحته، التي توجب وتلزم الاهتمام بالأخلاق والتركيز عمليا في كل عمل نحو الدخول فيالتار يخ، وصناعة حضارة لمجتمع ما، يريد ذلك.

1- **علاقة الأخلاق بالدين** : لقد جعل مالك بن نبي من عنصر الدين – الفكرة الدينية – أهمية بالغة في مشروعه الحضاري ، وعدها المفاعل الأساسي لعناصر الحضارة ، والروح الأخلاقية عنده أساسها الدين لهمة و الدين السماوي خاصة إذ يقول:" إن العلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان هي التي تلد العلاقة الاجتماعية ، وهذه بدورها تربط بين الإنسان وأخيه الإنسان ،(...) وهي تلد في صورة أخلاقية "[1] ، فالدين له دور في ربط وتطوير شبكة العلاقات الاجتماعية ، فكلما ضعفت العلاقة الدينية –العلاقة الروحية بين الإنسان وخالقه – تناقصت هذه العلاقة الاجتماعية – بين الإنسان وأخيه الإنسان – وعلى العكس من ذلك كلما كانت العلاقة الدينية قوية زادت العلاقات الاجتماعية قوة وتماسكا ،ويقل الفراغ الاجتماعي ،وهذا ما يوحي به قوله صلى الله عليه وسلم" المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا "[2] ، لذا من أجل الوصول إلى هذه الدرجة ينبغي وجود كمية من العلاقات وتوجيهها نحو المثل الأعلى ، الذي تعمل جميع الشرائع من أجل الوصول إليه " [3]، والحق أن تطور الإنسانية هو ما يحدث من مشاعره الدينية ، المسجلة في و اقع الأحداث الاجتماعية ، تلك التي تطبع حياة الإنسان وعمله على وجه البسيطة ، فالأخلاق عند مالك بن نبي تكتسي أهمية نابعة من

[1] - مالك بن نبي **: ميلاد مجتمع** : مصدر سابق ، ص52.

[2] -الحديث النبوي : أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم، (2/159) رقم (2446).

[3] - مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ،ص63.

أهمية مصدرها الديني ، فهو يقول:" إذ أنها تطبع الفرد بطابعها الخاص وتوجهه نحو غايات سامية" [1] ، ويظهر ذلك في الأخلاق الدينية التي مصدرها الدين ، ويضرب لنا مثالا على الدورة الحضارية الإسلامية يقول: " جعلت جزيرة العرب التي ، كانت فيها العوامل الثلاثة : الإنسان والتراب والوقت ، راكدة وجامدة وخامدة مكدسة لا تؤدي دورها في التاريخ ،، إذ تجلت الروح بغار حراء ، ونشأت من بين هذه العوامل حضارة جديدة تحول فيه البسطاء ذو الحياة الراكدة عندما مستهم شرارة الروح، إلى دعاة إسلاميين ، تتمثل فيهم خلاصة الحضارة الجديدة ،و أن يدفعوا بروحها وثبة واحدة إلى تلك القمة الخلقية الرفيعة التي انتشرت معها حياة فكرية واسعة متجددة ، نقلت من العلوم ما نقلت وأدخلت علوما جديدة" [2] ،ومن هنا فالأخلاق الإسلامية التي منبعها الدين الإسلامي كانت سبب التحول الذي شهدته جزيرة العرب والتطور والرقي الحضاري ، وهي عنصر هام لفعالية الإنسان المسلم لتحقيق التغيير والنهوض الحضاري ، ويضيف قائلا:"وقد ظلت روح المؤمن هي العامل النفسي الرئيسي من ليلة حراء – نزول الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم –إلى أن وصلت الحضارة إلى القمة الروحية للحضارة الإسلامية" [3].

وهكذا كما نلاحظ لم يكتفمالك بن نبي برصد الأخلاق ودور الدين الإسلامي في بعثها وا ٍنما اختبر كذلك الحضارة الغربية المسيحية ولاحظ:" أن الروح المسيحية لم تجد طابعها الخاص في فن المعمار إلا عندما تفاعلت هذه الفكرة مع القبائل الجرمانية ، وهذا يعني أن هذه القبائل كانت تتواجد بها أخلاق كما جاء في قول " كسرلنج " في كتابه " البحث التحليلي لأوربا " وكان أعظم ارتكاز حضارة أوربا على روحها الدينية ..."[4] ،إذ وجد أن الحضارة الغربية وراء دخولها التاريخ هو روح خلقية منبعها الديانة المسيحية، وفي نفس السياق يقول أيضا:" فالعنصر

[1] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص56.

[2] - المصدر نفسه ،ص57.

[3] - المصدر نفسه ، ص58.

[4] - المصدر نفسه ، ص ص63.62.

الديني يطبع الإنسان وعمله، فكلما نمت المشاعر الدينية تطورت الإنسانية، وقد شكلت المسيحية (الأنا الأوروبي) وذاته، كما صاغت أوروبا الذي في منتصف القرن العشرين "[1]، ويضيف قائلا:" كل حدث يسجله الزمان في ملحمة من ملاحم التاريخ الأوروبي ، هو في الواقع نوع من التجسيد للفكرة الدينية "[2]، فالفكرة الدينية تقوم بتنظيم الغرائز مع مقتضياتها ،ومن ثم يمارس الفرد حياته طبقا لقانون الروح الأخلاقي... ويتدخل كذلك في بناء الأفراد وشخصياتهم عل أساسه ،فنفسية الفرد في المجتمعات التاريخية على الأقل مفعمة بالنزعة الدينية ، التي تعد جزءا من طبيعته ، وهو ما جعل علم الاجتماع في تعريفه للإنسان بأنه - حيوان ديني -" [3] ، كما أن الإنسان حسب مالك بن نبي : " مزود بسلطتين:سلطة الغريزة وسلطة الضمير ، فالأولى تحافظ على النوع و بالثانية يسير نحو التقدم ، والغريزة لا يمكن إلغاؤها وا ٍنما يتم تنظيمها - وتهذيبها - بفضل الضمير وطبقا لهذا الاشتراك المنوط بتكيفه الديني أعني تبعا لخضوعه لقانون التقدم الأخلاقي فإذا ما حملته طبيعته على العمل ، فإن ضميره هو الذي يعطي لعمله تاريخا أخلاقيا "[4] فالأخلاق لها قيمة، وقيمتها مستمدة من قيمة مصدرها، وهو الدين وكذا وظيفتها الحضارية . **يمكن القول**: أن الدين يتدخل في التركيب الاجتملعي ، وذلك في شكل قيم أخلاقية متجسدة في العرف والتقاليد والعادات والقو اعد والمبادئ الشرعية ، فالأخلاق ذات أهمية، وأهميتها نابعة من أهمية مصدرها الديني ، وفعاليته في بناء الحضارة ، فالأخلاق إذن: هي خميرة الفكر و الحضارة .

2- **علاقة الأخلاق بالمجتمع (شبكة العلاقات الاجتماعية)**: يرى مالك بن نبي أن الأخلاق هي التي تقوم ببناء شبكة العلاقات الاجتماعية في المجتمع ، وذلك بالشكل الذي يسمح له بأداء نشاطه المشترك ، وهي ضرورية له بتوجيهه نحو غاياته ، ويخدم اتجاهه نحو بناء

[1] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ،ص 56.

[2] - المصدر نفسه ، ص57.

[3] - مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ،ص ص102.64.

[4] - المصدر نفسه ، ص64.

الحضارة يقول مالك بن نبي:" إذن فالعلاقة الروحية بين الله والإنسان هي التي تلد العلاقات الاجتماعية ، وهي بدورها تربط بين الإنسان وأخيه الإنسان ، إنها تلدها في صورة القيم الأخلاقية ، فعلى هذا يمكننا أن ننظر إلى العلاقة الاجتماعية ، والعلاقة الدينية معا من الوجهة التاريخية على أنها حدث ، ومن الوجهة الكونية على أنها عنوان على حركة تطور اجتماعي واحد "[1]، فالدين هو الذي يحمي الحياة الأخلاقية في أمة ما ، وذلك بالعمل على بناء شبكة العلاقات الاجتماعية ،فمالك بن نبي يرى أن مجموعة القوانين التي تقرها الديانات السماوية أو سنتها البشرية ، ما هي في الحقيقة إلا قواعد دفاعية لحماية شبكة العلاقات الاجتماعية ، حيث يقول:" إن جميع القوانين التي أملتها السماء – مصدرها الله – ووضعتها محاولات البشر ، هي في الحقيقة الأمر إجراءات دفاعية لحماية شبكة العلاقات الاجتماعية ، وبدونها لا تستطيع الإنسانية أن تستمر لا أخلاقيا ولا ماديا "[2] ، والأخلاق – حسب مالك بن نبي – هي التي تتبنى هدف الدفاع عن شبكة العلاقات الاجتماعية فهي من توثق عرى وأواصل الترابط بين الأفراد داخل المجتمع الواحد ولدى الجماعة البشرية كما يتبنى الدين ذلك أيضا في الجهاز المناعي الذي يحمي الحضارة من السقوط ، ويقول مالك بن نبي في هذا الصدد:" بل إن جميع التقاليد المقدسة التي دانت لها الإنسانية العذراء وجميع المبادئ الأخلاقية التي اتخذتها الإنسانية المتحضرة ليس إلا تطبيقا متنوعا لتعاليم أخلاقية مشتركة ، يختلف التطبيق فيها تبعا لتعاقب ظروف التاريخ الإنساني ،والهدف الأساسي لهذه التعاليم هو الدفاع عن شبكة العلاقات الاجتماعية ، التي يقوم عليها المجتمع كما يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ "[3]ويضيف قائلا:"إن المبادئ الأخلاقية دينية كانت أو لا دينية ، إنما تنتهي إلى هذا الأساس المقدس الذي يرتفق بناء الإنسانية الأخلاقي ، كما إنه هو الذي يؤمن نشاطه المشترك"[4]، كما أن مالك بن

[1] مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ، ص56.

[2] - المصدر نفسه ، ص88.

[3] - المصدر نفسه ،ص95.

[4] - المصدر نفسه والصفحة نفسها.

نبي يجعل من الأخلاق مصدر ا لبناء نظام تربوي اجتماعي يحمي شبكة العلاقات الاجتماعية ، ويمنحها التماسك والنظام المطلوبين ، مما يتيح للفرد والمجتمع الفرصة للاضطلاع بمهامه الحضارية ، وذلك ببلوغ أهدافه وفي ذلك يقول مالك بن نبي:" إنه لكي يمكن التأثير في أسلوب الحياة ،في مجتمع ما وفي سلوك نموذجه الذي يتكون منه ، وبعبارة أخرى لكي يمكن بناء نظام تربوي اجتماعي ، ينبغي أن تكون لدينا أفكار جد واضحة عن العلاقات والانعكاسات التي تنظم استخدام الطاقة الحيوية على مستوى الفرد وفي مستوى المجتمع ،فالدين يخلق الشبكة الروحية التي تربط المجتمع بالإيمان بالله ،وهو يخلق بعمله هذا أيضا شبكة العلاقات الاجتماعية التي تتيح للمجتمع أن يضطلع بمهمة الأرضية ،و أن يؤدي نشاطه المشترك وهو بذلك يربط أهداف السماء بضرورات الأرض "[1] ، فالتغيير على هذا الأساس يتم على مستوى السلوك الفردي أو الاجتماعي ، ناتج عن فعالية الدين وما يسميه – مالك بن نبي – بالمبدأ الأخلاقي و(الروح الخلقية) ، وما يحدثه في النفوس والمحيط الثقافي والاجتماعي وشبكة علاقاته ، حيث نجده يقول في ذلك:" ويعتبر التغيير الاجتماعي هنا منوطا بالدفعة الروحية الدينية في نفوس الأفراد ، وتأثيراتها الواقعية في المحيط الثقافي والاجتماعي والعلاقات المتبادلة بين السلوك الفردي والسلوك الاجتماعي"[2] ،إن مالك بن نبي يعطي أهمية بالغة للأخلاق ودورها في البناء الاجتماعي و الحضاري ويوضح ذلك من خلال مثال: المسلم الذي يعيش انفصالا يمزق شخصه لشطرين: شطر ينظم سلوكه في المسجد ، وشطر ينظمه في الشارع ، فالأخلاق هي من تعطي الوحدة للمسلم ، وفقدانها يؤدي إلى الانقسام الذي يأتي نتيجة تأثير المجتمع في أفراده .إن الانفصال بين الروح والاجتماع ، تظهر آثاره في سلوك المسلم الحديث في المسجد وفي الشارع "[3]،وهذا يعني أنه في المسجد يرتبط المسلم بالقو ة الروحية

[1] -الطيب برغوث :**موقع المسألة الثقافية في إستراتجية التجديد الحضاري ،عند مالك بن نبي**،دار الينابيع للنشر،و الإعلام ،ط1 ،1993،.ص ص78.79.

[2] - نوارة خالد السعد :**التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي**.مرجع سابق ، ص107.

[3] - مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ، ص99.

ولكنه بمجرد خروجه منه واصطدامه بالمجتمع ، يتأثر بقوانين هذا الأخير ، فيصبح المسلم يناشد مصلحته الخاصة دون المصلحة العامة .لذا إذا كانت القوانين الأخلاقية فعالة فإن شبكة العلاقات الاجتماعية تكتمل ، وتكون قوية متماسكة تحمي المجتمع من الانحلال ، والتفسخ الحظوي و بالتالي تضمن الاستمرارية للحضارة ، وا ٍذا كانت القوانين الأخلاقية غير فعالة ، فإن شبكة العلاقات الاجتماعية تكون ضعيفة ، وذلك يساهم في ظهور الأمراض الاجتماعية ، والتي من بينها (القابلية للاستعمار ، وتضخم الأنا والتفسخ الأخلاقي ...)، فيعرقل بذلك كل عمل يهدف لإحداث التغيير و البناء الحضاري فيصيب الحضارة الركود والسكون فتتلاشى ، يقول مالك بن نبي:" كلما حدث إخلال في القانون الخلقي في مجتمع معين ، حدث تمزق في شبكة العلاقات التي تتيح له أن يصنع تاريخه"[1]، ومنه فإن أي إلغاء أو إنقاص لدور المبدأ الأخلاقي في بناء الحضارة ، فإن ذلك من شأنه أن يحلل شبكة العلاقات الاجتماعية ،وذلك يشكل خطرا سواء لبناء الحضارة أو لاستمراريتها في التاريخ ،يقول مالك بن نبي:"إن شبكة العلاقات الثقافية تختل حتما في بلد ما، إذا اختل فيه المبدأ الأخلاقي،وإ ن هذه الحقيقة هي وحدها التي تفسر لنا كيف أن فعالية المجتمعات تزيد أو تنقص، بقدر ما يزيد فيها تأثير المبدأ الأخلاقي أو ينقص"[2]، ويطلق مالك بن نبي على فاعلية المبدأ الأخلاقي اسم" التوتر الخلقي" ففي كتابه" ميلاد مجتمع" ذكر:" أن أول عمل يقوم به مجتمع ما فور ميلاده ، هو ربط شبكة العلاقات الاجتماعية أي هو خلق التآخي في حال المجتمع الإسلامي" مثلا " ،ثم إن أول ما يفقده المجتمع وهو متوجه نحو حتفه ،هو تداعي البناء الخلقي ، ويمكن أن التوتر الخلقي قد بلغ ذروته في العهد المدني ، ثم شرع في التدني بعد صفين"[3] ،ويضيف قائلا:"وبلوغ " الحالة الكاملة " للمجتمع يعني اكتساب ذلك المجتمع لخصائص وملكات تحت سيطرة الروح ، ومتصلة بالاعتبارات ذات الطابع الميتافيزيقي وهو ما يعبر عنه :" بأعلى درجات التوتر

[1] - مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ، ص49.

[2] - مالك بن نبي : **تأملات** ، مصدر سابق ، ص148.

[3] -مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ، ص ص 29.28.

الأخلاقي " لذا فالمبدأ الأخلاقي هو الذي يقرر الاتجاه العام للمجتمع بتحديد الدوافع والغايات"[1].و يضرب لنا مثالا عن دولة اليابان التي استطاعت أن تنظم شبكة العلاقات الاجتماعية وذلك وفق قواعد أخلاقية ، فيقول:" فقد توصلت اليابان إلى الإنقاص من جميع مشاكل التخلف بفعل تنظيم معين للمجتمع على قواعد أخلاقية"[2] ،هذا يبين أن مهمة الروح الخلقية هي ربط الأفراد بعضهم ببعض ، وضبط السلوك لدى الفرد والمجتمع ، " فهو يغذي الجذور النفسية عامة – يشحنها- كونه يتدخل مباشرة في بناء الشخصية التي تكون " الأنا " الواعية للفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية التي تضعها الغريزة في خدمة هذه الأنا "[3].

ما يمكن قوله كحوصلة: إن مالك بن نبي من خلال تتبعه لحركية التاريخ ، وصل إلى قانون عام هو أن الدين والمبدأ الأخلاقي بالتبع ،هو مركب القيم الاجتماعية وهو الذي يهدف إلى تنظيم شبكة العلاقات الاجتماعية ليس فقد داخل المجتمع الواحد ،بل حتى خارجه أي بين الدول ، وبذلك تعد القوانين الأخلاقية جهاز ا دفاعيا ومناعيا ، توجه المجتمع نحو هدف سام وهو بناء حضارة والدخول بذلك في التاريخ ،وذلك مرهون بمدى فاعليته ، أما إذا غابت فاعليته فإنه يعبر عن ضعف وتحلل شبكة علاقاته ، وهو مؤشر على بداية خروج المجتمع من مسرح التاريخ الحضاري ، وغروب شمسها وأفولها .

3-**علاقة الأخلاق بالثقافة وبالعلم** : سبق لنا وأن أشرنا في الفصل الأول من هذا البحث وبالضبط في المطلب الخاص- بمفهوم الحضارة عند مالك بن نبي- أنه يربط ربطا وثيقا بين الثقافة والحضارة ،ونظر إليها على أنها هي من تغذي الحضارة – تحمل جنينها في أحشائها - ، ذلك لأنها هي من تحمل سمة، وتميز حضارة ما عن أخرى ، وعملية التغيير والتجديد الحضاري تبدأ على مستوى الجانب المعنوي والنفسي للإنسان ،باعتبار أنه صانع ومنتج الحضارة ، لذا عرفها على أنها:" بأنها مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها

[1] - مالك بن نبي : **تأملات** ، مصدر سابق ، ص149.

[2] -مالك بن نبي : **القضايا الكبرى** ، مصدر سابق ،ص 53.

[3] - مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ، ص 72.

الفرد منذ ولادته ، كرأس مال أولي في الوسط الذي ولد فيه ، والثقافة على أنها المحيط الذي يشكل الفرد فيه طباعه الشخصية" [1]، فمن خلال هذا التعريف الشامل الذي يشمل الإنسان والمجتمع ، نلاحظ أن الثقافة بالمفهوم الشامل لدى مالك بن نبي ، متضمنة القيم الأخلاقية والاجتماعية في بنائها ، كونها مرتبطة بالسلوك الإنساني كفرد أو السلوك الاجتماعي – الجماعة – فقد عد مالك بن نبي المبدأ الأخلاقي المقوم الأول الذي تقوم عليه الثقافة ، وكل عملية توجيه وتربوية قبل الذوق الجمالي والمنطق العملي ، والفن والصناعة وذلك نظرا لأهميتها في أي بناء ثقافي نحو بناء حضارة ما ، فالثقافة عنده:" هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر على الفرد منذ ولادته ،وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه "[2]،الثقافة في جوهرها قيم معنوية وأخلاقية واجتماعية، وليست مجرد معارف وعلوم ، ويقول كذلك:" الحقيقة الأولى التي تتبادر إلى أذهاننا هي أن الثقافة لا تستطيع أن تكون أسلوب الحياة في مجتمع معين كما ذكرنا إلا إذا اشتملت على عنصر يجعل كل فرد مرتبطا بهذا الأسلوب ، يحدث فيه نشوزا بسلوكه الخاص ، ونحن إذا دققنا النظر في هذا العنصر كضرورة منطقية اجتماعية فإننا نكون بهذا قد وضعنا فصلا هاما من فصول الثقافة ، وحققنا شرطا أساسيا ألا وهو المبدأ الأخلاقي"[3]،فالثقافة عند مالك بن نبي نظرية في السلوك وليست مجرد معارف نتعلمها ومعلومات ، فهي أشمل وأعم من ذلك ، في هذا الصدد يقول مالك بن نبي:" الثقافة هي نظرية في السلوك أكثر منها نظرية في المعرفة"[4]، ولا يمكن للثقافة أن تقوم بوظيفتها ودورها العملي والحضاري تجديدا وتغييرا وبناءا ، إلا من خلال عناصرها وفصولها ألأربعة الأساسية والتي حددها مالك بن نبي مرتبة (الدستور الأخلاقي ، والذوق الجمالي ، والمنطق العملي ، والفن والصناعة) ، وقد وضع الأخلاق في

[1] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص89.

[2] - مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة** ، مصدر سابق ،ص74.

[3] - مالك بن نبي : **حديث في البناء الجديد** ، مصدر سابق ،ص 71.

[4] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** : مصدر سابق ، ص88.

مقدمتها ، وهذا دليل على مكانتها في البناء الثقافي والاجتماعي والحضاري عند مالك بن نبي:فالارتباط بين الثقافة والأخلاق ارتباط عضوي وجوهري كونها تتأسس على القيم الأخلاقية ، فكلما كانت الأخلاق فعالة كانت الثقافة دورها إيجابي في عملية التوجيه والتربية ، نحو تحقيق أهداف سامية يضعها المجتمع ، لبناء الحضارة والحفاظ على استمرار يتها- بناء إنسان متحضر ومتكامل وفق أسلوب التربية الأخلاقية - والعكس كلما ركد المبدأ الأخلاقي وكان دوره سلبيا في البناء الثقافي ،وغابت التربية الأخلاقية الهادفة - كان الإنسان متحللا ومتفسخا أخلاقيا وثقافيا وحضاريا - فتنتشر الأمراض الثقافية والاجتماعيةوالحضار ية التي تشل حركة المجتمع نحو تحقيق الهدف الأعلى ، لذا فوظيفة الثقافة عند مفكرنا في جوهرها، تكوين الإنسان الحضاري منتج الحضارة بإرادته ووعيه ، وذلك بتربيته وتوجيهه وفق أحسن أساليب التربية الأخلاقية والاجتماعية ،فالأخلاق تدخل في تحديد معنى الثقافة ، وهي شرط من شروطها في ذلك يقول مالك بن نبي:" فأساس كل ثقافة هو بالضرورة تركيب وتأليف لعالم الأشخاص ، وهوتأليف يحدث طبقا لمنهج تربوي يأخذ صورة فلسفية أخلاقية ، وا ٍذن فالأخلاق أو الفلسفة الأخلاقية هي أولى المقومات في الخطة التربوية لأي ثقافة"[1] ، كما تتدخل الأخلاق في تكوين العوالم الثلاث لأي حضارة:عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء ،حيث نجده يقول أيضا:" فالمبدأ الأخلاقي يقوم بالضبط ببناء عالم الأشخاص الذي لا يتصور بدونه عالم الأشياء ، ولا عالم المفاهيم ..."[2] ، فهو لا ينظر لدور الأخلاق في الثقافة المحلية– داخل المجتمع الواحد - ، بل وظيفتها حسبه تتجاوز مستوى العلاقات بين الأفراد لتدخل في نسيج العلاقات بين الدول – شبكة العلاقات الثقافية الدولية - ، فالدول محكوم عليها بالفشل في حالة إخلال بالمبدأ الأخلاقي ، وهذا الجانب من القضية قد أصبح واضحا الآن فإن شبكة

[1] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** : مصدر سابق ،ص 63.

[2] - مالك بن نبي : **تأملات** : مصدر سابق ،ص 148.

الصلات الثقافية تختل فيه حتما في بلد ما إذا أختل فيه المبدأ الأخلاقي..."[1]. فالأخلاق على هذا الأساس شرط أساسي للثقافة، و الدليل على ذلك في قوله:" بقدر ما تكون الثقافة متطورة فإن البذور الأخلاقية والجمالية تكون أقرب للكمال، حتى تصبح من ثمة القوانين المحددة التي يخضع لها نشاط المجتمع والدستور الذي تقوم عليه الحضارة" [2]. فالأخلاق هي معيار قوة وتماسك وترابط ثقافة ما واكتمالها، وهي بذلك عامل أساسي نحو أي فعل تجديدي وتغييري من أجل ميلاد مجتمع في مسار التاريخ ، قوة وضعفا في من تحدد اتجاه الثقافة والحضارة ، وترسم سمتها وتميزها عن غيرها ، فالأخلاق متجذرة في الثقافة والحضارة ، وهي من تحدد نمط سلوك الفرد والمجتمع .

أما عن علاقة الأخلاق بالعلم، لقد أشرنا سابقا أن مالك بن نبي يميز بين الثقافة و العلم ، فالثقافة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة ، فهي ليست علما يتعلمه الإنسان ، بل هي محيط يحيط به ، و إطار يتحرك داخله ، أما " العلم فهو سوى بعض نتائج الحضارة ، أي أنه مجرد جهد تبذله عقولنا حين تستخدم في عالم الأشياء" [3]. فلقد أدى التطور العلمي في أوروبا إلى قتل القيم والمفاهيم الأخلاقية ، واستبدلها بكميات والماديات – أرقام ورموز - ، بطغيان الصناعة على جميع مجالات الحياة ، وأصبح الفرد يبحث عن حضه لا عن رسالته"[4] ، حيث رصد مالك بن نبي من خلال دراسته للحضارة الغربية ، أنها تسيطر عليها النزعة المادية – الشيئية - و التي حلت محل القيم المعنوية والروحية ، مما جعله يعطينا نظرة عن واقع العلم وتطوره في أوروبا خاصة والعالم الغربي عامة، حيث لاحظ ابتعادها عن الأخلاق ، وجعل هذه الأمم ترى نفسها الرائد للإنسانية كونها بنت حضارتها

[1] -العابد ميهوب: **الفكر التربوي عند مالك بن نبي** ،اشراف، أ/ د . نورالدين زمام ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد خيضر ، بسكرة [2014/2013] ،ص253.

[2] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص107.

[3] - مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة** ، مصدر سابق ،ص 50.

[4] - مالك بن نبي :**وجهة العالم الإسلامي** ، مصدر سابق ، ص ص118.117.

بالتكتل حول عالم الأشياء – الأساس المادي - ،فقد فقد الإنسان قيمه وتنازل عن دوره في الحياة ، إذ أصبح يبحث عن حضه من الماديات والأشياء ، التي تملكت كل تفكيره...على أية حال:" فإننا نستطيع بعد تجربة قرن كاملة ، أن ندرك أن العلم لا يستطيع وحده بوسائله الخاصة إصلاح ما أفسده هو ، ولعلنا نستطيع على الأقل تقويم هذا الفساد وتقدير ثقله من خلال حربين عالميتين"[1]، فالأز مات العالمية بكل أنواعها ، ولدت أزمات إنسانية وذلك باتساع الفجوة بين العلم والضمير الأخلاقي ، والذي كان سببا في ضعف الأداء الحضاري وفي هذا الصدد يقول مالك بن نبي:" فالعلم بدون ضمير ما هو إلا خراب الروح" [2]،أي أن العلم أثبت عدم جدارته في قيادة الإنسانية نحو الحضارة وذلك ببعده عن الأخلاق ،هذا السبب يبرر مدى الحاجة للأخلاق ،لتضيق هذه الفجوة والهوة بين العلم والأخلاق ، وجعل العلم يتكامل مع الضمير الخلقي الإنساني ، ولا يتصارع معه، بل يتجهان لهدف واحد ألا وهو بناء الحضارة والرقي بالإنسانية ،وبالنسبة للعالم الإسلامي حسب مالك بن نبي فإن تخلفنا راجع لعدم الاهتمام بالعلم من جهة،ومن جهة ثانية عدم توظيف القيم توظيفا متناسبا مع الحركة التي شهدها العلم.

إذ نجده يقول في كتابه"وجهة العالم الإسلامي":" هذا التخلف بين الضمير والعلم كان هو السبب المباشر في الانفصال الذي حدث في العالم الإسلامي"[3] ،و يشير هنا مالك بن نبي إلى الانحطاط وأفول الحضارة الإسلامية ، ويشخص سببا من أسبابها ، ويقدم في نفس الوقت وصفة العلاج لمشكلة التخلف ، وذلك بضرورة تعزيز العلم بالقيم على هدى الدين الإسلامي وروحه ، يقول في ذلك:" فإن أصبحهذا الانحطاط منحصر ا بين هذين الطرفين من بعد – يقصد الضمير والعلم - ، وهو صحيح فإن النهضة تكون فيما يبذله العالم الإسلامي من جهد في الميدان النفسي هي حركة ضميره لتدارك تخلفه عن الفكر القرآني وعن ركب الفكر العلمي

[1] - مالك بن النبي : **بين الرشاد والتيه** ، مصدر سابق، ص76.

[2] -المصدر نفسه ،ص80.

[3] - مالك بن نبي : **وجهة العالم الإسلامي** ، مصدر سابق ،ص124.

الحديث"[1] ،فضمير المسلم في حالة سبات وعدم اليقظة ،و هو ما يجب إعادة بعثه من جديد ، و اتساع هذه الفجوة حسب مالك بن نبي هي حالة مرضية مهيمنة ومسيطرة سواء في العالم الإسلامي أو في العالم الأوروبي ، وعلاجها يتطلب جهودا كبيرة ومضنية ، يقول مالك بن نبي:" لو كانت الفجوة بين العلم الذي قلب الأوضاع ،وبين الضمير التقليدي الناكص ، تزداد اتساعا وعمقا ، كلما جد جديد أو حدث اكتشاف في ميدان العلم ، وغرق ذلك الضمير الذي طأطأ رأسه منذ نهاية القرن الثامن عشر أمام إله العلم فغمره فيضان حقيقي في بداية القرن العشرين"[2]، إن مالك بن نبي كشف لنا عن مرض خطير يصيب الحضارة ، من الصعب علاجه كونه تجذر في جسدها ، وهو غياب الضمير الخلقي في علاقته بالعلم ، من خلال الثورة العلمية المعاصرة في شتى ميادين العلم مثل:الثورة البيولوجية الجينية –التلاعب بالفيروسات مثل كوفيد 19 – لأغراض مادية و... فغاب الضمير الإنساني وطغت النزعة المادية على فكر وسلوك الإنسان المعاصر .

إن الأخلاق ضرورية بالنسبة للعلم، ووجب تقليص الفجوة بينهما في سبيل بناء حضارة متوازنة غير منقوصة بين القيم المعنوية والروحية والقيم المادية ، وذلك بيقظة الضمير وا إشراكه في بناء الحضارة ، وهنا تسترجع القيم الأخلاقية قيمتها و رسالتها والتاريخية وحمايتها من مخاطر الانحراف والسقوط، وذلك بعلاجها من أمراضها .

4. **علاقة الأخلاق بالاقتصاد** : إذا كان الإنسان هو العامل الأساسي لبناء الحضارة حسب مالك بن نبي ، فإن عملية البناء والتغيير والتجديد ، تبدأ من خلال بناء الإنسان المتحضر وذلك عن طريق فهم وحل مشكلاتهو عن طريق وعي أبعاده المعنوية والنفسية ، والمادية باعتباره منتجا للحضارة وصاحب فعل التغيير والتجديد ، فالإنسان يؤثر في بناء الحضارة بفكره وماله ، لذا فمالك بن نبي نظر لرأس المال على أنه آلة اجتماعية تنهض بالتقدم

[1] - مالك بن نبي : **وجهة العالم الإسلامي** ، مصدر سابق ، ص125.

[2] - المصدر نفسه ، ص127.

المادي...كما أنه يتسع مجاله الاجتماعي بمقتضى حركته ونموه في محيط أكبر من محيط الفرد ، وأقصى من المقدار التي تحدده حاجاته الخاصة[1] ، فالاقتصاد عند مالك بن نبي هدفه وتوجيهه الحضاري الحقيقي ، ليس في جمع الثروة المادية وتركيزها لدى الفرد ، أو فئة معينة من المجتمع – عكس هدف الاقتصاد الرأسمالي والاشتراكي ؛ بل هوفي تحقيق وا إشباع حاجيات وتلبية مطالب الأفراد والجماعة ، وخلق التوازن بينهما ، يقول مالك بن نبي:"...لا يكون تركيز رؤوس الأموال في أيدي فئة قليلة...بل يجب أن يوفر فيه إسهام الشعب مهما كان فقيرا ، وبذلك يتم التعادل بين طبقات المجتمع ، وتنسجم مصالح الجماعة مع مصلحة الفرد "[2] ،فخلق التوازن بين طبقات المجتمع ضروري ، في العملية الاقتصادية وهذا يوحي بعلاقة الارتباط ، بين الأخلاق والبعد الاقتصادي المادي في الحضارة فالاقتصاد مهمة كل الشعب دون استثناء ، لذا التصور الأخلاقي للاقتصاد هو الذي دفع مالك بن نبي إلى القول:" إن الاقتصاد ليس قضية إنشاء بنك ، وتشييد مصانع فحسب ، بل هو قبل ذلك تشيد الإنسان وا إنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات"[3]، فنجاح الاقتصاد حسب مفكرنا ، مرهون بتوفير العوامل النفسية والروحية – التي قوامها القيم الأخلاقية – وذلك في كل عملية اقتصادية ،وفي هذا الصدد يقول:"..ولكن الإشراف والتنظيم والمراقبة مع اعتبارها شروط بقدر ما يتضخم الإمكان ولا يتحقق ،على أية حال النجاح المضمون للاقتصاد ، إن افتقد إلى عامل نفسي أو روحي ، ينهض به على أنه التجسيد للإرادة الحضارية" [4] ، فمالك بن نبي من خلال دراسته وتحليله للحضارة الغربية وأنظمتها الاقتصادية ، ممثلا في النظام الاقتصادي الرأسمالي والاشتراكي ،وجد الأول جوهره مادي يركز على حماية الملكية الفردية ،وهدفه الثروة بأية وسيلة دون مراعاة للأخلاق ، والذي أفرز الطبقية الاجتماعية ،وولد الأزمات العالمية والانحرافات

[1] - مالك بن نبي :**شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص ص119.118.

[2] - المصر نفسه ، ص121.

[3] - مالك بن نبي : **المسلم في عالم الاقتصاد** ، مصدر سابق ، 59.

[4] - المصدر نفسه ،ص74.

والإباحية بدعوى الحرية كما بنى الحضارة على أساس مادي وفق تصور آدم سميث وتصور كارل ماركس في الاقتصاد الاشتراكي – المادية التاريخية - مما تنبأ لها بالأفول والسقوط كونها حضارة عرجاء ، ودفعه هذا إلى النظر للاقتصاد بمنظور أخلاقي ،والذي في صميمه يرجع إلى الاقتصاد من وجهة إسلامية ، إذ نجه يقول:" المجتمع الإسلامي أجدر من أن يحقق له وللإنسانية التجربة التي تعيد إلى عالم الاقتصاد أخلاقيته ، وتتلاشى بذلك الانحرافات الإباحية التي تورطت فيها الرأسمالية"[1]،وتدخل الشروط الأخلاقية حسبه في أهم عمليتين ونشاطين اقتصاديين هما "عملية الإنتاج " وعملية " التوزيع " ، وعبر عن علاقة الأخلاق بالاقتصاد بعلاقة جبرية - لغة علمية رياضية كمية – تربط بين الإنتاج وهو ما نعطيه للمجتمع ، وبين الاستهلاك وهو ما نأخذه منه وتتمثل في:إنتاج + استهلاك= صفر و هي متراجحة لها ثلاث احتمالات"[2]، فالفرد تربطه بالمجتمع هذه العلاقة ، بحيث إذا كان الإنتاج أكبر من الاستهلاك فهذا دليل على تطور المجتمع اقتصاديا وتماسكه اجتماعيا ، فالواجب هنا أكبر من الحق أما إذا كان الإنتاج مساويا للاستهلاك ، يكون كل من الاقتصاد والمجتمع في حالة توازن وهذا يدل على تساوي الواجب والحق ، أما في الحالة التي يكون فيها الإنتاج أقل من الاستهلاك ، فيكون المجتمع متدهور ا اقتصاديا ، وغير متماسك اجتماعيا وذلك بسبب طغيان الحق على الواجب "[3]،إن الحق والواجب مفهومان أخلاقيان ، وهما يتدخلان في صميم الممارسة الاقتصادية ،وهما مؤشران على تطور وازدهارها ،أم ضعفها وانحطاطها يقول مالك بن نبي:"إذا عدنا للعلاقة الجبرية بين الإنتاج والاستهلاك واعتبرناها علاقة أخلاقية اقتصادية نستطيع النظر في احتمالاتها ، فنراها تدل على حالات ثلاث ، يحقق المجتمع إحداها حسب اتجاهه الثقافي ، فبحسب تركيزه على مفهوم (الواجب) أو على مفهوم (الحق) ، تكون معادلته الاقتصادية إيجابية بفائض الإنتاج على الاستهلاك ، أو متعادلة إذا استوى الطرفان ،

[1] - مالك بن نبي : **المسلم في عالم الاقتصاد** ، مصدر سابق ، ص101.

[2] - المصدر نفسه ، ص87.

[3] - المصدر نفسه ،ص88.

أو سلبية إذا كان الاستهلاك أرجح في الميزانية "[1]، فمالك بن نبي يرى في الاقتصاد الإسلامي حلا للأزمات الاقتصادية والاجتماعية ، كونه يربط الممارسة الاقتصادية بالقيم الأخلاقية المستوحاة من الدين الإسلامي ، فهو اقتصاد متوازن يهتم بمصلحة الفرد والمجتمع، ومصلحته كذلك وفق شروط أخلاقية عكس الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الاشتراكي ،يقول في هذا الصدد:"هناك ترابط بين القيم الاقتصادية والأخلاقية ، هذا الترابط الذي أهملته الرأسمالية في نظرتها الإباحية للاقتصاد ، بينما نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يعطينا في قضية المتسول الذي أتى يسأل لقمة عيش ، كان من حقه أن يأخذها من المجتمع بنص من القرآن الكريم في الزكاة ،وكان النبي صلى الله عليه وسلم أدرى الناس بتطبيقه ...فأشار على من حوله من الصحابة بأن يجهزوا هذا الفقير ليحتطب، وأشار على الرجل بأن يحتطب ليأكل من عمل يده ، فإذا حللنا هذه الأبعاد الخلقية لهذه القضية ، نرى كيف يحل الرسول صلى الله عليه وسلم أزمة اجتماعية تعرض عليه صورة متسول من المسلمين ، فيفضل الرسول صلوات الله عليه ، حلها في نطاق الواجب على الحق ،أو إذ قدرنا الأبعاد الاقتصادية، فإننا نراه صلى الله عليه وسلم ، يفضل الحل في نطاق الإنتاج"[2]، فنظرة الإسلام للعمل على أنه عبادة وواجب مقدس ،مثله مثل طلب العلم و..، فالتطور الحضاري يتطلب تطور ا اقتصاديا ، ويكون ذلك بأخلقة الممارسة الاقتصادية ، ونجاحها مرهون بعدم تعارضها مع القيم الأخلاقية والاجتماعية ،وذلك بتوجيه رأس المال والثروة لصالح الفرد والمجتمع وفق أهداف غائية روحية، لا تنحصر في الدنيا فقط بل تتجاوزها إلى الآخرة والإنسانية جمعاء ،وكل اقتصاد متناقض مع الأخلاق يجر حتما إلى أزمات اجتماعية وثقافية واقتصادية وأخلاقية ، سواء محليا أو دوليا ،لذا ركز مالك بن نبي على ضرورة بناء الإنسان الحضاري في جميع أبعاده وعوالمه الثلاث:عالم الأفكار وعالم الأشخاص وعالم الأشياء ،والعلاقة فيما بينهم علاقة تناسق،لذا يجب توجيه فكر الفرد نحو وعي الواجب والقيام به قبل المطالبة بالحق ، فالقيام بالواجب وهو العمل والإنتاج أكثر مما يستهلك ،

[1] - مالك بن نبي :**شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص83.

[2] -مالك بن نبي : **المسلم في عالم الاقتصاد** ، مصدر سابق ، ص ص 88.87.

لكي لا يكون عالة على غيره وسببا في ضعف اقتصاد مجتمعه و وطنه أكثر مما يأخذ من الحق ، فالأخلاق ضرورية للاقتصاد ، ولا يمكن تصور تطور حضار ة وميلاد مجتمع جديد في مسار التاريخ ، في غياب اقتصاد أخلاقي .

5. علاقة الأخلاق بالسياسة : من أجل بيان العلاقة بين الأخلاق والسياسة لابد لنا أولا من الوقوف على مفهوم السياسة عند مالك بن نبي ،فهي عنده:" العلم المنظم لجماعة بكل ما تقتضيه وما تفترضه كلمتا تنظيم وجماعة"[1]، ويضيف في كتابه – تأملات - قائلا:" السياسة هي توجيه الطاقات الاجتماعية لتحقيق بناء المجتمع في الداخل وتحقيق مكانته في الخارج"[2]، على هذا الأساس نفهم أن السياسة هدفها توجيه الطاقات الاجتماعية لبناء مجتمع ما من أجل الحفاظ على كيانه وتماسكه و استمراريته ، سواء داخليا بين أفراده أو خارجيا بينه وبين غيره من المجتمعات – الدول - وفق قوانين وقواعد هو من سنها بمشاركة أفراده وفق آليات تنظيمية متفق حولها ،يقول مالك بن نبي:" إن السياسة التي تجهل قواعد الاجتماع وأسسه لا تستطيع إلا أن تكون دولة تقوم على أساس من العاطفة في تدبير شؤونها ، وتستعين بكلمات جوفاء في تأسيس سلطانها"[3]وهذا حسبه يسمى انحرافا سياسيا وخطأ خطير ا من شأنه أن يجر المجتمع لمزالق وانحرافات اجتماعية، تعصف بكيان المجتمع والدولة بسبب الجهل بقواعد السياسة والتنظيم الاجتماعي ، فتحل محلها الأهواء والعواطف الشخصية ، و إذا تتبعنا البحث عن سببه الحقيقي – بحسب مفكرنا – سنجده مستقرا في العالم الثقافي وفي الأساس الأخلاقي بالضبط ، إن المقاييس السياسية حتى وا ن لم تتقرر بوضوح ، وبطريقة إرادية على أساس قيم أخلاقية لا تخطئ أو تصيب ، إلا بسبب طبيعة الروابط الواقع السياسي مع القيم الأخلاقية ، لذا فإذا كانت السياسة هي في صميمها تنظيم فإن الخروج عن هذا النظام يعد انحرافا ، ويقاس مدى

[1] - مالك بن نبي : **بين الرشاد والتيه** ، مصدر سابق ، ص100.

[2] - مالك بن نبي : **تأملات** ، مصدر سابق ، ص25.

[3] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص24.

صواب أو خطأ سياسي بمقدار تمسكها بالقيم الأخلاقية" [1]،فصلاح الشؤون السياسية حسبه يكمن في تمسك السياسة بالأخلاق والقيم الاجتماعية والثقافية التي تراعي فيها مصالح الفرد، و كذا مصالح المجتمع والعمل على خلق التوازن بينهما ، فغياب الأخلاق في السياسة معناه الاستبداد ، والدعوة إلى التسلط والتفرد بالحكم والقرار والتسيير ، وهذا يولد الفوضى الاجتماعية ، وهو عين الانحراف الأخلاقي ، الذي نتج عنه الصراع الطبقي بين وحدات المجتمع ، كما نتج عنه انفصال وحدة الأمة والمجتمع ، وأصبحنا أمام ما يعرف بالضمير الطبقي ، فالصراع حول المصالح المادية أدى إلى ظهور البرجوازية و البروليتاريا كقضيتين متصارعتين ، من جهة وحليفين ضد المستعمر من جهة أخرى ، وهكذا تمزقت وحدة الإنسانية"[2]، وهذا ما استخلصه مالك بن نبي من خلال دراسته وتحليله للحضارة الغربية التي تقوم على نظام سياسي مسيطر ، هو النظام الديمقراطي الرأسمالي – الديمقراطية السياسية - الذي كان سببا في ظهور النزعة الاستعمارية وأزمات اجتماعية ودولية – الحروب – ،وما خلفته من مآسي إنسانية ودمار بأشكاله ،وذلك بسبب مناقضة السياسة للقواعد الخلقية ، فتحل الحيلة والمكر والدهاء والخبث والعاطفة و...، محل القيم الأخلاقية والفضائل السامية التي ترتقي بالإنسان إلى مصاف الإنسانية ،فالديمقراطية الغربية لا تهتم بالمبادئ بقدر ما تهتم بالنتائج – الثروة المادية –وفق منطق " الغاية تبرر الوسيلة "، يقول مالك بن نبي:" العلم دون ضمير، خراب للروح ،والسياسة دون أخلاق ما هي إلا خراب للأمة"[3]، ويضرب لنا مثالا مقتبسا من تاريخ الحضارة الإسلامية – العالم الإسلامي - وهو ذلك النزاع الذي حدث بين علي كرم الله وجهه ومعاوية رضي الله عنه ، إذ لجأ معاوية لحيلة وأمر أصحابه بحمل المصاحف ، على رؤوس السيوف لتكون حكما بينه وبين علي كرم الله وجهه"[4]، لقد أراد بذلك أن يبين من خلاله أن السياسة إذا غاب فيها

[1] - مالك بن نبي : **المسلم في عالم الاقتصاد** ، مصدر سابق ، ص 86.

[2] - مالك بن نبي : **بين الرشاد والتيه** ، مصدر سابق ، ص79.

[3] -المصدر نفسه : ص 80.

[4] - المصدر نفسه ،79.

الوازع الأخلاقي ، والذي في أصله وازع ديني ، فإن نتيجته ستكون حتما الفتنة والعنف بأشكاله ،وهذا ما وقع فعلا بين المسلمين ، والتي آثارها مازالت قائمة إلى يومنا هذا ، وهو الخلاف والشتات بين المسلمين ، مما أدى إلى ضعفهم – مسألة الخلافة – كمسألة سياسية وامتدت لتشمل العقيدة ، ونحن نجني ثمارها اليوم خروجنا من مسار التاريخ بعد مسار حافل بالرقي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فحسب مالك بن نبي لابد أن تقوم السياسة على مبادئ أخلاقية ، والتي من بينها مفهوم الحق ومفهوم الواجب وخلق التوازن بينهما، وذلك لإقامة العدل بين الأفراد داخل المجتمع ، في سبيل بناء مجتمع جديد ودخول التاريخ من جديد، إذ نجده يقول:" إن السياسة التي تنهض أساسا بالمطالبة بالحقوق وتجهل الواجبات، لا تكون قد اتجهت هذا الاتجاه على أساس اختيار ضمني أو صريح بين مفهومين أخلاقيين (الواجب والحق) ، باعتبار الواجب هو ما يعطى والحق هو ما يؤخذ فلايجب أن نتعدى الجبر ية الأخلاقية"[1]، فالسياسة إذن التي تقوم على المطالبة بالحقوق فقط هي سياسة عرجاء، وانتهاجها يشكل خطرا على النظام الاجتماعي وبقاء الدولة، وترهن وجودها ضمن بقية الدول، كونها تقود إلى إحداث خلل في البناء الاجتماعي – أمراض اجتماعية كطغيان النزعة الفردية على حساب النزعة الجماعية – فيقود لضعف الدولة وتلاشيها.لذا نجده يقول:" الحقوق تؤخذ ولا تعطى...وهي نتيجة حتمية للقيام بالواجب والشعب لا ينشئ دستور حقوقه إلا إذا عدل وضعه الاجتماعي المرتبط بسلوكه النفسي"[2]. وهذا يدل على ضرورة بناء الأنظمة السياسية على القيم الأخلاقية حتى تصل السياسة إلى أهدافها وغاياتها المثلى ، وهي تنظيم شؤون الناس في الحياة والحفاظ على حياة الأفرادوا إقامة العدل بينهم ،(وقد صدق ابن خلدون لما عد العدل أساس الملك)وذلك مرتبط بوعي الأفراد والمجتمعات ، ويكون ذلك بغرس ثقافة التعاون بين الأفراد، وأجهزة الدولة من أجل بناء أنظمة سياسية ناجحة وهادفة إلى تحقيق الرقي والازدهار، وتغيير الواقع من

[1] - مالك بن نبي : **المسلم في عالم الاقتصاد** ، مصدر سابق ، ص87.بتصرف

[2] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ،ص25.

الأسوأ إلى الأحسن"[1]، يقول مالك بن نبي:" التعاون بين الفرد والدولة ...العامل الرئيسي في تكوين سياسة تؤثر حقيقة في واقع الوطن "[2]، والتعاون مفهوم أخلاقي سامي ضروري للسياسة وتجدر الإشارة أن مالك بن نبي ، حلل الديمقراطية كمشروع أخلاقي يصبغ الحياة السياسية وأعطى للسياسة الجانب التربوي -توجيه الإنسان وسلوكه - ، ويجعل منها المؤهلة لصناعة الإنسان ونموه نموا طبيعيا في جانبه النفسي والأخلاقي والاجتماعي.

إن مالك بن نبي أعطى أهمية بالغة للأخلاق، وجعلها ضرورة لكل مجال من مجالات الحياة الإنسانية ، وذلك بالنظر إلى أهميتها والغاية منها في البناء الحضاري ، ولقد اقتصرنا في هذا الفصل على أهمها والتي تظهر العلاقة بينها وبين الدين ، بحكم أنها مستمدة منه بصفة عامة والدين السماوي بصفة خاصة ، والدين الإسلامي بصفة أخص عنده ،تعرضنا للمجتمع من خلال بناء شبكة العلاقات الاجتماعية ، كونها عاملا رئيسيا في تنظيمه وتماسكه ، ونفس الشيء بالنسبة للثقافة والعلم ، كما أشرنا إلى علاقة الأخلاق بالاقتصاد لأن الحضارة لها جانب اقتصادي وهو أساس تلبية الحاجيات الفر دية والجماعية ، وكذلك علاقتها بالسياسة ، كل هذه الجوانب مرتبطة بالإنسان كونه منتج الحضارة وناتج لها ، في نفس الوقت ، وأي عملية تغيير وتجديد وبناء تبدأ منه ،كفرد وكجماعة ، ومحاولة خلق التوازن بين القيم المعنوية والروحية والقيم المادية وفق نظرية متكاملة وشاملة ،فإذا حضرت الأخلاق وكانت فعالة بفعالية الفكرة الدينية ، تحققت فعالية الإنسان ، وتحقق التحضر الذي ينشده وذلك بإرادته ووعيه ، وحافظ على الحضارة ومسارها في التاريخ ، وأدى الإنسان رسالته في التاريخ ، أما إذا غابت كانت عاملا معيقا لبناء الحضارة .

المبحث الثالث:الجمال وأثره في صناعة الحضارة

إن مالك بن نبي كما سبق لنا وأن أشرنا إليه ، لا يهتم بإعطاء تعريف دقيق للجمال من وجهة لغوية أو اصطلاحية ، بل تجاوز ذلك إلى الاهتمام بالنزعة الجمالية من وجهة عملية

[1] - مالك بن نبي : **بين الرشاد والتيه** ، مصدر سابق، ص82.

[2] - المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .

أي من جانب دخولها في تركيب الثقافة ، وتأثيرها على الإطار الاجتماعي والبناء الحضاري ومن هنا يمكن القول:أن تركيز مالك بن نبي كان على التحديد الاجتماعي والحضاري للقيمة الجمالية أكثر من عنايته بالمصطلح ذاته من ناحية حقله الدلالي ، لذا فمالك بن نبي أعطى عناية خاصة للذوق الجمالي وما يؤديه في صناعة الثقافة وتحديد ذاتيتها – طابعها الخاص والمتميز – عن بقية الثقافات الأخرى ، ومن ثمة الحضارة . كما اهتم كذلك بتوضيح أهمية النزعة الجمالية في المجتمع وفي تحديد اتجاه الحضارة في التاريخ ،حيث ركز في دراسته وتحليله للحضارة على انعكاس الذوق الجمالي على سلوك الفرد والمجتمع ، وبالتالي الوظيفة الحضارية له، إلى جانب المبدأ الأخلاقي ، لذا سنحاول في هذا المبحث توضيح الأهمية الاجتماعية والحضارية للجمال . فأين تكمن أهمية الجمال الحضارية ؟ وما أثره في بناء الحضارة بصفة عامة والحضارة الإسلامية خاصة ؟

أولا- الجمال وأهميته الاجتماعية (أثر الجمال في البناء الاجتماعي):

إن الجمال في نظر مالك بن نبي له أهمية اجتماعية هامة ،وما يؤديه في صياغة الثقافة وتحديد ذاتيتها ،فهو يركز على النزعة الجمالية والذوق الجمالي ،كونهما ينعكسان على سلوك الفرد والمجتمع ، ويظهر هذا في الأفكار والأعمال وكل المساعي ،أي أن عنصر الجمال مهم لتكوين الذوق العام، ناهيك على أن الجمال في صورته النفسية هو" الإحسان"[1].

إن الجمال يؤدي بالإنسان إلى القيام بسلوك عملي يتوخى فيه الإحسان والدقة ،فيكون سلوكا حسنا محبوبا إلى النفس مثل:كريم العادات ،فللجمال عند مالك بن نبي أهميته الاجتماعية كونه منبع الأفكار لدى الفرد والمجتمع معا ،إذ يقول في ذلك:"ولا شك أن للجمال أهمية اجتماعية كبيرة ،إذا ما عددناه النبع الذي تصدر عنه وبواسطته تلكالأفكار ،أعمال الفر د والمجتمع"[2]، فمالك بن نبي يرى أن للجمال تأثير ا في الروح الاجتماعية ،ويوضح هذه الفكرة بقوله:" إن الأفكار هي المنوال التي تنسج عليه الأعمال ،وهي تتولد من الصور الحسية الموجودة في

[1] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص ص91.78.

[2] - مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة** : مصدر سابق ، ص82..

الإطار الاجتماعي ،فتنعكس في نفس من يعيش فيه ،وهنا تصبح صورا معنوية يصدر عنها تفكيره ،فالجمال الموجود في الإطار يشتمل على ألوان وأصوات وروائح وحركات ،وأشكال يوحي للإنسان بأفكاره ،ويطبعها بطابعه الخاص من الذوق الجميل أو السماجة المستهجنة "[1]، ومن هنا فالأفكار بصفتها روح الأعمال التي تعبر عنها وتسير بوحيها تتولد من الجمال الموجود في البيئة الاجتماعية ، والتي تترك تأثيرا في نفسية الفرد والمجتمع تدفعه للتفكير والإبداع ،ذلك أن الجمال هو خزان الأفكار .فهو ينظر للجمال من الوجهة النفسية والاجتماعية ، أي إلى ذلك الجانب النفسي المستوحى من منظر أو شكل أو رائحة أو صوت أو لون ،كل ذلك يؤدي إلى الإحساس بالقيمة الجمالية ،إذا كان سلوكا مستحسنا ، وعلى العكس من ذلك إذا كان السلوك مستقبح ، فإنه يولد سماجة وكآبة وروتين قاتل تنفر منه الأنفس ، كما أن الجمال مرتبط بكل الأعمال حتى أزهدها ، فالشيء الواحد قد يختلف تأثيره في المجتمع باختلاف صورته التي تنطق بالجمال ، أو تنضح بالقبح ، ويظهر أثر تلك الصورة في تفكير الإنسان وفي عمله وفي السياسة التي يرسمها لنفسه، ومن الواضح عند بن نبي أصبحنا اليوم نفتقد لذوق الجمال (يقصد مالك بن نبي العالم الإسلامي عامة والجزائر خاصة)،ولو أنه كان موجودا في ثقافتنا، لسخرناه إذن لحل مشكلاتنا الجزئية،التي تكون في مجموعها جانبا من حياة الإنسان"[2]،و هكذا فإن الجمال هو من يضفي الطابع الجمالي في حياتنا ،فهو يساهم بهذا الجمال أي يكون جزءا من حل مشكلاتنا اليومية ، ناهيك أن الإسلام لم يهمل ولم يزهد هذا الجانب لأننا نرى في القرآن والسنة النبوية ما يذكر الجمال مثلا: جمال البغال فيقول عز وجل:" ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون"[3] ،والجمال هو من يضفي طابع المصلحة لا المنفعة في الحياة ،وهو بذلك يقول:" كلمة الجمال ليست نفعية الركوب المصلحي ، فعندما

[1]- مالك بن نبي: **مشكلة الثقافة**: مصدر سابق، ص 82. وكذا: **شروط النهضة** : مصدر سابق ،ص91.

[2]- مالك بن نبي: **شروط النهضة** : مصدر سابق ،ص98.

[3]- القرآن القريم : سورة النحل : الآية 6.

نركب البغال والحمير نقضي مصالحنا ، ولكن القرآن يبرز قيمة أخرى هي القيمة الجمالية"[1] ،إذ نجده قد أولى عناية كبيرة للبعد الجمالي في شخصية الفرد والمجتمع والأمة ، ويظهر ذلك جليا من خلال التأكيد على جانب الطهارة في النفس والجسم والمحيط ، حتى اعتبر الإسلام إماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان ، وصدقة يؤجر عليها فاعلها"[2] ، ويظهر هذا حتى في أبسط صور الجمال في شكل اللباس الذي يرتديه الإنسان ، وفي الحقيبة التي يحمل فيها ملابسه عند السفر في المسحة التي تكون عليها الشوارع والبيوت والمقاهي ..." [3] ، ويضيف قائلا:"فالمجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة لابد أن يظهر أثر هذه الصورة في أفكاره وأعماله ومساعيه "[4] ، إن غياب الجمال عن سلوك الفرد والمجتمع يعود بالسلب على الذوق العام، يشرح ذلك بقوله:" لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال ، فإن لمنظرها القبيح في النفس خيالا أقبح"[5]. إن الصور القبيحة في البيئة والمحيط الاجتماعي،في اللباس والمباني والشوارع مثل: (مظاهر رمي الأوساخ العشوائية ، ومظاهر النشاز...) تعرقل تفكير الإنسان وتقضي على نفسيته وتطبع سلوكه ، يقول مالك بن نبي:"إن المقدرة الخلاقة مرتبطة دائما بالانفعال الجمالي ، بل إن مقدرة الفرد على التأثير مرتبطة أيضا ببعض المقاييس الجمالية"[6] لذلك عد مالك بن نبي الجمال من أهم فصول الثقافة، ومكونا أساسيا بعد الدستور الأخلاقي فهي تشكل المحيط الاجتماعي ، وتكون شبكة العلاقات الاجتماعية [7] ، فإذا كان المبدأ الأخلاقي يحدد قوة التماسك في شبكة العلاقات الاجتماعية ، فإن ذلك يحتاج إلى الذوق الجمالي الذي يحدد أسلوب الحياة وشكله العام ، يقول مالك بن نبي:" إن الصلات الاجتماعية

---

[1] - مالك بن نبي : **مجالس دمشق** ،دار الوعي، الجز ائر ، ط1 ، د س، ص110.

[2] - الطيب برغوث: **موقع المسألة الثقافية من إستراتجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي** ،مرجع سبق ذكره،ص 24.

[3] - مالك بن نبي : **تأملات** : مصدر سبق ذكره ،ص146

[4] - المصدر نفسه : الصفحة نفسها

[5] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص97.

[6] - مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة** ، مصدر سابق ،ص109

[7] - مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ، ص27.

لا يحددها المبدأ الأخلاقي فقط بل إن الذوق الفطري يجعلها في صورة معينة تتدخل فيها الاعتبارات الشكلية"[1]،لأنه حسب مالك بن نبي يحرك الهمم إلى ما هو أبعد من مجرد المصلحة ويحقق شرطا من أهم شروط الفعالية ، لأنه يضفي إلى الواقع الأخلاقي عند الفرد دوافع إيجابية،أخرى من شأنها أحيانا أن تعدل من بعض الدوافع السلبية ، التي ربما يخلقها المبدأ الأخلاقي الجاف في سلوك الفرد، حينما يصطدم هذا السلوك الصادر عن مبدأ أخلاقي مجرد من الحساسية الإنسانية والذوق العام.[2] إن كل هذا ينم عن أن المبدأ الجمالي يشكل أساسا هاما في ثقافة المجتمع، فإذا كان المبدأ الأخلاقي – حسب مفكرنا – يقرر الاتجاه العام للمجتمع "بتحديد الدوافع و الاتجاهات ، فإن ذوق الجمال هو الذي يصوغ صورته وهنا وجه آخر للفرق بين العلم والثقافة . إذ الأول تنتهي عمليته عند إنشاء الأشياء وفهمها ،بينما الثانية تستمر في تجميل الأشياء وتحسينها" [3]، فمالك بن نبي لما وضع الذوق الجمالي ثاني أهم فصل من فصول الثقافة بعد الدستور الأخلاقي ، نظر للذوق الجمالي نظرة خاصة وذلك في أسلوبه ومنهجه التربوي ،الذي يهدف من خلاله إلى بناء الإنسان الحضاري ،ببناء شخصيته المتكاملة والتي من بينها التربية الجمالية – تكوين الذوق العام للفرد والمجتمع – الذي يطبع الحضارة بطابع خاص ،إذ نجده يقول في ذلك:"إن القيمة الجمالية يجب أن ينظر إليها خاصة من الوجهة التربوية ، فهي تسهم في خلق نموذج إنشائي متميز يهب الحياة نسقا معينا ، واتجاها ثابتا في التاريخ بفضل ما وهب من أذواق وتناسب جمالي"[4]،وتجدر الإشارة هنا أن الجمال عند مالك بن نبي ينتشر في **المجال الطبيعي** مثلا: في صورة أصوات وألوان وحركات و...وفي **المجال الاجتماعي** تنتظم ألوان الحياة وصورها في قوالب وأشكال وأنماط متعددة ...وكل هذه وتلك معا يتمثلها الإنسان في ذاتيته وسلوكه شعوريا أو لا شعوريا فتدخل في تشكيل ذوقه و

[1] - مالك بن نبي : **تأملات** ، مصدر سابق ،ص 149.

[2] – المصر نفسه ، ص150.

[3] - المصدر نفسه ،ص143.

[4] - مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة** ، مصدر سابق ، ص109.

دوافعه سلبا و إيجابا فالانفعال الجمالي بالأشياء يمنح حركة العمل دافعا وا إبداعا ، ويحدث التغيرات العديدة في السلوك والحياة،أي أن الجانب التربوي هو المهم في الجمال وهو الذي اهتم به مالك بن نبي في مشروعه الحضاري ، وهذا تماشيا مع نظريته في فصول الثقافة التي يعد الجمال واحد منها.لم يتوقف فيلسوف الحضارة عند هذا الحد فقط، بل نظر للجمال نظرة شمولية أبعد من الثقافة وعده الإطار الذي تتكون فيه أية حضارة ،والدليل على ذلك ما يقوله:" بل إن الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أية حضارة .والإطار الحضار ي بكل محتوياته متصل بذوق الجمال"[1]، ويضرب لنا مالك بن نبي مثالا في ذلك بقوله:"فالطفل الذي يلبس ملابس بالية وثياب قذرة ،التي إن شئنا وصفها قلنا إنها ثياب حيكت من قاذورات وجراثيم ، مثل هذا الطفل الذي يعيش جسمه وسط هذه القاذورات والمرقعات غير المتناسبة، يحمل في المجتمع صورة القبح والتعاسة معا بينما هو جزء من ملايين السواعد والعقول التي تحرك التاريخ ، ولكنه لا يحرك شيئا لأن نفسه قد دفنت في أوساخه ، ولن تكفينا عشر ات من الخطب السياسية لتغيير ما به من قبح هذا الطفل لا يعبر عن فقرنا المسلم به بل عن تفريطنا في حياتنا"[2] ،وهو بوضعه لهذا المثال لا يقصد الاستهزاء بهذا الطفل أو الشماتة في المجتمع المسلم ،ولكن بالمقارنة بالمجتمع الغربي ،وهذا يعبر فعلا عن عدم اهتمامنا بالحياة في جانبها الجمالي.إذن الجمال حسبه وسيلة تتهذب بها الأنفس ويلحقها الصلاح والتثقيف ،كما تتطهر به الروح وتسمو وتستقيم به السلوكيات وتنتظم حتى تصبح راقية بذوقها، أصيلة متميزة عن غيرها ، ومع هذا الرقي يتمكن الإنسان الحضاري من إدراك ماهية الثقافة التغيرية والتجديدية في عملية البناء الحضاري .لذا فنظرة مالك بن نبي لمفهوم الجمال أكثر شمولية، تقوم على أبعادها الثقافية والاجتماعية ووظائفها النفسية ،فهو من وسائل وعناصر التغيير الاجتماعي والتربوي غايته بناء الحضارة ، فلا غنى عنه ، إذ يكتسي قيمة وأهمية اجتماعية وحضارية كبرى ، له تأثير عام يمس كل دقيقة من دقائق الحياة . إذ يقول في ذلك:"إن الجمال هو وجه

[1]- مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص97.

[2]- المصدر نفسه ،ص100.

الوطن، فلنحفظ وجهنا لكي نحفظ كرامتنا،ونفرض احترامنا على جيراننا الذين ندين لهم بالاحترام نفسه" [1].

ثانيا- الجمال في علاقته بالأخلاق و اتجاه الحضارة:

إن مالك بن نبي في تحديده لمعنى الثقافة ودستورها في فصولها الأربعة :المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي ، والمنطق العملي ، والفن والصناعة ، يرى: أن هناك علاقة خاصة بين الفصلين ، المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي ،تكون في الواقع علاقة عضوية ذات أهمية اجتماعية كبيرة ،هذه العلاقة هي من تحدد طابع الثقافة كله ، كما ترسم اتجاه الحضارة حينما تضع هذا الطابع الخاص على أسلوب الحياة في المجتمع وعلى سلوك الأفراد فيه[2].

وا ٍذا أردنا إدراجها ضمن الصيغة الجبرية التالية قلنا: مبدأ أخلاقي + ذوق جمالي = اتجاه الحضارة .و هذا الترتيب الذي ينظم العلاقة بين هذين العنصرين المهمين في تكوين الثقافة هو من يحدد نوع المجتمع وخصوصية الحضارة في تميزها عن غيرها من الحضارات تاريخيا .

وحسب مالك بن نبي ، فقد نتج عن هذا الترتيب ظهور نموذجين من المجتمعات :حسب طبيعة الدوافع التي تحرك نشاطاته،**إما** يقوم على الدوافع الأخلاقية **أو** يقوم على الدوافع الجمالية ،وهذا الاختلاف ليس مظهريا وشكليا حسب مالك بن نبي ، بل هو اختلاف عميق وجذري ، يقود إلى نتائج تاريخية ذات أهمية كبرى ، يتطور من خلالها المجتمع ويأخذ اتجاهه الخاص الذي يختلف عن اتجاه المجتمعات الأخرى ، كما أن النسيج الاجتماعي والعمراني (سلوك ،أذواق ، مناظر، وشكل اللباس...)، يخضع هو الآخر في تشكيله إلى العلاقة بين المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي .**فالنموذج الأول**:المجتمع الغربي الذي أسس نشاطه الاجتماعي على أساس القيم والدوافع الجمالية.**أما النموذج الثاني**:هو المجتمع الإسلامي الذي أسس نشاطه الاجتماعي على أساس القيم و الدوافع الأخلاقية .فالثقافة الغربية التي ورثت ذوقها الجمالي من التراث اليوناني والروماني ، ويمثل النموذج الثاني الثقافة الإسلامية التي ورثت من التراث

[1]- مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ،صص 101.100.

[2]-المصر نفسه ،ص101.

الإسلامي الشغف بالحقيقة[1] .إذ المعيار الذي تقيس به الحضارة الغربية هو معيار الجمال ، أما معيار الحكم على الأشياء في الحضارة الإسلامية فهو معيار القيمة الأخلاقية ، وهذا في نظر مالك بن نبي (رحمه الله)ليس معناه افتقاد الحضارة الإسلامية عنصر الجمال ، وا إنما موضعه متأخر عن القيمة الأخلاقية في سلم الترتيب . [2]

يتضح ذلك من خلال مثال بين الحضارتين:فالمجتمع الغربي اشتهر بممارسة فن التصوير كتصوير المرأة العارية بدافع جمالي وعمل على تطوير لباسها حتى تبرز جمالها في الشارع – فن التصميم وعرض الأزياء – بينما المجتمع الإسلامي حسب مالك بن نبي لم يطلق العنان للفن أن يعبر عن كل أنواع الجمال ،وعلى الخصوص المرأة بشكل غير محتشم وذلك لأن المبدأ الأخلاقي في المجتمع الإسلامي لا يطلق العنان للفنان أن يعبر عن كل أنواع الجمال وعلى الخصوص المرأة العارية[3]. فلقد اتخذ اللباس اتجاها أخر في المجتمع الإسلامي يحفظ للمرأة جمالها في الشارع ، ويصون زينتها وفق تعاليم دينية (الحجاب الستر والحشمة ...) هذا لا يعني أن الثقافة الإسلامية تفتقد لعنصر الجمال ، وا إنما تضعه ضمن سلم ترتيبي قيمي يأتي بعد القيم الأخلاقية وهو تابعا لها ، وهذا الترتيب ليس وليد الصدفة، بل هو نابع من منطلقات كل ثقافة وأصول الحضارتين وجذورها،فالحضارة الإسلامية وليدة خط النبوة والوحي – الدين الإسلامي-، فكان بذلك منظور الجمال منظور ا إسلاميا مؤسسا على القيم الأخلاقية التي منبعها القرآن الكريم والسنة الشريفة ،ولا يمكن أن ينفصل عنها ،إذ جمال المرأة حجابها وحشمتها وفق قيم الحياء ، (الحشمة والستر وغضالبصر ، وعدم التبرج ، وا إخفاء المفاتن ، وعدم إثارة الشهوات والغرائز...)، عكس الجمال من منظور غربي، فهو موروث من التراث اليوناني والروماني،(تماثيل ، رسوم ...) ، فهو غير مؤسس على مبدأ أخلاقي ومنفصل عن القيم الأخلاقية وما أنتج من الموضة والأزياء لا تراعي الستر والحياء والحشمة ، فلا أثر للقيمة

[1]- مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص109.

[2]- المصر نفسه ،ص 109.

[3]- المصدر نفسه ، ص102.

الخلقية مقارنة بالمنظر الجمالي ، ولد ذلك حسبه الاستعمار ، والانحلال الخلقي والعبثية، وتفكك الروابط التي تحفظ المجتمع من الانحلال ، وتمركز النزعة الأنثوية – سيطر عليها دوافع الأنوثة - ، يقول مالك بن نبي:" إننا لو تتبعنا هذه الاعتبارات إلى أبعد مدى ، لرأينا كيف أن الثقافة التي تمنح الأولوية لذوق الجمال تغذي حضارة تنتهي إلى فضيحة حمراء ،وذلك لأنها تسيطر عليها دوافع الأنوثة"[1]، وعليه فالحضارة الغربية أصبحت تتجرع المخلفات الخطيرة لهذا التوجه الثقافي وهو أحد نتائج الخلل المنهجي في الثقافة الغربية الذي قلب قيمها وفصلها عن القيم الثقافية العالمية والإنسانية ،**وعليه يمكن القول**:أن أهمية عناصر الثقافة تكمن في توازن عناصرها وتوازن الحضارة من حيث قيمتها – العناصر – الفردية و والجماعية، وفي علاقاتها في هذا المركب ، فكما أن المبدأ الأخلاقي له أهمية حضارية كذلك الذوق الجمالي لا يقل أهمية اجتماعية وحضارية ، والحضارة لا يمكن بناءها في غني عن الجمال ، وكل من القيم الأخلاقية والقيم الجمالية يساهم في تحديد اتجاه الحضارة ويطبعها بطابع خاص

نستنتج:أن الذوق الجمالي له أهمية اجتماعية وحضارية كبيرة ومهمة ، كونه يساهم في ضبط الذوق العام ، مما يساعد من الرفع من فعالية الفرد والمجتمع ، وذلك إلى جانب القيمة الخلقية ، فهما أهم ما يحدد اتجاه الحضارة في التاريخ ، فإذا كانت القيمة الخلقية في الصدارة ، لأن الحضارة تتحكم فيها القيم الأخلاقية مثل: الحضارة الإسلامية ، وا ذا كانت الصدارة فيها للقيم الجمالية ، فإن الحضارة تتحكم فيها القيم الجمالية ، مثل: الحضارة الغربية ولكل حضارة اتجاهها ونتائجها ، وتبقي القيم هي التي تشكل التوازن في البناء الثقافي والحضاري لأمة ما، ويحفظ لها تميزها وتناسقها وتوجهها نحو صناعة التاريخ والتحضر .

المبحث الرابع:أهمية المنطق العملي في تأسيس الحضارة(القيم الحضارية للعمل):

إذا كان مالك بن نبي قد اهتم بالقيم الدينية والقيم الأخلاقية والقيم الجمالية في بناء الحضارة ،فقد أولى كذلك عناية كبيرة في مشروعه الحضاري ،للمنطق العملي(القيم العملية) وذلك

[1]- مالك بن نبي : **شروط النهضة**، مصدر سابق ، ص ص104.103.

لأهميته ووظيفته الحضارية، لذا سنحاول في هذا المبحث توضيح الدور الحضاري للعقل التطبيقي في فكر مالك بن نبي ، فما هي وظيفته وأهميته الاجتماعية والحضارية ؟

يشكل هذا المبدأ أساسا ثالثا هاما تقوم عليه ثقافة المجتمع ، فهو مبدأ يخص المحصول الاجتماعي ، ويخص الفعالية الفردية والجماعية ،وبهذا فهو هنا – المنطق العملي – لا يعني ذلك المنطق الذي دونت أصوله ، ووضعت قواعده مع ظهور المفكر اليوناني " أرسطو"، وا ٍنما هو ذلك المنطق الذي يعنى بشكل كبير بالتجسيد والتطبيق ، وبكيفية ارتباط العمل بوسائله وغاياته ، ومنه بمحاولة استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من الوسائل المتاحة واقعيا"[1]، المنطق العملي حسب مالك بن ني مرتبط بعملية التوجيه الثقافي وهو المبدأ الثالث لها، إذ يأتي بعد كل من المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي .هذين الأخيرين غير كافين لتحديد وتوجيه الثقافة ومنه الحضارة ، إلا إذا أضيف لهما المنطق العملي والذي يعني:" كيفية ارتباط العمل بوسائله ومقاصده ،وذلك حتى لا نستسهل أو نستصعب شيئا دون مقياس ، ويستمد معاييره من الوسط الاجتماعي ، وما يشمل من إمكانيات " [2] . ويضيف قائلا:" المنطق العملي يعني كيفية ارتباط العمل بوسائله ومعانيه، بطريقة يتمكن الإنسان بها من استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة ، من وسائل معينة"[3] ، أي إنه المنطق التطبيقي و البراغماتي النفعي ، المحكوم بالمبدأ الأخلاقي ، والذي يفرض أن يكون مصدرا للفعالية ، التي تعد أحد الشروط التي تهيئ المجتمع لمواجهة مشكلات التخلف ، وتعديل أسلوب الحياة بطريقة تأخذ بعين الاعتبار الوسائل المتاحة والمتوفرة ،وفق الزمن المحدد . فالمنطق العملي يعلمنا كيف نربط الفكر ، بالعمل والوسائل لتحقيق الأهداف والمقاصد المرجوة ، بعيدا عن النظر للأشياء وفق مبدأ الاستسهال أو مبد الاستصعاب ، مع احتر ام الشروط والقواعد الاجتماعية .حيث نجده يطلق يطلق عدة أسماء على المنطق العملي في مؤلفاته والتي منها : العقل التطبيقي ، والفعالية ...،بإضافة هذا المبدأ

[1]- مالك بن نبي : **تأملات** ، مصدر سابق، ص147.

[2]- مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة** ، مصدر سابق ، ص85.

[3]- مالك بن نبي : **شروط النهضة** : مصدر سابق ، ص 102.

الثالث- المنطق العملي - لمفهوم الثقافة، والذي يكون قد تم تكوين شرط هام أخر من شروط الفعالية في سلوك الفرد ، وأسلوب الحياة في المجتمع ، ولا شك أن في هذا المبدأ سيزيد في توضيح الفرق بين الثقافة والعلم ، ومن ثمة بين الفرد المثقف والفرد العالم أو المتعلم[1] ،لذا فمالك بن نبي اهتم بفكرة الفاعلية اهتماما كبيرا في مشروعه الحضاري ، مبرزا أن تحقيق الفاعلية في التاريخ الماضي والمستقبل المأمول هو نتاج المعادلة الاجتماعية والثقافية ، التي تدفع بالإنسان ، - إنسان الحضارة – إلى أن يتحرك عبر التاريخ مولدا نتائج تعود عليه بالنفع ، على الفرد والمجتمع معا ، لذا فمالك بن نبي ربط فاعلية الإنسان ربطا وثيقا بالمنطق العملي ، الذي منبعه الفلسفة البراغماتية ، حيث جعل منه محكا للتميز بين الصحة والصلاحية ، مؤكدا أن أهم معوق تواجهه مؤسساتنا هو ، أنها صارت عن توليد ديناميكية – حركية – اجتماعية تضع في الحسبان خصوصيات بيئتنا[2] ، فالمنطق العملي ينطلق في إطار التبادل الخلاق بين الإنسان وبيئته ، ومن تلك الإرادة والانضباط العملي المشروط بالفعالية ،فهو ذلك التنظيم العقلاني لمختلف الأشياء الواقعة تحت التصرف ، والذي ينكس أثاره التنظيمية

(الفاعلية) على مستوى المجتمع (العام) و الخاص (الفرد) .وفي الحقيقة إن مثل هذا العقل التطبيقي ،نجده يجتهد عمليا وواقعيا في إيجاد الصلة المثلى بين الفكر والعمل على مستوى التنظيم الاجتماعي ،فهو يبعدنا عن كل عمل عفوي وارتجالي وعبثي ، فمثل هذا النوع من التفكير الإجرائي ،هو الذي يعطي للمشاكل المختلفة التي تواجهنا في حياتنا اليومية حجمها الحقيقي في المكان والزمان ، هذا النوع من العقل قامت عليه الحضارة الغربية عامة والأمريكية خاصة ، وكان وراء حركية حضارتها ،أما الإنسان المسلم والعالم الإسلامي ، فإن مالك بن نبي رأى أن مثل هذا التفكير يكاد يكون منعدما ، أو منعدما أصلا وكان سببا في غياب الحركية في المجتمع المسلم عامة والمجتمع الجز ائري خاصة ، فالنظرة الفاحصة إلى طرق التنظيم – داخل مؤسساتنا – على اختلافها سواء عامة أو خاصة ، فهي تسير وفق أسلوب فوضوي وتطغى

[1] - مالك بن نبي : **تأملات** ، مصدر سابق ، ص147.

[2] - مالك بن نبي : **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** ، مصدر سابق ، ص115.

عليها العبثية والهزلية مثلا: في المنزل ،في المدرسة وفي الجامعة ، في المكتب ،الإدارة ، المسجد وفي الطرقات وغيرها...من المرافق العامة والخاصة ،إذ نجده يقول:"نحن أحوج ما نكون إلى هذا المنطق ، لأن منطق العقل المجرد متوفر في بلادنا ، غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه شيء يكاد يكون منعدما"[1] ، فالإنسان المسلم يفكر ويحلم ولكنه لا يعمل من أجل تحقيق هذه الأفكار والأهداف بواسطة وسائل متاحة له ، ويوضح ذلك أكثر في كتابه شروط النهضة قائلا:"إن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة – العقل المجرد - ، ولكن منطق العمل والحركة ، فهو لا يفكر ليعمل ، بل ليقول كلاما مجردا بل أكثر من ذلك ، فهو أحيانا يبغض أولئك الذين يفكرون تفكيرا مؤثرا ، ويقولون كلاما منطقيا من شأنه أن يتحول في الحال إلى عمل ونشاط"[2] ، فهو غارق في فكره المجرد وأحلامه والذي يفتقد إلى الضابط الذي يربط بين عمله وأهدافه ، وبين سياسة ووسائلها وبين ثقافة ومثلها الأعلى،وبين فكرة وتحقيقها ، فأصبح يطغى عليه أسلوب الهز ل والعبث ، وغابت الفاعلية و الدينامكية ، يقول في هذا الصدد:"...إننا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبيرا من (اللافعالية) في أعمالنا ، إذ يذهب جزء كبير في البحث والمحاولات الهازلة ...والسبب الأصيل في هذه الوضعية المختلفة ، يكمن في غياب ضابط (الإطار التوجيهي التربوي الفعال) الذي يربط بين الأشياء ووسائطها، وبين الأشياء وأهدافها ، فسياستنا تجهل وسائلها وثقافتنا لا تعرف مثلها الأعلى ، وفكرتنا لا تعرف التحقيق ، وا ٍن ذلك كله ليتكرر في كل عمل نعمله وفي كل خطوة نخطوها...ومن هنا يأتي عقمنا الاجتماعي، فنحن حالمون ينقصنا المنطق العملي ، ولننظر إلى أم تريد أن تربي ولدها ، فهيإما أن تبلده بمعاملة أم متوحشة ، وا ٍما أن ترخي له العنان وتتميع معه والنتيجة في هذا معروفة لدي المربين المختصين ..."[3] ، وفي هذه الحالة يتحول النشاط الفردي أو الجماعي إلى عائق يصيب الثقافة والمجتمع بالشلل التام . وتتولد فيه

[1]- مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة** : مصدر سابق ، ص 86.

[2]- مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ،ص103.

[3]- مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة** ، مصدر سابق ، ص ص 88.87.

أمراض ثقافية واجتماعية، قد تؤدي بموت الثقافة و انحلالها فتحل اللافعالية ،هذا الكلام حسبه ينسحب على المجتمع الإسلامي كله – في عمومه - " بحيث لا يصح القول عن هذا الأخير ، أنه يعيش طبقا لمبادئ القرآن الكريم في كل أحواله ،وا ٍنما هو يتكلم تبعا لمبادئ القرآن الكريم ، ذلك لأن المنطق العملي في سلوكه الإسلامي غير موجود ،وهو ما يفسر – إلى جانب عوامل أخرى – لا فعاليته "[1] لذا فمالك بن نبي يرى: أن الصعوبة لا تكمن في صياغة المناهج النظرية والفلسفات الإدارية بقدر ما تكمن في معرفة المنطق العملي،**أي**"استخراج أقصي ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة" [2] فقيمة الفكرة تقاس بمدى تطبيقها على أرض الواقع ،وبم تنتجه من منافع وحاجات للإنسان في دنيا الواقع . لذا فبراغماتية مالك بن نبي تظهر في تأثره بالفلسفة البراغماتية، وفي الربط بين الفكر وكل نشاط عملي مباشرة ،حيث نجده يؤكد على مبدأ الفعالية ،وفي ذلك يقرن الفكر بالعمل وفق الوسائل المتاحة للفرد والجماعة ، يقول في ذلك:" متى انعدمت العلاقة بين النشاط والفكر، عمي النشاط واضطرب وأصبح جهدا بلا دافع ، وكذلك حين يصاب الفكر أو ينعدم ، فإن النشاط يصبح مختلا أو مستحيلا"[3]، فالمنطق العملي حسبه لا يحتاج لعقل مجرد ،هذا العقل الموجود عند عامة الناس ،بل نحن بحاجة لعقل تطبيقي يربط العمل والنشاط بوسائله الملائمة ، ويوجه سلوك الفرد والمجتمع إلى النشاط الفعال ،بعيدا عن كل عبث ومحاولات هازلة – غياب الجدية - ،فالمنطق العملي أصبح عند مالك بن نبي معيارا ومحكا للتمييز بين الصحة والصلاحية ، مؤكدا أن أهم معوق تواجهه مؤسساتنا هوأنها أصبحت عاجزة عن توليد ديناميكية – حركية - اجتماعية تضع في الحسبان خصوصيات بيئتنا"[4]، ذلك لأن الفرد يشكل أفكاره وضروب نشاطه في إطار تركيب ثقافي واجتماعي وحضاري خاص ببيئته ، في هذا الصدد يقول مالك بن نبي:" وأن هناك قيما أخلاقية

[1]- مالك بن نبي :**شروط النهضة** ، مصدر سابق ،ص103.

[2]- المصدرنفسه ، ص 103.102.

[3]-مالك بن نبي : **وجهة العالم الإسلامي** ، مصدر سابق ،ص88.

[4]- مالك بن نبي : **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** ، مصدر سابق ،ص 115.

واجتماعية وثقافية لا تستورد ،وعلى المجتمع الذي يحتاجها أن يلدها"[1]، هنا يشير مالك بن نبي إلى أن المناهج والأساليب التي نحتاجها في عملية التجديد والتغيير الثقافي والاجتماعي نحو بناء الحضارة ، يجب أن تكون نابعة من عمق الفرد والمجتمع ،لأن لكل مجتمع طابعه الخاص ،فالحضارة لا تبنى بتكديس المنتجات ولا بالأفكار التي نستوردها من مجتمعات أخرى، بل عن طريق بناء الإنسان منتج الحضارة ، لذا يمكن فهم المنطق العملي من جهتين:**إما أن يكون** هناك منهج لا نملك الوسائل الكفيلة بتحقيقه ،كونه صيغ بأفكار غير أفكارنا ،وهي تتعارض مع بيئتنا وخصوصيتنا **وإ ما أننا** أهملنا العامل البشري وأهميته في بناء الحضارة ، فلا نجيد ولا نحسن توظيف تلك الوسائل المتوفرة والمتاحة تحت أيدينا بفعالية ، فنعتقد أن الوسائل وحدها تكفينا وتغنينا عن العامل البشري[2]، وهذا أكبر عائق في وجه كل محاولة لإحداث تجديد ونهضة حضارية ،فالفاعلية تعتمد في تحقيقها على المنطق العملي ،أي على العلاقة بين الفكرة والنشاط، وهو ما يبرره مبدأ الصلاحية لا الصحة ، لأن الفكرة الصحيحة ليس بالضرورة صالحة ، فقد تثبت نجاحها في بلاد ومجتمع آخر مثل المجتمع الغربي ،ولا تحدث التأثير نفسه عندنا، أو في مجتمع غير المجتمع الذي ولدت فيه كونها انفصلت عن منبتها وا إطارها الاجتماعي ، وفقدت روحها التي أوجدتها والغاية منها فالحضارة هي من تلد منتجاتها وليس العكس ، لذا متى غابت العلاقة بين الأفكار وواقعها الاجتماعي ، فقدت هذه الأفكار وظيفتها في التطبيق العملي ، وفقدت فاعليتها ، لذا يؤكد مفكرنا على أن الفاعلية مرتبطة أشد الارتباط بالفرد المبادر، معتبرا أن:"روح المبادرة هي المقياس الوحيد لفاعلية الفرد"[3] ،لأن الفرد تحركه دوافع نفسية وروحية وما يتولد في عقله من أفكار معتدلة توجه أفكاره وحركاته، وتنشطها لتصبح فاعلة وهادفة ،وهذا يعني حسب مالك بن نبي:"أنه يجب علينا أن ننطلق في العمل

[1]- مالك بن نبي : **بين الرشاد والتيه** ، مصدر سبق ذكره ،ص195.

[2]- صبرينة حديدان : **مقومات البناء الحضاري عند مالك بن نبي** ،مجلة علوم الإنسان والمجتمع ،الجلد 8.العدد :1سنة 2019.ص36.

[3]- مالك بن نبي : **وجهة العالم الإسلامي** ، مصدر سابق ،ص73.

بالاعتماد على قدراتنا الذاتية، والإمكانات المتاحة لنا ولا ننتظر ساعة المعجزات"[1]،إذ " ليس من المعقول أن نستثمر ما نرغب ونريده بالوسائل التي هي في يد غيرنا ، بل علينا أن نستثمر بالوسائل الموجودة في أيدينا "[2]. وعليه فالإنسان هو العامل الأساسي في بناء المجتمع والحضارة ويؤثر فيه بفكره وماله وجهده الذي يتجسد في العمل، وكل ما ينتج عنه من قيم حضارية .

إن الفكرة التي يمكن أن نختم بها هذا المبحث أن مالك بن نبي اهتم بالمنطق العملي – العقل التطبيقي – الذي يعد مبدأ أساسيا في عملية البناء الحضاري لاغني عنه، وذلك من خلال وظيفته الثقافية والاجتماعية والحضارية، فهو الذي يكيف صورة نشاط الإنسان الحضاري ،وأسلوبه ونسقه في جميع أشكاله ، فهو مصدر الفاعلية والحركية في سلوك الفرد والمجتمع . فأسلوب الحياة حسبه لا يحدد فقط بعنصر الأخلاق وعنصر الجمال الساكنين بل يشتمل كذلك على عنصر متحرك ، هو المنطق العملي الذي يربط بين الفكرة والعمل وفق وسائل متاحة تحقق الهدف والمقصد المرغوب ، وهو بناء الحضارة لمجتمع ما والعودة لمسار التاريخ .

نتائج الفصل:

– لقد اعتبر " مالك بن نبي" أن الحضارة هي النقطة البعيدة التي يجب أن تكون هدفا لكل عملية تغيير اجتماعي ، وهي حسبه نتاج فكرة ما ، تجعل مجتمع متميزا عن باقي المجتمعات الأخرى ، تدخله التاريخ وتمكنه من تبني فلسفة للتغيير ، تساعده على النهوض والتقدم . وهذا النتاج يكون بعوامل مادية ومعنوية متوازنة تحقق متطلبات الإنسان ، هذا الأخير هو من يقود كل تغيير وبناء اجتماعي وحضاري ، فهو العامل الأساسي في دورة الحضارة ، فعالم الأشياء المادية لا يحقق شيئا في غياب الإنسان ،ذلك أن نشوء الحضارة منوط بالإنسان المؤمن بعقيدة ترسخ في نفسه القيم الحضارية .

[1]- محمد عاطف : **معوقات النهضة ومقوماتها في فكر مالك بن نبي** ،دار قرطبة د ط، الجزائر ،2009.ص192.

[2]-مالك بن نبي : **بين الرشاد والتيه** ، مصدر سابق ،172.

- أولى" مالك بن نبي" أهمية قصوى للقيم المعنوية اعتبارا بالقيم المادية والاقتصادية وارتبطت القيم بالجانب الأخلاقي والتربوي ،حيث قدم مشروعا حضاريا متكاملا ، مركزا فيه على دور القيم الدينية والقيم الأخلاقية والقيم الجمالية ،والقيم المنطقية العملية. هذه القيم هي التي تلد القيم المادية ،وليس العكس ، وبذلك تجد الحضارة طريقها ومسارها في التاريخ .
- كل هذه القيم تعد مقوما من مقومات البناء الحضاري، لها أهمية كبيرة اجتماعية وحضارية ، وهي أيضا متكاملة ومتفاعلة فيما بينها بفعل الفكرة الدينية التي تشد وتفعل أجزاء البناء الحضاري ، والتي لم يحصرها فيلسوف الحضارة ، في مجال الأفكار الغيبية والسماوية ، بل هي قانون عام يوجه فكر الإنسان، ويشحن طاقاته الفكرية والنفسية والحيوية، ويروضها نحو بناء الحضارة ، ولكن هل يمكن إحداث التغيير الحضاري المأمول لدى المجتمع العربي والإسلامي انطلاقا من فكر مالك بن نبي في التاريخ الراهن و المعاصر؟ هذا ما سنجيب عنه في الفصل التالي.

الفصل الثالث:

المقاربة البنابية برؤية نقدية

مدخل :

المبحث الأول : راهنية المشروع البنابي الحضاري

تمهيد:

أولا :الدور المركزي للإنسان في بناء الحضارة

ثانيا : الفعالية الحضارية: (فعالية العقيدة ،فعالية الثقافة ، فعالية الأفكار)

المبحث الثاني : موقع الفكر القيمي البنابي لدى بعض المفكرين المعاصرين

تمهيد:

1- مالك بن نبي وروجي غارودي

2- الفكر الحضاري لمالك بن نبي وأثره على النهضة الحضارية المعاصرة لماليزيا أنموذجا

المبحث الثالث : المقاربة البنابية برؤية نقدية

تمهيد:

أولا: الاتجاه النقدي لفكر :

- **النقد الأول : الباحث غازي توبة**
- **النقد الثاني :الباحث علي قريشي**
- **النقد الثالث :الباحث سليمان الخطيب**
- **النقد الرابع : االباحث جيلالي بوبكر**
- **النقد الخامس :الباحثة وفاء عمران**

نتائج الفصل

مدخل: مازال المفكر الجزائري مالك بن نبي (رحمه الله) يثير اهتمام الباحثين بأفكاره وقضاياه ، رغم رحيله منذ سنوات طويلة عن عالمنا، وذلك لما لآرائهو أفكار ه حول النهضة والثقافة والحضارة من قيمة وأهمية ، من أجل بناء الحضارة الإسلامية المأمولة ، وذلك لجدية آراءه التي تفرد بها بين المختصين والمهتمين بمسألة الحضارة في العالم العربي والإسلامي ،وكذا العالم الغربي حيث أنجزت حول فكره مئات الدراسات، سواء كانت رسائل الماجستير أو الدكتوراه،أو تنظيم ندوات ومؤتمرات فكرية وعلمية، تحلل فكره ونظريته الحضارية،وذلك للبحث عن حلول للأزمة التي تتخبط فيها الأمة الإسلامية،أملا في الخروج من دائرة التخلف والركود الحضاري، الذي أصابنا لعقود من الزمن، والعودة إلى مسار التاريخ ضمن الحضارات وهذا ما يدفعنا إلى طرح جملة من الأسئلة:فهل الرؤية الحضارية لمالك بن نبي مازالت صالحة في الواقع الحالي–الراهن-؟وهل يمكن تفعيل المعادلة الحضارية في العالم الإسلامي المعاصر؟وهل تصلح المقاربة البنابية الحضارية لعلاج الأزمة الحضارية للعالم الإسلامي؟

المبحث الأول : راهنية المشروع البنابي الحضاري:

تمهيد :إن الدارس لفكر"مالك بن نبي" على حد تعبير(الأستاذ لكحل فيصل*) يجد نفسه أمام عقبات وا إشكالات تطرح نفسها باستمرار، وربما أهمها:لماذا الحديث عن المشروع الحضاري لمالك بن نبي، ونحن نعيش ما يفصلنا عن زمنه أكثر من ربع قرن؟ و هل لهذا المشروع الحضاري راهنية تاريخية معينة يمكنها أن تجد حلولا حضارية من جنس تلك التي عالج بها مالك بن نبي مشكلات الحضارة في زمانه؟ وهل يمكن للعالم العربي الإسلامي المعاصر – الراهن – أن يحدث التغيير الحضاري المأمول انطلاقا من فكر مالك بن نبي؟ مع العلم أن

* - الأستاذ لكحل فيصل:(باحث وأستاذ جزائري قسم الفلسفة بجامعة معسكر):التوجه الحضاري في فكر مالك بن نبيقراءة تحليلية نقدية ،مقال بيدياف.متاح على موقعarticle httbs ://www.asjb.cerist.dz

الحلول الحضارية التي قدمها مالك بن نبي في مشروعه الحضاري بقيت ساكنة دون انطلاقة حاسمة في التار يخ ؟

- **أولا:الدور المركزي للإنسان في بناء الحضارة:** يعتبر عنصر الفاعلية من أهم النقاط التي ركز عليها "مالك بن نبي"، لذلك شكل محورا أساسيا في مشروعه الحضاري،ويعد الإنسان عنده محور الفاعلية في حركة الحضارة ، إذ له الدور الأول في المعادلة الحضارية لأن:" الإنسان هو الذي يحدد في النهاية القيمة الاجتماعية لهذه المعادلة ،لأن التراب والوقت لا يقومان- إذ اقتصر عليهما فحسب– بأي تحويل اجتماعي"[1]، كذلك نجده يقول:" إن الإنسان هو الشرط الأساسي لكل حضارة ، وا ٍن الحضارة تؤكد دائما الشرط الإنساني"[2]، لذا فنشوء الحضارة منوط بإرادة الإنسان الحضارية ، التي يشكلها إيمان الإنسان بعقيدة تطلب منه خدمة الإنسان في حضارته، وذلك بما تولده الفكرة الدينية في أرقى مستوياتها، فالقضية إذن ليست قضية أدوات وا ٍمكانيات مادية حسب مالك بن نبي، بل القضية في نفسية الإنسان هذا الأخير يتطلب دراسته وفهمه باعتباره الجهاز الاجتماعي الأول في المعادلة الحضارية فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع ومن ثمة التاريخ، وا ٍذا سكن سكن المجتمع والتاريخ،لذا فمالك بن نبي يقر:" أن حركة التاريخ مرتبطة بحركة الإنسان وركوده،فإن ذلك يضعنا أمام مشكلة تصنف تحت عنوان– الفعالية – فعالية الإنسان في التاريخ"[3] .

فالفاعلية عند مالك بن نبي،هي نتاج حالة خاصة من التوتر، فلا عمل لهذه العناصر الأولية للحضارة (الإنسان والتراب والوقت)، إلا إذا تفاعل معها العامل النفسي وهو التوتر– توتر في الضمير– أي توتر أخلاقي واقتصادي وعملي ونفسي، وهو حالة نفسية اجتماعية دل التاريخ على أنها تنشأ في ظروف معينة ، قد تكون فيها المبررات التي تكون الدوافع الإنسانية التي تدفع النشاط إلى أعلى قمته"[4]، لذا فمالك بن نبي يرى أن أزمة العالم الإسلامي – الأمة

[1]- مالك بن نبي : **فكرة كمنويلث إسلامي** ، مصدر سابق ، ص 75.
[2]- مالك بن نبي : **وجهة العالم الإسلامي** ، مصدر سابق ،ص198.
[3]- مالك بن نبي : **تأملات** ، مصدر سابق ، ص125.
[4]- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

الإسلامية – تظهر في مشكلة الإنسان الذي عزف عن الحركة لذلك فالمسألة هي أنه يجب أولا أن نصنع رجالا يمشون في التاريخ، مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى"[1]، ومن أجل ذلك يقترح بن نبي ضرورة فهم الإنسان وحل مشكلاته أولا عن طريق توجيهه وتربيته حتى يحقق الفعالية النهضوية المنشودة للإنسان المسلم، باعتبار الإنسان هو المورد البشري، وهو القيمة الاقتصادية الأولى لبناء الحضارة فهو المحرك الأساسي للنهضة ولصناعة التاريخ ،وذلك تبعا لتأثير طوائف اجتماعية ثلاث:تأثير(عالم الأشخاص) وتأثير(عالم الأفكار) و تأثير(عالم الأشياء)"[2]،هذه العوالم تعمل بطريقة نسقية ، لذا فأي تغيير يهمل الإنسان أو المورد البشري ، يكون تغييرا عابثا وفاشلا فأول تغيير يجب أن يحدث لا بد أن يمس الإنسان أولا باعتباره هو العامل الأساسي والمركزي في الحضارة:"أن يتعلم كيف يعيش في جماعة ويدرك في الوقت ذاته، الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة الإنسانية من أجل وظيفتها التاريخية"[3] إذ التحضر في معناه الحقيقي هو أن ننقل الإنسان من كونه فردا – الفردية يعيش لذاته – إلى كونه شخصا يعمل من أجل الجماعة – مصلحة الجماعة - وفق برنامج تربوي عملي ثقافي يحترم البيئة الاجتماعية ،لذا الإنسان عند مالك بن نبي هو المصدر الأساسي لكل القيم الثقافية والاجتماعية والحضارية، مادية منها أو معنوية فالمسألة حسبه لا تتعلق بإنشاء بنك أو تشييد مصانع ، بل بتشييد الإنسان وا نشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات"[4]، فالإنسان هو أساس كل بناء حضاري، وكل عملية تغيير يجب أن تبدأ به على حد تعبير مالك بن نبي:" غير نفسك تغير التاريخ "،المستوحاة من الآية الكريمة قوله تعالى:" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[5] .

[1]- مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ،ص82.

[2]- مالك بن نبي : **وجهة العالم الإسلامي** ، مصدر سابق ، ص60.

[3]- مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ، ص94.

[4] - مالك بن نبي : **من أجل التغيير** ،دار الفكر ،دمشق،2000، ص 59.

[5]- **سورة الرعد** : أية 11.

- **ثانيا:الفاعلية الحضارية عند مالك بن نبي**: لقد سبق لنا أن أشرنا إلى أن قضية الفاعلية لها أهمية في الفكر الحضاري لمالك بن نبي، وفي مجملها منصبة على الإنسان كونه يشكل مشكلة المشكلات الحضارية من خلال عقيدته وثقافته وأفكاره ، لذا سوف نذكر ثلاثة أنواع للفاعلية مرتبطة بالإنسان والحضارة .

1- **فاعلية العقيدة**:(الدين) بصفة عامة والدين الإسلامي بصفة خاصة ، إذ بين مالك بن نبي في الكثير من كتبه ، أن الإنسان المسلم لم يتخل عن عقيدته – دينه- ولكن عقيدته تجردت من فاعليتها، وليس المهم حسبه أن نعلم المسلم عقيدة يمتلكها،بل الأهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها، بمعنى وظيفتها العملية والحضارية في حياة الإنسان المسلم ،أي تصبح حاضرة في نفسية وسلوك الفرد المسلم والجماعة المسلمة، بل قوتها الايجابية وتأثيرها الاجتماعي، وفي كلمة واحدة يلخصها مالك بن نبي:"إن مشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود الله بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده"[1]، فالإنسان المسلم المعاصر، إنسان مسلم بالكلمة لا بالفعل والعمل، يقول ويحلم ولا يفعل ولا يعمل، لذا فالإسلام الحقيقي هو الإسلام المتحرك في عقولنا وسلوكنا والمنبعث في صورة إسلام اجتماعي، إنه ذلك الإسلام الذي بعث الحضارة في عهد النبوة، وأحدث تغييرا في شبكة العلاقات الاجتماعية ووحد بين المسلمين .

إن فاعلية الإنسان حسب مالك بن نبي،لا تتحقق قوتها إلا من خلال فاعلية العقيدة ،حيث أن القيم احتواها الدور الرساليللدين، لذلك نبه مالك بن نبي إلى ضرورة إحياء وا ٍعادة بعث روحها في حياة الإنسان المسلم المعاصر:" إذا علمنا بأن الدين الإسلامي يدعو ويلح في دعوته هذه على قيم التسامح والإخاء والعدل والمساواة ، والعلم والعمل والعزة ، وأنه في الوقت نفسه يشدد على كل ما يتنافى مع هذه القيم الأخلاقية السامية ،علمنا عندئذ الطبيعة السامية لهذا الدين وتعرفنا على شكل تأثيره في النفس والمجتمع"[2]، إذ ينطلق مالك بن نبي من خصوصية الإسلام

[1]- مالك بن نبي : **وجهة العالم الإسلامي** ، مصدر سابق ، ص ص 48.47.

[2]- نقلا عن سالم فتيحة :**النهضة عند مالك بن نبي قراءة أم استشراف ، النهضة الماليزية نموذجا** ، مجلة آفاق فكرية ، مجلد4، العدد9،أكتوبر ، 2018.ص239.

و تقديسه للأخلاق، ويحدد دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، والمتمثل في إنقاذ العالم و الإنسانية من الفوضى التي يعيشها، ويستطيع الجنين الإسلامي أن ينشط في شروط تاريخية جديدة، وهي الشروط إنما تصدر عن الضمير المسلم، وعن موقفه في الظروف التي يمر بها الآن العالم المسمم بجرثومة القوة، ومع ما تحدثه البذرة الأخلاقية الإسلامية في حل المأساة العالمية، ندرك ما يمكن أن تمنعه بذرة كهذه حين ينشطها مبدأ عدم العنف، ومعنى لرسالات الإسلام"[1]، إذ يعتبره المخلص للبشرية وبقدرته على تحقيق السلام العالمي، وذلك بالحواروالتعايش السلمي و التعاون، وتفعيل الأخلاق والضمير في العلاقات الاجتماعية والدولية ،فقد وصف حالة العالم المعاصر بحالة الطوارئ، إذ البشرية تعيش في شقاء مادي ومعنوي – روحي– والحالة تتطلب الإنقاذ، والتي هي رسالة المسلم كشاهد على العصر، وهي رسالة إسلامية ودينية، حيث يقول:"... والغرب أوالحضارة الغربية فقدت مبررات وجودها، وتعاني الآن من أزمة والمسلم يضيع القيم التي كانت تشرق على وجهه في نظر الآخرين أجمل صورة إنسانية في التاريخ ،أقول هذه الكلمات كوصية لإخواني وأدعو الله أن تتحقق رسالة المسلم لإنقاذ المسلم من كساده، ولإنقاذ الإنسانية من استهتارها"[2]،فالإسلام دين عالمي له مهمة عالمية، فمهمة الإنقاذ والتغيير تتحقق بتغيير الواقع المحيط، ويجب أن نبدأ أولا بتغيير أنفسنا، ولكي يتحول التغيير إلى واقع عملي يجب على المسلم المعاصر أن يحقق ثلاثة شروطو هي: أن يعرف نفسه و أن يعرف الآخرين و أن يعرف الآخرين بنفسه .

2- **فاعلية الثقافة** :لابد للثقافة أن تكون موجهة ومدروسة ، لأن توجيه الثقافة يعني توجيه الأخلاق لتكوين الصلات الاجتماعية – شبكة العلاقات الاجتماعية – وهذه الصلات يبعثها الدين أصلا، وقوة التماسك الضرورية لمجتمعنا موجود حسب مالك بن نبي في الدين الإسلامي،وقد حدد مالك بن نبي أربع دعائم تقوم عليها الثقافة العربية الإسلامية

[1]- مالك بن نبي : **الفكرة الإفريقية الأسيوية** ، مصدر سابق ، 239.

[2]- مالك بن نبي : **دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين** ،دار الفكر ،سوريا،ط1991،1.. ص ص 56.55.

هي:الدستور الأخلاقي، الذوق الجمالي، المنطق العملي و الصناعة أو التقنية، وعلى هذا الأساس تكون الثقافة نظرية في السلوك أكثر مما هي نظرية في المعرفة، فهي وثيقة الصلة بالتاريخ والتربية والحضارة، فلا تاريخ بلا ثقافة، هذه الأخيرة هي الوسط الذي تتكون فيه خصائص المجتمع التاريخية من عبقرية وتقاليد وأذواق ومشاعر، لذا فالثقافة حسب مالك بن نبي:"... صورة لبرنامج تربوي يصلح لتغيير الإنسان – بناء الإنسان الحضاري– الذي لم يتحضر بعد في ظروف نفسية وزمنية معينة،أو لإبقاء الإنسان المتحضر في مستوى وظيفته الاجتماعية وفي مستوى أهدافه الإنسانية"[1]، فالثقافة حسبه أسلوب تربوي يسعى إلى خلق وبناء النموذج الإنساني المطلوب،والذي توازن فيه التنشئة التربوية والتكوين العلمي الهادف لصنع حضارة ما.

1- فاعلية الأفكار:إن مالك بن نبي يعتبر أن الأفكار أصل من أصول النهضة ومرجعية عليا يرجع إليها الفرد الحضاري ليقيس عليها الأشياء والأشخاص، وبدون الأفكار يصبح الميزان مختلا ، فالأفكار هي من تقود العالم بغض النظر عن نوعيتها، لذا نجد مالك بن نبي يعتبر أن:"مقياس عظمة المجتمع لا تقاس بما حقق من أشياء واقتنى من مقتنيات وا ٍنما عظمته بمقدار ما فيه من أفكار"[2] فتكديس المنتجات المادية لا يبني الحضارة وا ٍنما الفكر هو من يصنعها وذلك بإرادة الإنسان، فأول المفاتيح التي يقدمها مالك بن نبي ضمن عناصر الرؤية التنموية والعمرانية والحضارية ، يقع ضمن تصنيفه لعوالم الوجود البشري وما يحيط به من عالم الأفكار وعالم الأشخاص وعالم الأشياء، ثم الناظم لهذه العوالم الثلاث والذي هو شبكة العلاقات الاجتماعية، وتولدها من تفاعلات وعلاقات في تكامل عناصر الحضارة، فعالم الأفكار يؤسس لتحقيق أهداف يحددها عالم الأشخاص وتجسد بوسائل من عالم الأشياء، وذلك في ظل شبكة العلاقات الاجتماعية، أما المفتاح الثاني حسبه فهو عالم الأفكار وما يولده من منظومة ثقافية و مفاهمية ، يتحدد عليها مدى فعالية الحضارة وعمرانها ومدى قوة المجتمع ومدى فعاليته،

[1] - مالك بن نبي : **ميلاد مجتمع** ، مصدر سابق ، ص94.

[2] - المصدر نفسه ، ص28.

فكلما كانت شبكة العلاقات الفكرية أكثر انسجاما، كانت شبكة العلاقات الاجتماعية أكثر تماسكا وتفاعلا، وكانت الفاعلية الاجتماعية والحضارية والعمرانية أكثر والعكس صحيح"[1]، وبذلك فإن أخطر العوالم في نظر مالك بن نبي هو عالم الأفكار، فالأمم قد تفقد عالم الأشياء وكثيرا من عالم الأشخاص، لكنها تستطيع استئناف دورها الحضاري والعمراني، مادام عالم أفكارها فعالا وقويا وحيا ،ويضرب لنا مالك بن نبي مثالا:بألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث خسرت أشياءها بالكامل ولكنها استعادتها بسهولة بسبب غناها بالأفكار .

إن مالك بن نبي يحصر طبيعة مشاكل العالم الإسلامي في ثلاثة مشاكل وهي :

1-مشكلة الإنسان وتحديد شروط انسجامه مع سير التاريخ .

2-مشكلة التراب وشروط استغلاله في العملية الاجتماعية.

3-مشكلة الوقت وبث معناه في روح المجتمع ونفسية الفرد"[2] .

و أولى له أن ينتبه إلى دور كل من الشروط الأساسية السابقة في حل هذه المشاكل الحضارية، والتي لا يمكن تفكيك الواحدة منها إلا بانتقاء أفضل مبدأ أخلاقي وذوق جمالي ومنطق عملي وعمل[1] ، فتحقيق التغيير الاجتماعي يكون بالتنسيق بين العمليات التفاعلية بين الأشخاص والأفكار والأشياء والذي يؤدي بالمجتمع إلى بلوغ مرحلة الحضارة .

إن ما يمكن قوله: أن القيم تحتل مكانة هامة في بناء الحضارة عند مالك بن نبي، وتظهر عمليا في بناء الإنسان وتربيته وتوجيهه حضاريا، وذلك للقيام بأدواره الحضارية باعتباره العامل الأساسي والمركزي في بناء الحضارة ،والفاعلية الحضارية مرتبطة بفاعلية الإنسان التي يستمدها من فعالية العقيدة، كونها مصدر القيم الإنسانية والحضارية في جميع أبعادها.

---

[1] - وصفي عاشور أبو زيد : **مالك بن نبي والمشروع الحضاري** ،مجلة دراسات العدد 20، القاهرة سنة2003. ص18.

[2] -مالك بن نبي :تأملات ،مصدر سابق،ص201.

[1] - نورة خالد السعد :التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي ،مرجع سابق ،ص273.

المبحث الثاني: موقع الفكر القيمي البنابي لدى بعض المفكرين المعاصرين: نظرا لطبيعة البحث سوف نقتصر على ذكر نموذجين **أحدهما** في الحضارة الغربية وهو مفكر معاصر تتقاطع أفكاره مع فكر مالك بن نبي وهو (روجي غارودي) **أما النموذج الثاني** فيتمثل في تطبيق عملي لأفكار مالك بن نبي في التجربة النهضوية الماليزية على يد رائدها "محمد مهاتير" .

1-**مالك بن نبي وروجي غارودي**: إن روجي غارودي يتقاطع كثيرا مع فكر مالك بن نبي في تصورهما لدور الإسلام في التغيير الحضاري ، فمالك بن نبي أشار في كتابه:" المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين" كما سبق ذكره ، إلى أن الإسلام هو البديل لإحداث التغيير الحضاري المعاصر ،بما يحمله من قيم ومقومات حضارية أخلاقية وا نسانية.

أما روجي غارودي صاحب كتاب"حوار الحضارات" وكتاب "الإسلام" وكتاب " الإسلام دين المستقبل"،فإنه ناضل فكريا وسياسيا من أجل تحقيق التغيير الحضاري الذي يستهدف استعادة إنسانية الإنسان والذي يقوم حسبه على أساس الإسلام، هذا الأخير ليس مجرد عقيدة يؤمن بها الإنسان وتحدد علاقته بربه ، كما هو الحال بالنسبة للعقائد الأخرى ، بل إن الإسلام بشموليته و أبعاده التربوية يمثل مشروعا حضاريا متكاملا بما يحمله من رؤية إنسانية توحيدية وذلك ما جعل غارودي يضعه كبديل للنموذج الحضاري العالمي، أو إن صح التعبير المخلص والمنقذ للحضارة، وهو ما عبر عنه في كتابه"الإسلام دين المستقبل" والإسلام الكوني العالمي وفي ذلك يقول:" لقد أفلس الغرب بعد خمسة قرون من الهيمنة المطلقة، وها هو يقودنا إلى الهلاك وسيستعيد الإسلام حظوظه في الانتشار العالمي كسالف عهده أيام ازدهاره..."[1]، حيث أراد غارودي في كتابه "حوار الحضارات" أن يبني مشروعا متكاملا للحوار بين الحضارات ، وذلك من أجل إنقاذ العالم من الانتحار الكوني، وفي مقابل ذلك لم وجمع الثقافات الإنسانية وفق

[1] - فايزة بوثلجة : **مالك بن نبي وفلسفة البناء الحضاري بالبعد التربوي** ،إشراف ،أ/ د لخضر شريط ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الفلسفة ، قسم الفلسفة ، جامعة الجزائر 2،سنة [2019/2020]،ص433.

منطق الحوار والتعايش ، كبديل لمنطق القوة والصراع الذي ساد لقرون في الحضارة الغربية ، والغاية من ذلك هو الحفاظ على القيم الإنسانية بعد ما تم تغييبها وتعويضها بالقيم المادية ، إذ يجب على الغرب أن يعمل بإخلاص لإعادة بناء عالم متكامل ومتضامن ،كما يجب على المسلمين مراجعة تراثهم عن طريق قراءة وفهم جديد لنصوص القرآن الكريم، من شأنها إعادة إحياء الدور الاجتماعي للإسلام – الوظيفة النفسية والاجتماعية والحضارية للعقيدة – وذلك عن طريق إحياء الفكر النقدي، وهذا ما قال به مالك بن نبي في مشروعه الحضاري، لذا فغارودي لديه إيمان قوي بأن الإسلام هو دين البشرية المستقبلي، بعد أن أثبتت جل النماذج الحضارية فشلها، بما في ذلك النموذج الغربي والإسلامي في النمو ، ولكن الإسلام الذي يقصده غارودي هو ذلك الذي شوهه المسلمون في مرحلة انحطاطهم وهي مرحلة ما بعد الموحدين، والتي تمثل مرحلة ما بعد التحضر[1]،إن غارودي يراهن على الإسلام من أجل إنقاذ مستقبل الحضارة والإنسان،وا ٍعادة الاحترام للإنسان، فالمشروع موجود ولكنه ينتظر من يفعله ويطبقه، فالرسالة الإنسانية العالمية والكونية للدين الإسلامي بما يحمله من قيم أخلاقية عالمية ، فهو صالح لكل زمان ومكان وجاء للناس كافة، فالإسلام حسب غارودي هو الديانة المؤهلة بفضل الروح التوحيدية لإنقاذ الحضارة وا ٍنقاذ الإنسانية جمعاء[2] .

- يمكن القول أن كل من مالك بن نبي وروجي غارودي يتفقان على أن الدين الإسلامي هو البديل الحضاري بما يحمله من قيم روحية وأخلاقية وحضارية و إنسانية ، بإمكانه أن ينقذ الإنسانية والحضارة من انهيارها وا ٍفلاسها القيمي، وذلك بإعادة تفعيله في حياة الإنسان النفسية و الاجتماعية والحضارية، حتى يخلق التوازن بين القيم الروحية المعنوية والقيم المادية الاقتصادية ، فتصبح الحضارة نموذجا متكاملا وشاملا .

[1]- فايزة بوثلجة : **مالك بن نبي وفلسفة البناء الحضاري بالبعد التربوي** ، مرجع سابق، ص ص435.434.

[2]- روجي غارودي :**حوار الحضارات** ،تر: عادل العوا ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1982 ،ص 175. -

2-الفكر الحضاري لمالك بن نبي وأثره على النهضة الحضارية المعاصرة لماليزيا أنموذجا:لقد نسب إلى رئيس وزراء ماليزيا الأسبق ورائد نهضتها "محمد مهاتير" قوله:" إن أفكار مالك بن نبي هي أساس النهضة الحديثة لماليزيا"[1]، إذ تمثل ماليزيا نموذجا تطبيقيا لأفكار مالك بن نبي في المجال الحضاري، حيث بنت حضارتها في العصر الراهن على أسس و مناهج التغيير الحضاري، المستوحى من الفكر العالمي الذي اتسمت به أفكار مالك بن نبي فقد استوعبت الدرس الحضاري من خلال قائدها "محمد مهاتير" فقام بوضع منظومة من القيم تناول من خلالها خططا تنموية، حملت مبادئ التنشئة التنموية الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية على الأسس التغيرية التي التقى فيها المشروع بأفكار مالك بن نبي وذلك في مجال التغيير والبناء الحضاري .

وسنحاول أن نلخص أهم الأسس المشتركة بينهما في النقاط التالية:

1- **ضرورة الاستفادة من التجارب الحضارية الناجحة مثل التجربة اليابانية** :أولى مالك بن نبي للتجربة اليابانية اهتماما خاصا لما حققته من صعود باهر على كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية رغم خروجها من الحر ب العالمية الثانية محطمة، لكن تملك عالم أفكار فعال وقوي واعتمدت على نفسها في رسم خطط تنموية ، لذا وجه الوعي الإسلامي لأخذ الدروس والعبر لتدارك أسباب النجاح، وتفادي أسباب الفشل لتحقيق النهضة الحضارية والعودة لمسار التاريخ، فمالك بن نبي لم يغفل فاعلية الدور الاقتصادي في الحياة الاجتماعية، وفي هذه النقطة يتجلى الاتصال في الطفرة الاقتصادية والاجتماعية التي قادها لفترة طويلة محمد مهاتير، حيث أشار إلى ضرورة الاهتمام بالتجربة اليابانية، إذ وجه الوعي إلى ضرورة الاستفادة من دروس المعجزة اليابانية، واستلهام دروس الاعتماد على الذات دون اللجوء إلى الحلول المستوردة والغريبة عن الذات[2] .

---

[1] - نقلا عن سالم فتيحة : **النهضة عند مالك بن نبي قراءة أم إستشراف ، النهضة الماليزية نموذجا** ، مرجع سابق ، ص226.

[2] - المرجع نفسه ، ص228.

2- **مبدأ التنظيم والفاعلية**: يشكل عنصر الفاعلية والتنظيم محورا أساسيا في المشروع الحضاري لمالك بن نبي وقد سبق لنا وأن أشرنا إليه – فاعلية الإنسان فاعلية العقيدة وفاعلية الثقافة، فاعلية الأفكار– حيث تأثر قائد النهضة الماليزية "محمد مهاتير" بعنصر الفاعلية والتنظيم، إذ نجد ملامحها في التنمية الاقتصادية في عهده، خاصة في العهود الأخيرة نتيجة سياسة إنمائية مدروسة ومحكمة، مكنتها من تحقيق معدلات نمو عالية، من خلال رسم خطط تنموية مدروسة لمستقبل ماليزيا، حدد فيها الأولويات والأهداف والنتائج التي تسعى لتحقيق مشروعه النهضوي، مركزا على محور التعليم، ويوازيه محور التصنيع ويأتي في خدمتهما المحور الاجتماعي[1].

3- **الإنسان العامل الأساسي في عملية التغيير الحضاري**: يتجلى تأثر محمد مهاتير برأي مالك بن نبي الذي ركز على تغيير الإنسان في كل عملية تغيرية، وهو ما يستوجب الاهتمام بتربية الفرد وتعليمه،فانصب اهتمام هذا التغيير على الإنسان الماليزي وجعله محورا أساسيا في العملية الإصلاحية، فأعطي الأولوية للاهتمام بالمعرفة والتعليم، مبررا هذا الاهتمام بأن كلمة اقرأ كانت أولى التعليمات التي نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لما لها من دور بالغ في نشر المعرفة[2]، لذا فكل منهما يؤكد بأن التغيير يبدأ من النفس والفرد، فمالك بن نبي يقول:"غير نفسك تغير التاريخ "[3]،أما محمد مهاتير فيقول:" نثق بأن المسلمين يمكن أن يكونوا قوة دافعة في اتجاه الخير للبشرية في القرن الواحد والعشرين...ويبقى أمام المسلمين أن يقرروا مصيرهم في ضوء النص القرآني الواضح بأن المولى عز وجل قال:"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[4]، لذا يعد الإنسان عندهما القيمة الاقتصادية الأولى ومحور كل بناء حضاري .

---

[1]- سالم فتيحة: **النهضة عند مالك بن نبي قراءة أم استشراف،النهضة الماليزية نموذجا**،مرجع سابق ، ص230.

[2]- المرجع نفسه ،ص213.

[3] - مالك بن نبي : **شروط النهضة** ، مصدر سابق ،ص 84.

[4]- موسى بابا عمي:**القاموس الحضاري للمجدد مهاتير** ، دار المعرفة، الجزائر ،ط2009،1،ص79.،

4- **دور شبكة العلاقات الاجتماعية كعامل أساسي وحضاري لكل نهضة**:شكلت مسألة العلاقات الاجتماعية محورا أساسيا في المشروع الحضاري بالنسبة لمالك بن نبي، واعتبرها أول عمل تاريخي يقوم به مجتمع ساعة ميلاده ،فمتى كانت قوية ومتماسكة ومتناغمة ساعد ذلك المجتمع على التغيير والبناء الحضاري، والعكس كلما كانت متحللة كانت عائقا في طر يق النمو والرقي- سبق لنا تحليل هذا العنصر في الفصل الثاني- أما محمد مهاتير فلم يغفل ذلك فقد عدها الفكرة الدافعة للتنمية الحضارية من خلال التلاحم العضوي للمجتمع الماليزي، بواسطة خلق روح التعاون والشراكة بتطوير الموارد البشرية واستثمارها في كل فعل تنموي[1]، فيكون المجتمع كالبنيان المرصوص، وذلك عن طريق العمل المشترك الذي يصب في توحيد الجهود والطاقات الفردية والجماعية المجتمع الماليزي .

5- **أخلقة الممارسة الاقتصادية والسياسية:**(تنمية شاملة مبنية على القيم الأخلاقية) سبق لنا وأن حللنا علاقة الأخلاق بكل مجالات الحياة الإنسانية في المشروع الحضاري لمالك بن نبي وذلك في الفصل الثاني– دور القيم في البناء الحضاري - إذ اهتم بالقيم الإنسانية إلى جانب القيم الاقتصادية في البناء الحضاري، فالعلم وحده لا يبني حضارة كما أن القيم الاقتصادية هي الأخرى لا تبني حضارة ، لذا دعا إلى ضرورة العناية بالقيم الإنسانية الثقافية والاجتماعية والحضارية المرتبطة بالجانب الروحي للإنسان، والتي تعود إلى فعالية العقيدة – الدين – كونه أصل ومرجعية كل القيم ، فربط العلم بالضمير والاقتصاد بالأخلاق والسياسة بالأخلاق ، أما محمد مهاتير فلم يغيب دور القيم في النهضة الماليزية فشكل تفعيل القيم في العمل أحد الأهداف التي ارتكزت عليها الخطط التنموية التي وضعها رائد النهضة الماليزية – مهاتير - من خلال ترسيخ الوعي في الإنسان الماليزي باعتباره العامل الأساسي لنجاح كل مشروع تنموي حيث يرى محمد مهاتير:" أن القيم قد تكون عاملا للتغيير ويمكن أن تكون عاملا للتدمير، إذا ما أسيء تطبيقها، فالقيم الأسيوية قيم مشتركة وتبعا لذلك في نظره لا ينبغي

[1]- سالم فتيحة : **النهضة عند مالك بن نبي** ، مرجع سابق ،ص236.

أن تكون فوضوية ، فأصحاب السلطة الذين يملكون خبرة واسعة في المجتمع، هم الذين يقومون بدورهم في اختيار القيم الجديدة ، ومن ثمة إعادة تشكيلها"[1]، وذلك لتعدد العقائد والثقافات في المجتمع الماليزي، فالإسلام مثلا في نظره يقدم مجموعة من القيم الفكرية التي تدفع بالمجتمع نحو التنمية، لذا أضفى على مسألة القيم بعدا حضاريا، ودعا إلى ضرورة تفعيل القيم الأخلاقية المستوحاة من العقيدة في العمل، كون الإسلام ينظر للعمل على أنه عبادة وواجب .

أما في علاقة الأخلاق بالسياسة فلقد حرص مهاتير بفعل قيادته الرشيدة إلى إشاعة التسامح الديني في ماليزيا ،اتجاه الأقليات والطوائف المشكلة للمجتمع الماليزي منهم الأقلية المسلمة حتى أصبحت ماليزيا تمثل"النموذج الإسلامي" الوحيد الذي يستحق أن يحتذي به في التعايش والتسامح والحوار...و تضيف الباحثة "سالم فتيحة" لم يكن محمد مهاتير مجرد رجل سياسة، بل كان أيضا مفكرا وصاحب رؤية مستقبلية...حيث أطلعهم على روح المسؤولية كرجل سياسي ، وحرص على نشر ثقافتها والمشاركة الجماعية في العمل السياسي ، فلم يعرف عنه تكديسه للثروة الشخصية أو استغلال نفوذه ...وقد نجح في تحاشي التحول إلى رمز لعبادة الفرد – الإشارة إلى الأنظمة الاستبدادية – الظاهرة التي دمرت الكثير من القادة العرب والمسلمين"[2]، لقد أصبح محمد مهاتير أنموذجا للقيادة السياسية الراشدة في ماليزيا في خدمة الصالح العام للشعب الماليزي ، وكسب قلوب وود مواطنيه .

ونافلة القول: إن ما يتطلبه العالم العربي الإسلامي حسب بن نبي ، هو انتهاج عملية تغيير عام يمس طريقة تفكير الإنسان مهما كان، بغض النظر عن تحصيله العلمي ، وذلك بتكوينه حضاريا واعيا وفق مبادئ ثابتة تمنعه من أن يكون عدوا للنهوض الحضاري ،وتبقى التجربة الحضارية الماليزية تمثل منهجا تطبيقيا لأفكار بن نبي الحضارية .

[1]- سالم فتيحة : **النهضة عند مالك بن نبي** ، مرجع سابق ، ص ص240.239.

[2]- المرجع نفسه : ص ص 243.242.241.

المبحث الثالث :المقاربة البنابية برؤية نقدية

تمهيد: لقد تعرضت نظرية الحضارة – المشروع الحضاري – عند مالك بن نبي لعدة انتقادات وأراء متأرجحة بين الموافقة العامة والجزئية، وبين المخالفة الكلية والنسبية، وبين التجاهل والتغافل الكلي، حيث نجد بعض المفكرين أشادوا بفكره الحضاري وتأثرو ا به، كما نجد البعض الآخر، قد اعتبروا أنها احتوت على جانب كبير من الأخطاء والذي يهمنا في هذا المبحث هو أن نرصد بعض الاعتراضات الموجهة لفكر مالك بن نبي على سبيل المثال لا الحصر، خاصة حول قيمة وأهمية القيم في البناء الحضاري الذي هو من صميم بحثنا. لذا فماهي أهم الاعتراضات التي وجهت لفكر مالك بن نبي ؟

أولا : الاتجاه النقدي لفكر مالك بن نبي:

من أبرز ممثلي هذا الاتجاه النقدي نجد الباحث " **غازي توبة** " إذ يقول:" وقع مالك بن نبي في خطأ فكري نتج عن تحريك القابلية للاستعمار لذهنه، فأعطى التراب قيمة زائدة عن حدوده، إذ وضع هذه المعادلة:إنسان + تراب + وقت = حضارة. فليس من شك أن الإنسان هو مقياس الحضارة لأنه أثمن ما في الحياة، فصلاح الحضارة وفسادها يقاسان بمدى النفع أو الإضرار به، ومدى الانسجام أو التنافر معه.

وليس من أحد أن ينكر أن الحضارة تستغل التراب – الآن – أحسن استغلال، وتستفيد من الوقت أروع استفادة وقد أعطته – نتيجة ذلك – ركاما ترابيا ضخما لم تشهده أي حقبة تاريخية سابقة، وفي الوقت نفسه لم يشق الإنسان بترابه ووقته كما شقا في قرننا هذا، ولم يتأذ الإنسان بمنجزاته كما تأذى إنسان الآلة، لذا يرى غازي توبة: أن استغلال الإنسان للتراب والوقت لا يعطي بالضرورة حضارة حسب المعادلة:إنسان + تراب + وقت = حضارة فقد يكون هناك:إنسان+تراب+ وقت = دمارا وليس حضارة ، لذا فالوضع الصحيح حسب غازي توبة للمعادلة الحضارية هو:إنسان متوازن = حضارة ، ولما كان المسلم حتما متوازنا – أي الإنسان

الوحيد الذي يمكن أن يحقق التوازن – تصبح صورة المعادلة كالآتي:إنسان مسلم = حضارة[1].
كما يرى كذلك غازي توبة، أن الحضارة الإسلامية تقوم على أساس التوازن بين العقل والروح وبين الروح والجسد، وبين الدنيا والآخرة، فمالك بن نبي يرى التوازن فقط عندما تسيطر الروح على العقل والجسد، ثم بعد ذلك لا يوجد توازن وذلك عندما يسيطر العقل على الروح، ثم عندما تسيطر الغرائز حيث تؤدي إلى دمار الحضارة .هذا في تحليله للمنحنى البياني الذي تمر به أطوار الحضارة الإسلامية . وردا على هذا الباحث ونقده نجد الباحثة الجزائرية " **أمينة تشيكو**" في كتابها – مفهوم الحضارة عند" مالك بن نبي" و" أرنولد توينبي "، ترد على نقد غازي توبة حيث تقول:" إن غازي التوبة قد أغفل نقطة مهمة في نظرية " مالك بن نبي " خلال نقده هذا ، وهي تدخل الدين كمركب لعناصر الحضارة (إنسان والتراب والوقت)، فبدون تدخل هذا المركب لا يمكن أن تكون حضارة ... فالدين هو مصدر توازن الإنسان وبالتالي يمكننا أن نقول:إنسان متوازن+تراب+وقت= حضارة"[2]. فالمركب الحضاري هو العنصر الذي يضم العناصر الأخرى وينسقها ويفعلها،وهذا المركب الحضاري هو الفكرة الدينية أو العقيدة والروح الأخلاقية والتي تعني الإسلام بالنسبة للعالم الإسلامي .

- **النقد الثاني** الذي وجهه **غازي توبة** في كتابه " الفكر الإسلامي المعاصر"، إلى نظرية مالك بن نبي في الحضارة والتي قدمها في صيغة رياضية فيه نوع من الحتمية، كناتج من جمع العناصر التالية:الإنسان + التراب + الوقت = حضارة ، وكأن المسألة الحضارية التي تتعلق بالحياة الإنسانية تظهر من خلال كلامه كأنها بناء هندسي ضمن معادلة رياضية ،وكذا أفكاره حول القابلية للاستعمار ، والتخلف وشروط النهضة[3].

---

[1]- غازي توبة : **الفكر الإسلامي المعاصر** ، دار الفكر ، بيروت ، ط3 ، 1977، ص78.

[2]- أمينة تشيكو : **مفهوم الحضارة عند " مالك بن نبي " و " أرنولد توينبي "** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د ط ، 1989، ص ص 142.141.

[3]- غازي التوبة : **الفكر الإسلامي المعاصر** ، مرجع سابق، ص23.

-**النقد الثالث**:الذي وجهه الباحث علي القريشي في كتابه " التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي" مفاده أن فكرة الدورة الحضارية عند مالك بن نبي اعترض عليها، فإنه ليس هناك ميلاد وشباب وشيخوخة لا في حياة الدول ولا في حياة الحضارات، بل هناك إبطاء أو توقف في المسيرة الحضارية مرده عوامل قد يكون من أبرزها سوء أنظمة الحكم والممارسة السيئة للحكام، فقيام الحكم على أساس أو ممارسات مرفوضة، وحدوث تنافر بين الحكام والرعية من شأنه أن يؤدي إلى توقف الحوار والتفاعل الحيوي، وبالتالي تضاؤل المعطيات الحضارية أو جفافها شيئا فشيئا "[1]، ويضيف الباحث نقدا آخر مفاده:" إن تطبيق مالك بن نبي للتفسير الدوري الحضارة، قد اقتصر على حضارتين فقط هما الحضارة المسيحية والحضارة الإسلامية، فكيف يصح أن تعمم نظرية الدورة ومصيرها قانونا يجري على كل الحضارات الإنسانية الأخر ى"[2].

فالباحث رأى بأن مالك بن نبي أقحم الفكرة الدينية في تشكيل ما يسمى اليوم بالحضارات الغربية، بغض النظر عن كونها صحيحة أم خاطئة، أم هي فلسفات أرضية ليحقق بذلك نظريته في الحضارة ، والغاية حسب الباحث أن مالك بن نبي،أراد أن يعمم فكرته القائلة بتأثير الجانب الروحي على بناء الحضارات، فوقع حسبه مالك بن نبي في خطأ كبير،كونه سوى بين الدين الصحيح والحق وباقي الديانات المحرفة، ويطرح الباحث تساؤل:هل تأثير الفكر الديني في الحضارات يتم فقط من خلال إنشاء المعابد والهياكل فالعالم الإسلامي اليوم فيه مساجد كثير، فهل حقق المفهوم الحضاري؟ بالطبع لا،لأنه يشمل الجانب العملي أيضا المنبثق من الجانب الإسلامي، هنا يمكن الرد على الباحث بأن مالك بن نبي ربط تأثير الدين في بناء الحضارة بمدى فعاليته ، وذلك بدخوله في النفوس بالنسبة للفرد أو المجتمع،وليس فقط أقوال ومبادئ بل ممارسة وعمل. أما إذا لم يفعل الدين فيصبح بذلك عائقا لبناء الحضارة نتيجة تفكك وتحلل شبكة العلاقات الاجتماعية.

---

[1]- علي القريشي :**التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي** ، الزهراء للإعلام والنشر ، ط1 ، 1989، ص ص 297.296.

[2]- المرجع نفسه ، ص 297.

- أما الباحث **سليمان الخطيب** فهو الآخر وجه نقدا لنظرية مالك بن نبي، وذلك في كتابه" فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي" مضمونه:أن مالك بن نبي يرد كل الأهواء والمحن التي ألمت بالحضارة الإسلامية إلى ما حدث في معركة صفين من صراع من خلال حمية الجاهلية ،"إن هذا القول مبالغ فيه عند مالك بن نبي...لأنه لم تكن حمية الجاهلية التي انبعثت،فالقضية بين معاوية وكانت خلافا على الرأي،وكل منهم يظن أنه يدافع على الإسلام الصحيح ،فعلي كان يرى أنه يدافع عن حق ولي الأمر في ترتيب الأمور،ومعاوية يرى أنه لابد من القصاص من القتلة والوقوف ضد الخارجين،وهذا أولى من استبدال خليفة"[1] ،أما ما يراه من أن سقوط الحضارة الإسلامية كان بسقوط دولة الموحدين فإن:" دولة الموحدين كان فيها دخن كثير، فإن مؤسسها محمد بن تومرت، كان يدعى العصمة...ولكن لماذا ينسى أستاذنا مالك بن نبي الدولة العثمانية التي استأنفت القوة الإسلامية، بدولة جامعة كبرى كانت أعظم من الموحدين و أكبر"[2].

-هناك من الباحثين من يعتبر فكر مالك بن نبي امتداد لفكر ا بن خلدون حيث نجد الباحث " الجيلالي بوبكر" وجه نقدا لفكر مالك بن نبي يقول فيه:" لقد وقع مالك بن نبي فيما وقع فيه " ابن خلدون " حيث استخلص قوانين من واقع وتاريخ العرب والمسلمين، وراح يعممها على كافة الشعوب والقارات التاريخية، ويظهر تأثره بابن خلدون في تحديد أعمار الحضارة وأطوارها فهو لم يفعل شيئا وإنما استبدل كلمة دولة في الفكر الخلدوني بالحضارة في نظريته"[3]،غير أننا نجد الباحثة " فوزية بريون" ترد وترى:" أن مالك صحيح تأثر بنظرية ابن خلدون في الدورة الحضارية، لكنه قام باستبعاد العصبية وقام بتطوير هذه النظرية وصياغتها في قالب جديد"[4]،

---

[1]- سليمان الخطيب : **فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي** ، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، من حوار أجراه مع : د / عبد الحليم عويس ، بجامعة الأزهر ، بمصر ، ص116.

[2]- المرجع نفسه ،ص ص119.118.

[3]- الجيلالي بوبكر : فكر مالك بن نبي في فصل الإصلاح ، موقع الشهاب للإعلام متاح على : www.stontmos.com.

[4]- فوزية بريون : مالك بن نبي حياته ، مرجع سابق ، 147.

فمالك بن نبي نقد عبد الرحمن بن خلدون، وقد أشرنا لهذا سابقا، إذ نظرية ابن خلدون توقفت عند الدولة كمنتوج حضاري ،أما مالك فقد أعطى نظرية عامة للحضارة وقسمها إلى طور ما قبل التحضر (الروح) وطور التحضر (العقل) وطور ما بعد التحضر (الغريزة)[1].

- **النقد** الذي تعرض له مالك بن نبي نتيجة طرحه **للبعد الجمالي** في مشروعه الحضاري حيث تحدث بن نبي عن الجمال في البناء الحضاري، وعده فصلا مهما من فصول الثقافة بعد المبدأ الأخلاقي، وبين أهميته التربوية والاجتماعية والحضارية، وذلك في الكثير من كتبه ومحاضراته التي خصصها للثقافة، إذ عده شرط لا بد منه لكل عملية بناء حضاري كونه يكون الذوق العام ويوجه أسلوب الحياة ويجملها، مما يسمح بتنمية الخيال والإبداع لدى أفراد المجتمع ، ويحفز على المضي قدما نحو عملية التجديد والتغيير والنهوض الحضاري غير أنه هناك من وجه له نقدا كونه ولد تأثره بالثقافة الغربية –الأوروبية – التي تعلى من شأن الجمال وتقدسه ، كونه عاش في بيئتها ودرس وتعلم في محيطها فترة من الزمن تقدر بربع قرن، فحسب الباحثة" وفاء عمران "، أن هذا من وجهة هذا الرأي صحيح، لكن من غير الوجهة التي تحدث عنها ناقدوه صحيح ، بأن مالك بن نبي تنبه لفكرة التوجيه الجمالي حينما كان في باريس، ولو كان في الجزائر فلربما لم يكن ليتنبه إلى هذه الفكرة ،وبهذا النمط الذي تحدث عنه،أما من جهة المحتوى والمضمون، فإن حديثه عن فكرة الجمال وأهميتها الحضارية لم تخرج عن نسق الإطار الإسلامي، ليس هذا فحسب بل إنه استعمله لنقد الحضارة الغربية التي لم تربط الجمال بالأخلاق، وكان بذلك مصدرا للإباحية والتفسخ عكس الجمال في الحضارة الإسلامية، فهو جمال ملتزم، لذا قطع على نقاده تهمة أنه متأثرا بالثقافة الغربية...[2]، تخلص الباحثة إلى أن انقطاع الفكر الإسلامي على علم الجمال ومبحث الجماليات ، أو عدم الاهتمام بها أسهم بدرجة كبيرة في عدم الالتفاف لفكر مالك بن نبي في بعده الجمالي، وفي تقدير أهميته الحضارية .

1- بدران بن مسعود بن لحسن : الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري ، أنموذج مالك بن نبي ، وزارة الأوقاف ، قطر ، ط1 ،2000.ص81.

[2] -وفاء عمر ان : **التوجيه الجمالي ودوره في تركيب الثقافة ،مقاربة حضارية لمالك بن نبي** ، مجلة أبعاد ، جامعة وهران 2 ، مجلد 6 ، العدد 1 ، 30 جوان 202.ص221.

- تجدر الإشارة إلى أنه هذه بعض الانتقادات التي رأينا أنها مهمة ولها علاقة بموضوع بحثنا، وتوجد كذلك انتقادات لم نشر لها نظرا لطبيعة البحث، غير أنه لا يعني أن نظرية مالك بن نبي ليس لها ايجابيات بل العكس من ذلك فهي تزخر بها، ويعد مالك بن نبي خبير في نهضة المجتمعات كلها والمجتمع الإسلامي خاصة، إذ شخص أمراضه ومعيقاته وقدم الحلول، بشهادة الكثير من المفكرين العرب المسلمين، وغيرهم من الغربيين وسنذكر بعضهم على سبيل المثال لا الحصر .

- وصفوة القول: رغم هذه الانتقادات التي وجهت لفكر مالك بن نبي، فإنها لا تحجب عنا ايجابيات فكره ولا تمنع من الاستفادة منه، فهو خبير في نهضة المجتمعات واستطاع أن يشخص الأمراض الثقافية والاجتماعية والحضارية التي تعرقل كل محاولة جادة لبناء الحضارة من جديد، والعودة لمسار التاريخ، وخاصة العالم العربي الإسلامي المعاصر، فرغم معرفته الدقيقة بالفكر الغربي وتأثره به أحيانا، إلا أنه منبعه أصيل وهو الدين و الإسلام خصوصا، وقدم العلاج لها والمتمثل في تفعيل القيم الثقافية والاجتماعية والحضارية، والتي ترتبط بالجانب الروحي للإنسان، صانع ومنتج كل حضارة وذلك بشحن إرادته وتفعيل قدراته نحو تحقيق مقاصد ، تتفق مع عقيدته .

ملخص الفصل الثالث:إن عملية التغيير الحضاري عامة وما يتطلبه الإنسان في العالم العربي والإسلامي، يجب أن تمس تفكير ووعي الإنسان أولا كفرد ثم الجماعة ثانيا،وتكوينه حضاريا وفق مبادئ وقيم تتوافق مع تربية دينية وأخلاقية واجتماعية وا نسانية، تراعى فيها علاقة الإنسان بذاته وعلاقته بغيره، له حقوق وعليه واجبات .

- إن الإنسان هو العامل الأساسي في كل بناء حضاري،إذا تحرك الإنسان تحركت العناصر الأولية لبناء الحضارةوا ذا سكن المجتمع ومن ثمة التاريخ وفق منطق"غير نفسك تغير التاريخ" المستمدة من العقيدة، وعلى حسب تعبيره "إنها لشرعة السماء" وفعالية الإنسان تكمن في الجانب الروحي والمعنوي"القيم الروحية" كطاقة تشحنه نحو التغيير والبناء الاجتماعي والحضاري

،والفعالية الإنسانية لها أبعاد ثلاثة هي:فعالية العقيدة وفعالية الثقافة وفعالية الأفكار، متفاعلة ومتناغمة فيما بينها .

- إن بناء نموذج الإنسان الحضاري هو ما كان يهدف إليه مالك بن نبي لأن الإنسان هو الذي يستطيع أن يجعل أبعاد التغيير الحضاري أمرا مجسدا على أرض الواقع، وذلك في المجال الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتربوي.

- إن طرح مالك بن نبي يتبين أنه وجيها كونه قدم حلولا لمشكلات الحضارة،إذ عمل على خلق التوازن بين القيم المعنوية والقيم الاقتصادية في البناء الحضاري،وعلى العالم العربي والإسلامي أن يعيد استئناف مشروعه الحضاري،من أجل تحقيق النهوض الحضاري،لأن مالك بن نبي قد استنهض بعض مهامها، وتعد التجربة التنموية الماليزية منهجا تطبيقيا وعمليا لأفكاره، حيث بنت حضارتها بزعامة رائد نهضتها "محمد مهاتير"،الذي استلهم أسسها من الفكر العالمي لمالك بن نبي، وتبقى كل الاعتراضات التي وجهت لفكر مالك بن نبي تحتاج بالضرورة إلى المساهمة في وضع لبنة من لبنات البناء الحضاري، ولا تحجب عنا القيمة العلمية والفكرية والحضارية لفكر مالك بن نبي فيلسوف الحضارة .

خاتمة

اتخذ" مالك بن نبي "من الحضارة الوحدة الأساسية ، لدراسة الحركة التاريخية للمجتمعات اهتم بها من أجل الإحاطة بالقوانين التي تحكم نهوضها أو سقوطها وانتقالها ، وعد مشكلة كل أمة في جوهرها هي مشكلة حضارتها ، وكيفية قيامها وتطورها أو سقوطها ، والحضارة عنده هي نتاج فكرة ما ، التي تجعل مجتمع ما متميز عن غيره ثقافيا واجتماعيا وحضاريا وتدخله في التاريخ والحضارة تقوم على عناصر مادية وعناصر معنوية متوازنة فيما بينها ويعد الإنسان هو العامل والجهاز الاجتماعي الأساسي في كل دورة حضارية ، وكل محاولة تغيير وبناء حضار ي تبدأ منه وبإرادته ، فعالم الأشياء المادية لا ينتج حضارة في غياب الإنسان ، هذا الأخير يحتاج مقومات روحية ومعنوية تشحن طاقاته الفكرية والنفسية وتهذب طاقاته الحيوية لإحداث كل تغيير ونهوض من أجل بناء حضارة جديدة عبر مسار التاريخ لذا نجد مالك بن نبي ركز في مشروعه الحضاري المتكامل على مسألة القيم ودورها وأهميتها الكبيرة ، في عملية بناء الحضارات ومساعدتها على التقدم والرقي الحضاري ، وأخذ مكانتها في سلم التاريخ .

- أعطى مالك بن ني للدين – الفكرة الدينية – دورا أساسيا ، في عملية التغيير والنهوض الحضاري ، فلا يمكن لأي حضارة أن تبرز في التاريخ ، إلا عبر بوابة الفكرة الدينية والدين عنده سنة كونية وتاريخية ، وقانون عام يحكم الفكر والتاريخ ويسجل إنجازات الإنسان وهو غير مرتبط بالرسالات السماوية فقط ، بل بكل فكرة غيبية ، فهو من يفعل طاقات الإنسان وكذا عناصر الحضارة ، و هو الروح التي تغير المادة ، وتضع لها هدفا في التاريخ طبعا إذا تم تفعيله في نفوس الأفراد والمجتمع ، من خلال ربط الصلة بين الإنسان والله ، ثم ربط الصلة بين الإنسان وأخيه الإنسان .

ربط مالك بن نبي في حديثه عن الحضارة ،و في مفهومها وتركيبها وتحليلها ووظيفتها ومسارها وأطوارها ، ربطها بالأخلاق التي تستمد من الدين مرجعيتها، عامة ومن الدين السماوي خاصة ، ودورها في بناء عالم الأفكار ، وعالم الأشخاص المجسد بعالم الأشياء فالأخلاق هي من تبني شبكة العلاقات الاجتماعية ، وتخلق الانسجام في سلوك الفرد والمجتمع ، من أجل

تحقيق هدف سام في التاريخ ، وهو بناء حضارة جديدة وميلاد مجتمع في مسرح التاريخ ، وهي مرتبطة بجميع مجالات الحياة الإنسانية ،فهي جهاز دفاعي ومناعي تحمي المجتمع والحضارة من التحلل والأفول ، وتحفظ لها استمراريتها ، في أسلوب منهجي وتربوي ضروري لبناء إنسان الحضارة ، إذا فعلت والعكس إذا أهملت حيث تصبح تشكل عائقا أمام كل محاولة لبناء الحضارة.

نظر ابن نبي إلى الجمال وأهميته الحضارية ، نظرة شمولية ، تقوم على أبعادها الثقافية والاجتماعية والحضارية ووظائفها النفسية والتربوية ، فهو من وسائل وعناصر التغيير الاجتماعي ، غايته بناء الحضارة ، فلا غنى عنه ، إذ يكتسي قيمة وأهمية ثقافية واجتماعية وحضارية كبيرة ، وتأثيره كبير يمس كل دقيقة من دقائق الحياة ، كونه يساهم في ضبط وتشكيل الذوق العام ، ويساعد من رفع فعالية الفرد والمجتمع ، وحل المشكلات الجزئية التي تواجهنا في حياتنا ، وهو الإطار العام الذي تتشكل فيه كل حضارة ، وهو إلى جانب الأخلاق من أهم ما يحدد اتجاه الحضارة في التاريخ .

- نال المنطق العملي اهتمام مالك بن نبي ، وعده مبدءا أساسيا في الثقافة والمجتمع والحضارة ،لاغنى عنه وأهميته تكمن في وظيفته الثقافية والاجتماعية والحضارية ، فهو الذي يكيف صورة ونشاط الإنسان الحضاري ، من خلال ربط الفكر بالعمل وفق وسائل متاحة تتوافق مع البيئة ، لتحقيق أقصى المقاصد والأهداف الممكنة والمرغوبة ، فهو مصدر للفعالية النشاط في جميع أشكاله ، بعيدا عن منطق العقل المجرد ، وأساليب الهزل والعبث ، التي تعبر عن العقم الاجتماعي .

كل هذه القيم تعد مقومات أساسية تعمل وفق نسق ونظام تفاعلي لبناء الحضارة، ولا غنى عنها في عملية البناء الحضاري إذا فعلت، أما إذا لم تفعل كانت سببا في ظهور أمراض حضارية تعرقل كل محاولة نحو رقي وتحضر مجتمع ما.

- أما عن العالم العربي والإسلامي فإذا أراد تحقيق النهوض الحضاري ، والعودة لمسار التاريخ وجب عليه أن يواجه مشكلاته الحضارية ، بالوعي القيم التي تؤسس كمقومات لأي بناء حضاري في العالم العربي و الإسلامي من جديد ، ولكن هذا لا يعني بأن ننظر إلى هذه المقومات على أنها مجرد أفكار وتصورات مثالية متعالية ، لا علاقة لها بالواقع بل يجب أخذها مأخذ الجد والواقعية والفعالية العملية المرتبطة بالواقع النفسي والاجتماعي للإنسان العربي والمسلم ، بما يتلاءم مع طبيعة وجوده النفسي والثقافي والاجتماعي الذي يرتبط بالعقيدة الإسلامية وفعاليتها .
- و نكتشف مدى صلاحية المشروع الحضاري البنابي وا إمكانية الأخذ به للنهوض بالمجتمع العربي والإسلامي في التاريخ الراهن ، وضرورة تبنيه من خلال القيمة الحضارية وحل مشكلاته ، كونه العامل الأساسي في بناء أي حضارة ما ، أضف إلى ذلك الأثر البالغ لهذا الفكر في النهضة الحضارية – حديثة الخطى – التي شاهدتها المجتمعات المالاوية عموما ، والمجتمع الماليزي خاصة بزعامة رائد نهضتها المعاصرة " محمد مهاتير " لما وجدت إرادة التغيير ، أما في المجتمع الجزائري فنحتاج إلى تفعيل أفكار مالك بن نبي كحاجتنا إلى النهوض الحضاري باعتبارها هاجس كل الأمم .
- **وفي الأخير** نرجو أن نكون – من خلال هذا البحث – قد أوصلنا فكرة مالك بن نبي ،عن القيم ودورها ومكانتها في البناء الحضاري بطريقة سليمة تجعل قارئها يستوعبها بالشكل الصحيح، رغم النواقص التي قد تعتريه سواء عن تشعب قضية القيم وتشابكها في فكر مالك بن نبي ،وحتى تداخل المفاهيم وتنوعها .كما نوجه كلمة شكر وتقدير للجنة المناقشة ، الذين تفضلوا بقراءة هذا البحث ،كما نحمد الله على توفيقه لنا لإتمام هذا العمل .

فهرس المصادر المراجع

فهرس المصادر والمراجع

- أولا: المصادر

أ: القرآن الكريم

ب: الحديث الشريف

جـ: مالك بن نبي

1. مالك بن نبي : مجالس دمشق ، دار الفكر ،دمشق نط1،2006م.
2. مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية ،ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق ،ط1،2002م.
3. مالك بن نبي : المسلم في عالم الاقتصاد ، دار الفكر ، دمشق ، ط3 ، 2000م.
4. مالك بن نبي : بين الرشاد والتيه ، دار الفكر ، دمشق ،ط2 ، 1978م.
5. مالك بن نبي : تأملات ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ،ط1،1979م.
6. مالك بن نبي : حديث في البناء الجديد ،تر:عمر كامل مسقاوي،د ط،المكتبة العصرية للطباعة،بيروت،د س.
7. مالك بن نبي : دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ، دار الفكر ،دمشق سوريا ، ط1،1991م.
8. مالك بن نبي : شروط النهضة ،ترجمة عبد الصبور شاهين ،عمر كامل مسقاوي ،دار الفكر للطباعة والتوزيع ،دمشق ،ط ،1976م.
9. مالك بن نبي : مالك بن نبي ، فكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ ، ترجمة ،عبد الصبور شاهين ، ط1،1981م.
10. مالك بن نبي : من أجل التغيير ، دار الفكر ،دمشق ،د ط،2000م.
11. مالك بن نبي :القضايا الكبرى ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،لبنان ،ط1،1991م.
12. مالك بن نبي :في الحضارة و الايدولوجيا ،ترجمة محمد باي بغداد ،عالم الأفكار للنشر والتوزيع ، د ط،2004م.
13. مالك بن نبي :مذكرات شاهد القرن ، الطفل والطالب ،دار الفكر المعاصر ،دمشق ، ط2،2004.
14. مالك بن نبي :مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،ترجمة بسام بركة ، دار الفكر ،دمشق ،ط1،2002م.

15. مالك بن نبي :مشكلة الثقافة ،ترجمة عبد الصبور شاهين ،دار الفكر ،دمشق ،ط4 ،2004م.
16. مالك بن نبي :فكرة كمنويلث إسلامي،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،لبنان،ط2000،2.
17. مالك بن نبي :ميلاد مجتمع ، شبكة العلاقات الاجتماعية ج1،ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ،دمشق ،ط3ن1986م.
18. مالك بن نبي وجهة العالم الإسلامي ،تر جمة عبد الصبور شاهين ،دار الفكر ،دمشق ،ط1 ،2002م.

ثانيا : المراجع :

.1.ابن خلدون ، المقدمة ، ج1،تحقيق عبد الله الدرويش ، دار يعرب ، دمشق ،د ط ،2004م.

2.أحمد أمين ،زكي نجيب محمود : قصة الفلسفة الحديثة ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ط1967،5م.

3.أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، المجلد 10، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، تحت رقم 6011،مكتبة دار السلام ، دمشق ، 1997م.

4. أحمد شوقي : الشوقيات ، ج 1 ، دار العودة ، بيروت ، د ط1988 م .

5.-إسحاق فرحات،توفيق مرعي :اتجاهات الشباب نحو القيم الإسلامية ، الأردن ،د ط ،1988م.

6.أسعد السحمراني : مالك بن نبي مفكر إصلاحي ، دار النفائس ، بيروت ،ط1 ، 1984م.

7.أمينة تشيكو : مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي و أرلوند توينبي ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،د ط ، 1987م.

8.أنور الجندي : أعلام القرن الرابع الهجري ، مكتبة الأنجلو المصرية ،د ط ، د س .

9.أوزفولت اشبينغلر : تدهور الحضارة الغربية ،ج1 ، ترجمة ،أحمد الشيباني ،منشورات دار مكتبة الحياة ،د ط ، د س .

10.بدران بن مسعود بن لحسن : الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري ، أنموذج مالك بن نبي ، وزارة الأوقاف ، قطر ، ط1 ، 2000م.

11.البشير قلاتي : هكذا تكلم مالك بن نبي ، مكتبة إقرأ ، الجزائر ، ط1 ، 2000م.

12.بن براهم الطيب : مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة ، دار مدني ، د ط ، 2002م.

13.بوعرفة عبد القادر : التيارات الفلسفية الغربية ، وأثرها على الفكر العربي ، إشراف اسماعيل زروخي وأساتذة آخرون ، دار الهدى للطباعة ن والنشر والتوزيع ن عين مليلة ، د ط ، 2003م.

14. جون ديوي : الخبرة والتربية :ترجمة محمد رفعت رمضان ونجيب اسكندر ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، د ط ، 1954م.

15. جون ديوي : الفن خبرة : ترجمة زكرياء إبراهيم ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د ط ، 1965م.

16. جيلالي بوبكر : البناء الحضاري عند مالك بن نبي ، دار المعرفة ،الجزائر ، د ط ، د س

17. حامد عزيز :التربية وبناء الحضارات في فكر مالك بن نبي ، مجمع الأطرش للكتاب المختص ، تونس ،د ط ،2014م.

18. خليل عبد الرحمان معايطة :علم النفس الاجتماعي ،دار الفكر للطباعة والتوزيع ، عمان ،د ط ، 2000م.

19. رضوان رياد كيفن جيه أوتل : صراع القيم بين الإسلام والغرب ، دار الفكر ، دمشق ، د ط ، 2010م.

20. رمضان الصباغ : الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر ، ط1 ، 1988م.

21.روجي غارودي : حوار الحضارات ،ترجمة ، عادل العوا ، منشورات عويدات ، بيروت ،لبنان ، ط2،1982م.

22. سعد مرسي أحمد ، تطور الفكر التربوي عالم الكتب القاهرة ، ط11،1986م.

23.سعيد محمد السقا : فلسفة الحضارات ، وحوار الحضارات ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، مصر ،ط1 ،2013م.

24. صامويل هنتغتون : صدام الحضارات ، إعادة صياغة النظام العالمي ، ترجمة ، طلعت الشايب ، ط2 ، 1999م.

25. الطاهر سعود : التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 2006م.

26. الطيب برغوث : موقع المسألة الثقافية في إستراتيجية التجديد الحضاري ،عند مالك بن نبي ، دار الينابيع للنشر والإعلام ،ط1 ، 1993م.

27. عبد الحميد درويش:ابن باديس وأرائه الفلسفية،ج1،مطبعة جامعة القاهرة، مصر، ط1955،1م.

28. عبد الرحمن ابن خلدون : ديوان العبر والمبتدأ والخبر ، في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،2004م.

29. عبد الرحمن بدوي : الأخلاق النظرية ، الكويت ، د ط ، 1975م.

30. عبد القادر بوعرفة : الحضارات ومكر التاريخ ، منشورات مخبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر ، دار رياض العلوم الجزائر ، ط1 ، 2006م.

31. عبد اللطيف عبادة : صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي ، مؤسسة عالم الأفكار ، الجزائر ، د ط ، 2005م.

32. عبد الله بن حمد العويسي:مالك بن نبي ،حياته وفكره،الشبكة العربية للأبحاثوالنشر ،ط1،بيروت،2012م.

33. علي القريشي: التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي ، منظور تربوي لقضايا التغيير في المجتمع المسلم المعاصر ، الزهراء للإعلام العربي ، ط1 ،1989م.

34. غازي توبة : الفكر الإسلامي المعاصر ، دار الفكر ، بيروت ، ط1977،3م.

35. فؤاد البيهي : علم النفس الاجتماعي ، دار العربي ، القاهرة ،د ط ، د س.

36. فوزية بريون : مالك بن نبي ، عصره وحياته ونظريته في الحضارة ، دار الفكر ،دمشق ،ط1 ، 2010م.

37. محمد شاكر كناني : تصور جديد للقيم في المجتمع الإسلامي ،جامعة أسيوط ،مصر ،د ط ، د س .

38. محمد عابد الجابري تنقد العقل الأخلاقي العربي ، دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم والثقافة العربية ،مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ،ط1،2001م.

39. محمد عاطف : معوقات النهضة ومقوماتها في فكر مالك بن نبي ، دار قرطبة ، الجزائر ، د ط ، 2009م.

40. معتز سيد عبد الله ،عبد اللطيف محمد خليفة :علم النفس الاجتماعي ،دار غريب ، للطباعة والنشر ،والتوزيع القاهرة ، د ط ،د س.

41. موسى بابا عمي : القاموس الحضاري للمجدد مهاتير ، دار المعرفة ، الجزائر ، ط1 ،2009م.

42. مولاي الخليفة المشيشي: مالك بن نبي دراسة استقرائية مقارنة،دار النايا، بيروت، ط1 ،2012م.

43. نجيب بلدي : نوابغ الفكر الغربي ، ديكارت ، دار المعارف ،مصر ،ط2 ، 1968م.

44. نعمات أحمد فؤاد : علم النفس الاجتماعي ، دار المعارف ،الأردن ،دط ،د س.

45. نورة خالد السعد : التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي ، دراسة في البناء الاجتماعي ، الدار السعودية ، الرياض ،ط1،1997م.

46. ول وايريلد يورانت : نشأة الحضارة ،ج1، ترجمة زكي نجيب محمود ، دار الجيل للطبع والنشر ، بيروت ،د ط ، دس.

47. وليام جيمس :البراغماتية ، ترجمة محمد علي العر يان ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د ط ، 1965م.

- ثالثا : قائمة المعاجم والموسوعات :

1- ابراهيم أنيس وآخرون المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ،ط2،1979م.

2- ابن منظور : لسان العرب ،ج3،دار إحياء التراث العربي ، لبنان ،ط3،1999م.

3- أندري لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية ، ترجمة ،خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ط2،2001م.

4- عبد المنعم الحفني : المعجم الشامل – المصطلحات الفلسفية – مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر ، ط3، 2000م.

5- كميل الحاج : الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان ، ط1 ، 2000م

6- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ،ج2 ، دار الكتاب اللبنانية ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 1982م.

رابعا المذكرات والأطروحات :

1- العابد ميهوب : الفكر التربوي عند مالك بن نبي ، إشراف ،أ/د نور الدين زمام ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، [2014/2013].

2- فايزة بوثلجة : مالك بن نبي وفلسفة البناء الحضاري بالبعد التربوي ،إشراف أ/د لخضر شريط، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة ، جامعة الجزائر 2 ، الموسم [2020/2019].

3- محمد جديدي : فلسفة الخبرة عند جون ديوي ،اشراف مختار بولخماير، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،قسم الفلسفة ، جامعة قسنطينة ، الموسم : [1997/1996].

4- - جمال بورال : الدورة الحضارية بين مالك بن نبي وأوزوالد اشبنغلر ،إشراف،عبد المجيد عمراني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة ، جامعة لحاج لخضر ، باتنة الموسم [2013/2012].

خامسا : المجلات والمواقع الإلكترونية :

1- بدران مسعود بلحسن : في مفهوم الحضارة :

httbM//ftb.islamtoday.com/nawafeth/artshow.40.3205.htm

2- الجيلالي بوبكر : فكر مالك بن نبي في فصل الاصلاح : موقع الشهاب ، متاح على: w.w.w.stontmos.com.

3- سالم فتيحة : النهضة عند مالك بن نبي قراءة أم استشراف ، النهضة الماليزية نموذجا ، مجلة آفاق فكرية ،مجلد 4 ن العدد 09،أكتوبر 2018م.

5- سليمان الخطيب : فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي ، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي من حوار أجراه مع : د/ عبد الحميد عويس ، جامعة الأزهر ،مصر .

6- صبرينة حديدان : مقومات البناء الحضاري عند مالك بن نبي ، مجلة علوم الإنسان والمجتمع ، المجلد 8 ، العدد2019،1م.

7- عمار طالبي :مالك بن نبي ومشكلات الحضارة،مجلة الثقافة،الجزائر عن وزارة الإعلام والثقافة ،العدد 18.

8- لكحل فيصل :التوجه الحضاري في فكر مالك بن نبي ،مقال بيدياف bdf article httbs://www.asjb.cerist.dz

9- وصفي عاشور: مالك بن نبي والمشروع الحضاري ، مجلة دراسات ، العدد20 ،القاهرة ،2003م.

10- وفاء عمران ك التوجيه الجمالي ودوره في تركيب الحضاري ، مقاربة حضارية لمالك بن نبي ، مجلة أبعاد ، جامعة وهران 2، مجلد 6، العدد01، 30جوان 2020م.

ملحق خاص:

شهادات حول فكر وشخصية مالك بن نبي

تمهيد:

1-بعض الخصائص والمميزات لفكر مالك بن نبي

2- بعض الشهادات في حق مالك بن نبي

- **شهادة عمر كامل مسقاوي**
- **شهادة محمود شاكر**
- **شهادة محمد المبارك**
- **شهادة أنور الجندي**
- **شهادة سليمان الخطيب**
- **شهادة عبد القادر بوعرفة**
- **استنتاج**

- شهادات في فكر مالك بن نبي :

- لو أردنا أن نجمع ما قيل في فكر مالك بن نبي من آراء وشهادات وانطباعات حول شخصيته وفكره، لتوفرنا على مادة ثمينة تضمها دفاتر الكتاب، تكشف لنا عن كنوز وذخائر فكر و إبداع هذا المفكر الجزائري المتفرد نذكر منها:

- يمتاز فكر بن نبي : بالعمق والشمولية فلم يترك مجالا ولا ميدانا ، إلا وتحدث فيه وكتب في جميع الاختصاصات(فلسفة ، تاريخ، تربية ، اجتماع ، اقتصاد ، سياسة ، جمال...) لذلك قيل فيه:" جمع إلى جانب الثقافة العلمية ، ثقافة فلسفية واجتماعية واسعة الرجاء عميقة الأغوار "[1]، واستخدام العديد من المفاهيم العلمية في نظريته الحضارية بطريقة مختلفة عن مفكري الحضارة ،الذين اقتصروا على استعمال المفاهيم السياسية والاقتصادية والدينية[2]. مثل: المعادلات الرياضية و المنحنيات والتحليل والتركيب النفسي ...الخ .

- كما تذهب نظرية بن نبي الحضارية إلى إبطال ودحض ما تذهب إليه النزعة المركزية الأوروبية ، التي تعبر أن أصل نشأة الحضارة يعود إلى جنس محدد ، يتمتع بخصائص معينة لا توجد عند غيره من الأجناس الأخرى ، وا ٍن وجدت ملامح للتحضر دون هذا الجنس ، فإنها لم تأتبفعل الإنتاج والإبداع ، وا ٍنما بفعل الاحتكاك والتأثر[3]. فالتحضر قانون عام وسنة كونية تاريخية ، متى توفرت شروطها .

- لم يوجه مالك بن نبي مسؤولية التخلف والخروج من حالة التحضر إلى البلدان الغربية فقط ، بل حمل نصف المسؤولية إلى الشعوب الإسلامية التي يطلق عليها الآن اسم العالم الثالث ، وبرز الجانب الإيجابي لنظرية القابلية للاستعمار في إمكانية التقدم ووجود أمل للنهوض

---

[1]- بن براهم الطيب : **مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة** ،دار مدني د ط 2002..ص 190.

[2]- جمال بورال : **الدورة الحضارية بين مالك بن نبي و أزوالد اشبنغلر** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة /2012-2013/.ص 190.

[3]- جيلالي بوبكر : **البناء الحضاري عند مالك بن نبي** ، مرجع سابق ، ص 15.

المرهون بتخلص النفس من القابلية للاستعمار، فعند التخلص منها تصبح مستعدة لمواجهة كل الصعوبات والأزمات التي تسبب المشكلات، وبالتالي أول خطوة للنهوض عنده هي تحرير الذات والذهن – الإنسان – من كل ما قد يوجده الاستعمار في ذواتنا من ميول وضعف للقابلية له"[1] .

- **بعض الشهادات في حق مالك بن نبي** :

- **يقول عنه تلميذه وصديقه** المحامي:"**عمر كامل مسقاوي** ":" تنطلق أفكار بن نبي لا لتضيف في المجتمع الإسلامي معرفة جديدة بالفقه أو علما ، مستخلصا من تجارب للحضارة الغربية ، بل لتنظم هذه المعارف في مفاهيم تربوية تسير بالإنسان خطوة متقدمة ، فهو يطرح الإسلام عمليا ليقيمنا ، وقادر على استعادة دور الإنسان مبدأ من ثقل الحضارة "

- **يقول فيه " محمود شاكر ":"** فهذا المفكر **الخير** قد استطاع بحس إدراكه وبقوة بيانه وبدقة ملاحظته ، أن يفتح عيوننا على خيوط التي تنسج منها حياتنا ، تحت ظلام دامس قد أطلقه المستعمر ليخفي عنا مكره بنا وخداعه لنا " [2].

- **يقول فيه** الأستاذ **" محمد المبارك** ":" إن هذا الكتاب يكشف فيه مالك بن نبي عن مفكر كبير احتل بسرعة فائقة مكانة لائقة في طليعة العالم الإسلامي...بل داعيا مؤمنا يجمع بين الفيلسوف والمفكر ...فأنا لا أقول إنه" بن نبي" ولكن أقول أنه ينهل من نفحات النبوة وينابيع الحقيقة الخالدة"[3].

- **يقول فيه أنور الجندي:"** ومثل مالك بن نبي من مفكري العالم الإسلامي قليل فهو الرجل الذي ورد مورد الغرب ، وجاءنا منه نقيا تقيا صافيا ، وقد حفظ الله أصالته وأفاد مما وجد

---

[1] - الطاهر سعود : **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي** ،دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 2006.،ص186.

[2] - مالك بن نبي : **وجهة العالم الإسلامي** ، مصدر سابق – مقدمة كتابه – ص11.

[3] - المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

نصاعة فكره ، وبعد نظر وعمق فهم ، وقدرة على كشف تلك التحديات والشبهات والأوضاع التي عمد التغريب والغزو الثقافي على نصب شباكها ، لتدمر الفكر الإسلامي وا ٍثارة أجواء الاضطراب والتخلخل بين جوانبه "[1].

- **قال عنه سليمان الخطيب:**" إن دراسة غطاء مالك بن نبي الفكري في إطار المسألة الحضارية ، يكسبنا عمقا يرتبط ببنية الفكر الإسلامي المعاصر الذي يمتد بجذوره إلى تراب الأمة الفكري والثقافيالذي صاغه ، وبلورت مفاهيمه أصول عقيدية وا ٍيمانية حددتها تعاليم ومبادئ القرآن الكريم والسنة الشريفة "[2].

- **يقول فيه الباحث"**عبد القادر بوعرفة":"إن مالك بن نبي يجمع بين حس الفيلسوف المتأمل ومنطق الرياضي المجرد ، وقدرة المحلل النفساني على سبر أغوار النفس ، واستقراء أمراضها وعبقرية رجل الدين في فهم النص ، من خلال فتحه لباب جديد في الفكر الإسلامي تمثل في فقه الحضارة ..."[3].

- بعد عرضنا لبعض الشهادات لمفكرين معاصرين حول فكر وشخصية مالك بن نبي **يمكننا القول:** أن مالك بن نبي مفكر لا يقيده الزمان ولا المكان ، فبالرغم من مرور عقود من الزمن على أفكاره الحضارية إلا أنها مازالت تتسم بالفعالية والصلاحية ، لتكون منهجا تربويا وأسلوبا علاجيا للأزمة الحضارية الراهنة ، التي تتخبط فيها الأمة العربية والإسلامية،لتحقيق التغيير والتجديد الحضاري المأمول ، والحاجة الماسة لتفعيل مشروعه الذي يرتكز عي بناء الإنسان حضاريا بناءا متكاملا ومتوازنا،وفق مقاربة شاملة لها بعد إنساني وعالمي .

---

[1]- أنور الجندي : **أعلام القرن الرابع الهجري** ،مكتبة الأنجلو مصرية ، د ط ، د ي ، ص 139.

[2] - سليمان الخطيب : **فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي** ، مرجع سابق ، ص 6.

[3] - عبد القادر بوعرفة : **الحضارة ومكر التاريخ**، منشورات مخبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر ، دار رياض العلوم الجزائر ، ط1 ، 2006،ص،ص 30.29.

الفهرس

الموضـــــــوع **الصفحة**

البسملـــــــة

الإهـــــداء

شكر وتقدير

مقدمـــــــة

الفصل الأول : المرجعية الفكرية ومقاربات مفاهمية

تمهيد 02

المبحث الأول : المرجعية الفكرية والحضارية لمالك بن نبي

1 : التيار العقلاني 03

2 : التيار المثالي 04

3 : التيار البراغماتي 06

4:التيار الاصلاحي 09

5:التيار التاريخي والحضاري 11

6:البعد الجمالي أصوله وأثره في فكر مالك بن نبي 15

المبحث الثاني : مقاربات مفاهمية وتأسيسية

أولا : مفهوم القيم 18

1 : المعنى اللغوي للقيمة 19

2 : المعنى الاصطلاحي للقيمة 20

3: معنى القيم في الفكر الإسلامي 23

ثانيا : القيم عند مالك بن نبي 24

1 : القيم الأخلاقية وفق تصور مالك بن نبي 24

2 : الجمال في مفهوم مالك بن نبي 28

3:مفهوم المنطق العملي عند مالك بن نبي 30

المبحث الثالث : مفهوم الحضارة

تمهيد 32

أولا : الدلالة اللغوية والاصطلاحية للحضارة 32
1 : الدلالة اللغوية للحضارة 32
2 : الدلالة الاصطلاحية للحضارة 33
ثانيا : مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي 35
ثالثا : مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي 38
نتائج الفصل 40
الفصل الثاني : دور القيم في البناء الحضاري عند مالك بن نبي
مدخل 43
المبحث الأول:الدين ودوره الحضاري
تمهيد 44
أولا:الوظيفة التاريخية للدين 44
ثانيا:ٰدين و أبعاده الاجتماعية 47
ثالثا : الفكرة الدينية وأثرها في تفعيل عناصر المعادلة الحضارية 49
رابعا : الدين وبناء شبكة العلاقات الاجتماعية 53
المبحث الثاني : دور القيم الأخلاقية في بناء الحضارة
تمهيد : 56
أولا:دور وأهمية الأخلاق في بناء الحضارة في فكر مالك بن نبي 56
ثانيا: علاقة الأخلاق بالبناء الحضاري عند مالك بن نبي 62
1 : علاقة الأخلاق بالدين 63
2 : علاقة الأخلاق بالمجتمع 65
3 : علاقة الأخلاق بالثقافة وبالعلم 69
4 : علاقة الأخلاق بالاقتصاد 74
5 : علاقة الأخلاق بالسياسة 78
المبحث الثالث : الجمال وأثره في صناعة الحضارة
تمهيد : 81

أولا : الجمال وأهميته الاجتماعية 82
ثانيا : الجمال في علاقته بالأخلاق واتجاه الحضارة 87
المبحث الرابع : أهمية المنطق العملي في تأسيس الحضارة 89
نتائج الفصل 95
الفصل الثالث : الفكر الحضاري البنانبي برؤية نقدية
مدخل 98
المبحث الأول: راهنية المشروع البنابي الحضاري 98
تمهيد: 98
أولا:الدور المركزي للإنسان في بناء الحضارة 99
ثانيا:الفاعلية الحضارية عند مالك بن نبي 101
المبحث الثاني : موقع الفكرالقيمي و الحضاري البنابي لدى بعض المفكرين المعاصرين
تمهيد 105
أولا :مالك بن نبي وروجي غارودي 105
ثانيا :الفكر الحضاري لمالك بن نبي وأثره على النهضة الحضارية المعاصرة لماليزيا –أنموذجا- 107
المبحث الثالث : المقاربة البنابية برؤية نقدية
تمهيد 110
أولا : الاتجاه النقدي لفكر مالك بن نبي 110
نتائج الفصل 116
خاتمة 118
قائمة المراجع والمصادر
ملحق خاص :شهادات حول فكر وشخصية مالك بن نبي
فهرس المواضيع

الملخص : بالعربية

اشتغل" مالك بن نبي " على مشروع فكري متميز ضمن رؤية حضارية فارقة خلال القرن العشرين مركزا فيه على القيم الحضارية في بعدها الأخلاقي والجمالي والعملي ،باعتبارها المولد الطبيعي للمعطى المادي كواقع للحضارة ، وعليه فقد راهن على الوظيفة النفسية والاجتماعية والحضارية للإنسان كآلية مفصلية نحو بناء الحضارة ، فالإنسان الحامل لهذه القيم المتأصلة في شخصيته بفعل منهج تربوي قاعدي نابع من محيطه وبيئته كقاعدة ، كفيلة بأن تصنع في نظره النموذج الحضاري المطلوب ،دون أن يغفل العامل الديني باعتباره الخيط الناظم الذي يرافق كل حركة وفعل داخل أية تجربة حضارية منشودة .

الكلمات المفتاحية : مالك بن نبي ، القيم ، البناء الحضاري ، الحضارة ، الدين ، الأخلاق ، الجمال ، العملي، الإنسان .

Résumé : Malik Bennabi a travaillé sur un projet intellectuel distingué au sein d'une vision

civilisationnelle distincte au cours du XXe siècle, en se concentrant sur les valeurs civilisationnelles dans leurs dimensions morales, esthétiques et pratiques, car elles sont le générateur naturel de matériel donné comme réalité de civilisation. En conséquence, il a misé sur la fonction psychologique, sociale et civilisationnelle de l'homme en tant que mécanisme pivot vers la construction de la civilisation.Une personne qui porte ces valeurs inhérentes à sa personnalité éducative de base est capable de créer à ses yeux le modèle civilisé requis sans négliger le facteur religieux en tant que fil organisateur qui accompagne chaque mouvement et action au sein de toute expérience civilisée souhaitée

Mots-clés : Malik bin Nabi, valeurs, construction civilisée, civilisation, religion, morale, beauté, logique pratique, homme.

Summary: Malik Bennabi worked on a distinguished intellectual project within a distinct civilizational vision during the twentieth century, focusing on civilizational values in their moral, aesthetic and practical dimensions, as they are the natural generator of material given as a reality of civilization. Accordingly, he bet on the psychological, social and civilizational function of man as a pivotal mechanism towards building civilization. A person who bears these values inherent in his basic educational personality is capable of creating in his view the required civilized model without neglecting the religious factor as the organizing thread that accompanies every movement and action within any desired civilized experience

Keywords: Malik bin Nabi, values, civilized construction, civilization, religion, morals, beauty, practical logic, man.